الجزء الأول　　　　المجلد الخامس والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العربي

دمشق



كانون الثاني سنة ١٩٦٠ م

رجب سنة ١٣٧٩ هـ

مجلة

المجمع العلمي العربي

دمشق

انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي	في جميع البلاد العربية ١٠٠٠ قرش سوري	
	وفي سائر الأقطـــار ١٢٠٠ قرش سوري	

تدفع مقدماً

الإبدال اللغوي

أو

الاشتقاق الكبير

إن الإبدال والقلب اللغويين هما ظاهرتان لغويتان من ظواهر التطور الصوتي ، وبحث من أبحاث علم الأصوات اللغوية : Phonétique[1] الذي ألف فيه علماء الغرب كتباً جليلة ، وأنشئوا له معاهد ومخابر علمية خاصة ؛ ولم يقصّر من سلفنا الصالح لحياة فقهاء اللغة العربية ، فقد عرفوا كثيراً من أصوله وأسراره ، وفيما اشتملت عليه حوايا كتب اللغة والاشتقاق والصرف والتجويد كثير من مبادئ علم الأصوات اللغوية منثورة ومنشورة فيها ، ومن تلك المبادئ والأسرار اللغوية بحث (الإبدال اللغوي) الذي سموه : الاشتقاق الكبير ، كما سموا بحث الصرف بالاشتقاق الصغير ، والقلب اللغوي بالاشتقاق الأكبر ، وكان العكس من الإنصاف وصدق التعبير : بأن ينعت الإبدال اللغوي لخطورته بالاشتقاق الأكبر ، والقلب اللغوي بالكبير .

كتب الإبدال ومؤلفوها . — وجمع علماء العربية مثل الخليل بن أحمد وأبي عمرو بن العلاء ومن أخذ عنهما كثيراً من ألفاظ لغتنا التي جاؤا بها من البدو وتسقّطوها من أفواه الأعراب وصنفوها في رسائل خاصة ، وبينها كثير من ألفاظ الإبدال ؛ والخليل أول من اعتمد على ما جمع من ألفاظ اللغة ، وصنف

---

(١) ويقال له أيضاً Phonologie .

في العربية كتاب العين المشهور ، وكان قدوة لمن تبعه من أصحاب المعاجم وكتب اللغة والنوادر والقلب والإبدال ، ومن كتب الإبدال المعروفة : إبدال أبي سعيد عبد الملك بن قُريب الأصمعيّ ، وأبي يوسف يعقوب بن السكيت الذي أخذ عنه أبو عمر الزاهد صاحب اليواقيت والمعروف بغلام ثعلب ، وعن أبي عمر هذا أخذ أبو الطيب اللغويّ عبد الواحد بن علي الحلبيّ صاحب الإبدال الذي ينشره اليوم مجمعنا العلمي العربيّ ، فقد جمع في إبداله ألفاظ من سبقه في جمع ألفاظ الإبدال ، وزاد عليهم كثيراً من النظائر المتعاقبة ؛ ومن كتب النوادر التي اشتملت على هذه النظائر : نوادر الأصمعيّ وأبي زيد الأنصاريّ وابن الأعرابيّ وأبي عمرو الشيبانيّ وأبي مِسحل عبد الوهاب بن حريش [1] وغيرها من نوادر اللغة ، وينقل لنا أبو الطيب اللغويّ في إبداله كثيراً من ألفاظ الإبدال عن اللحيانيّ وأبي عبيدة ، والجرميّ وقطرب ، والفرّاء واليزيديّ ، وأبي مالك عمرو بن كركرة ، وكراع والأمويّ وغيره ، وفي حواشيه كثير من هذه الألفاظ بخط شيخ صاحب اللسان الراوية الحافظ رضيّ الدين الشاطبي ، وبعض هذه الألفاظ من حواشي الإمام ابن برّي ؛

وهنالك أقوال في الإبدال ، وأبواب معقودة للنوادر في آخر كتاب الجمهرة لابن دُريد ، وفي الغريب المصنف لأبي عُبيد ، وفي أمالي القالي أبواب لأنواع من الإبدال اللغويّ ، وفي شرح شواهد الشافية للبغدادي كثير من ضروبه ، كما أنه في الجزء الأول من الخصائص ، وفي ابن جني على تصريف المازني كلام مفيد في الإعلال والقلب والإبدال ، وفي الجزء الأول من المزهر للسيوطيّ أقوال منتقاة من الجمهرة ، وشرح الفصيح للبطليوسي ، ومن أمالي ثعلب وديوان الأدب للفارابي وصحاح الجوهري وشرح التسهيل لأبي حيان .

(١) وقد ظفر الدكتور عزة حسن امين المخطوطات الظاهرية بنسخة جليلة نادرة منه في الآستانة وسينشرها مجمعنا العلمي قريباً .

ومن بحث وألّف من المتأخرين والمعاصرين احمد بن فارس عصره صاحب سر الليال في القلب والإبدال ، وللأستاذ عبد الله أمين في كتابه الاشتقاق أبحاث لغوية ممتعة في الابدال ومسوّغاته [1] ، ولشيخنا الطاهر الجزائري في كتابه التقريب لأصول التعريب مباحث عن الإبدال واللثغات ، وقد تكون هذه اللثغات من أسباب الإبدال ، أو تشويه الأصوات اللغويّة ، فقد جاء في بغية الوعاة للسيوطي (٩٧) أن الركن محمد بن محمد التونسي المعروف بابن القَوَبع النحويّ كان يلثغ بالراء همزة ، ونعلم أن واصل بن عطاء كان يلثغ بالراء أيضاً وانه كان يتجنبها لبلاغته في خطبه ، وكان عبيد الله بن محمد النحوي الموصلي يلثغ بالراء غينا كأهل باريس ، فقال له الفارسيُّ : — ضعْ ذبابة القلم تحت لسانك لتدفعه بها ، وأكثِرْ مع ذلك ترديد اللفظ بالراء ، ففعل فاستقام له اخراج الراء في مخرجها ، فهو بذلك يشبه ديموستين خطيب اليونان الشهير الذي كان يروض لسانه بوضع حصاة تحته ويخطب أمواج البحر حتى قوّم ما اعوجّ من لسانه وأصبح يسحر السامعين بحسن بيانه .

وقال أحمد فارس في سر الليال (٧٢) : ومن الغريب أني وجدت الغين منقلبة عن الراء في عدة ألفاظ ، وهي عكس لثغة باريس : فإنهم يقلبون الراء غينا !

ان التطوّر الصوتي قد يجري مترقياً أو متدنياً [2] ، وهذه اللثغات بأنواعها من أسباب تشويه الأصوات العربية السّويّة وتدنّيها ، فقد يكون جدّ القبيلة ألثغ

(١) ولعميد كلية الشريعة بدمشق صديقنا الاستاذ محمد المبارك كتاب ينشره اليوم في فقه اللغة بحث فيه عن الابدال اللغوي بحثاً صحيحاً ، ويوافقنا على انه أعم وانفع من القلب واحق منه باسم الاشتقاق الاكبر .

(٢) سنتكلم عن أحوال التبدّل الصوتي في العربيّة ببحث مستقل مفصّل ونكتفي الآن بالإشارة اليه .

فيسمعه أولاده صغاراً فيكتسبون هذه اللثغة من أبيهم ، وقد يتكاثر أولاده وأحفاده ، ويصبحون كجدهم الشيخ شيوخ أولي قوة وعصبية قبلية متناصرة ، والرعية على دين رُعاتها أبداً ، وبذلك تنتشر هذه اللثغة أو العاهة التي فطروا عليها ، وبذلك قد تتشوّه لغة القبيلة ، ويكون هذا التطور الصوتي البطيء من بواعث التدنّي الصوتي ، ولأمرٍ ما كان الباريسيون يلثغون بالراء غيناً دون غيرهم من الفرنسيين ، وعرفت لغتهم باللثغة الباريسية . وقد شعر أطباء اللغة منّا بهذا المرض اللغويّ (اللثَغ) فحاربوه بقوة وعالجوه بما وضعوه من الكتب أو الرسائل في أصول النطق العربي القويم ، وقد اشتمل عليها علم التجويد : أي تجويد القرآن ، وتحسين النّطق به كما ينطق فصحاء العرب .

واللثَغ : آفة لسانية يتحوّل بها اللسان من السين أو الصاد الى الثاء ، أو من الراء الى الغين أو اللام أو الياء ، أو من حرف الى حرف ، وقيل ان لا يتم رفع اللسان في الكلام وفيه ثقل ، والرثغ لغة فيه ، ويقال لهذه التحولات لثغات منها (الرُّتّة) ، والأرَت الذي يجعل اللام ياء ولا تكاد كلمته تخرج من فيه ، و (اللكنة) عُجمة في اللسان المطبوع عليها فتظهر في كلام الألكن فيقال فلان يرتضخ لكنة فارسية أو تركية فلا يقوى على إقامة العربية ، ومنها (اللَّيغ) والأليغ الذي لا يبيّن حروف الكلام ويرجع كلامه الى الياء ، ومنها (الخنّة) وهي ضرب من (الغنة) كأن الكلام يرجع الى الخياشيم ، و (اللثمة) كلام الذي تغلب على كلامه الثاء والعين ، ومنها الحُكلة والعُقدة والحُبسة وغيرها من عيوب الكلام .

ومن هذه الكتب التي وضعت لتقويم اللسان بإخراج الحروف من مخارجها ومقاومة اللثغات ومحاولة إصلاحها : كتاب الارتضاء في الضاد والظاء لأبي حيان الأندلسي ، والمراد في كيفية النطق بالضاد : لعيسى بن عبد العزيز اللخميّ ،

ولكلٍ من أحمد بن ابرهيم اللؤلؤي ، ومرجي بن كوثر المقري النحوي كتاب في الضاد والظاء ، ولابن برهان سعيد بن المبارك كتاب الضاد والظاء ، وكتاب الغين والراء ، ولأبي البركات بن الأنباري كتاب زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء ، وهنالك كتب أخرى لا مجال لسرد أسمائها ، وذكرنا هذه الكتب على سبيل المثال ، وإن بعض هذه العيوب اللسانية قد ينتقل بالوراثة من الآباء للأبناء كالتأتاة والفأفأة وهنالك أسرٌ في الشام يتوارث التأتأة أبناؤها الشآمون ؛ وقد كثر السنديون في العصر العباسيّ بالبصرة للعمل فيها فانتشرت لكنتهم ورطاناتهم بين العرب : قال العباسيّ في شواهد التلخيص (١/٣١) : كان أبو عطاء السندي يرتضخ لكنة سندية فيجعل الجيم زاياً ، والشين سيناً ، والطاء والضاد دالاً ، والعين همزةً ، والحاء هاءً فيقول : مرهبا ، هيا كم الله ! ، ولا يزال أهل دير القمر في جنوبيّ لبنان يقولون : دَوّ القمر بدل ضوء القمر ، ولا يدري أحد كيف فسدت ضادهم ، ولا الزمن الذي تمّ فيه هذا الفساد ، وقيل هي لغة ثقيف وهذيل ، وما يدريك أنهم ثقفيون .

واللثغة إذا تفشّت في قومٍ وانتقلت من جيل الى جيل ورسخت فيهم أصبحت لهجة أو لغية ، وقد تلتبس على علماء اللغة فلا يدرون ألثغة هي أم لغة ؟ فقد جاء في المزهر (١/٥٠٦) في باب (معرفة ما ورد بوجهين بحيث اذا قرأه الألثغ لا يعاب) قال السيوطيّ : والأصل في هذا النوع ما ذكره الثعالبيّ في فقه اللغة قال : أنا أستطرف قول الليث عن الخليل : الذعاق كالزعاق سمعنا ذلك من بعضهم وما ندري ألغة أو لثغة ؟ وجاء في الصحاح : الهس لغة في الحس أو هَنَةٌ (لثغة) ، أقول : فان كانت لثغة أو لكنة فلعلها سندية الأصل ، وقد مرّ بنا أن أبا عطاء السندي كان يقلب الحاء هاء ويقول : مرهبا !

وقد ينشأ القول بالإبدال كاللّثغ عن التصحيف واللكنة ، وربما لا يكون إبدالاً ، فقد جاء في القاموس : الشَّفَلّع كالشَّعَلّع زنةً ومعنى ، ثم قال المجد : أو

هذه تصحيف ، والصواب الشَّمَلَّعُ ، وكثيراً ما يقول علماء اللغة مثل هذا ، وقال محمد بن المكرّم في لسانه (دشش) : الدشّ اتخاذ الدشيشة ، وهي لغة في الجشيشة ، قال الأزهري : ليست بلغة ولكنها لكنة ، فلو أن صاحب التهذيب ألف في الإبدال لأدخل (الدشيشة والجشيشة) في باب (الجيم والدال) من إبداله ، ولولا الأخذ بالحديث لتحقيق اللغة لما رجع الأزهري عن قوله في الدشيشة (ولكنها لكنة) ، فقد استشهد بعد ذلك على أنها لغة بقوله : وروي عن أبي الوليد بن طَخْفَةَ الغفاري أنّ النبيّ (ﷺ) قال لخمسة من أصحاب الصفة دعاهم الى منزله : « انطلقوا » قال : فانطلقنا الى بيت عائشة ، فقال : يا عائشة أطعمينا ، فجاءت بدشيشة فأكلنا ... » ثم قال الأزهري : فدل هذا الحديث ان الدشيشة لغة في الجشيشة انتهى ؛ وكثيراً ما لا يتفق لعلماء اللغة الاطلاع على حديث صحيح يصحح آراءهم في نظائر الإبدال .

الإبدال ونوعاه . — إن الإبدال اللغويّ نوعان : الأول (الإبدال النحويّ أو الصرفيّ) وهو الذي يحدث مع حروف البدل الاثني عشر التي يجمعها قولك : (طال يوم أنجدته) فالطاء تبدل من التاء في افتعل اذا كانت بعد الضاد نحو (اضْطَهَد) أصلها (اضتهد) وزان افتعل ، ونحو (اصطبر) ، وبعد الظاء أيضاً في افتعل نحو (اظطلم) من الظلم ، وهكذا سائر حروف البدل الشامل كما لا يخفى .

قال أبو علي القالي في أماليه : (٢/ ١٨٦) : اللغويون يذهبون الى ان جميع ما أمليناه إبدال ـ أي كدّ ومتّ وقدّ وقطّ ، وقضمَ وكدم ـ وليس هو كذلك عند علماء أهل النحو ، وانما حروف الإبدال عندهم اثنا عشر حرفاً[1] :

---

(١) وابن سيده في مخصصه (١٣ / ٢٦٧) يجعلها ثلاثة عشر : ثمانية من حروف الزيادة التي يجمعها قولك (اليوم تنساه) تسقط السين واللام من الحروف العشرة ، وخمسة من غيرهن ...

تسعة من حروف الزوائد ، وثلاثة من غيرها ، وأما حروف البدل فيجمعها قولنا : (طال يوم أنجدته) ، وهذا أنا عمله .

تعريف الإبدال اللغوي . — والنوع الثاني ، وهو موضوع بحثنا اللغوي ، ويُراد به « إقامة حرف مقامَ حرف مع إبقاء سائر أحرف الكلمة » فتشترك الكلمتان بحرفين أو أكثر ، ويبدل حرف منها بحرف آخر يقاربه مخرجاً أو صفةً نحو (قضب وقضم ، وقطع وقطم ، وقصب وقصف) مثلاً ، فقد اشترك الزوج الأول (قضب وقضم) بحرفين منها وهما القاف والضاد ، واختلفا بالباء والميم ، وقد ابدل أحدهما من الآخر ، وهما من مخرج واحد ، أي حرفان شفويّان .

ثمَّ إنَّ حرف الابدال الثالث في الكلمات الثلاثية قد يكون فاء الفعل أو عينه أو لامه فمثاله وهو فاء الفعل (خبن وغبن) ، وعين الفعل (رسم ورشم) ، ولام الفعل (قضب وقضم) .

وقد تكون الكلمتان رباعيتين (كَتَوْلَج ودَوْلج) ، والبدل في الحرف الأول منها ، والأحرف الثلاثة الأخرى باقية على حالها ؛ أو خماسيتين والبدل في الحرف الثاني مثلاً نحو (جِرسام وجِلسام) الذي تسميه العامة البِرسام ، ومثال الفعلين السداسيين : (اعرنكس الليل واعلنكس) اذا أظلم ، ومثال الاسمين السداسيين : جُرُبَّان السيف وجلبّانه : قرابه ؛

وقد يكون هذا الإبدال أو التعاقب بين الحروف المتقاربة في المخارج والصفات أو في احدهما ناشئاً عن تطوّر صوتي في مراحل متوالية وأزمنة متعاقبة لأسباب لا يُبتُّ في معرفتها ، وقد يكون التبادل الحرفيّ غيرَ متعمَّد ، وسببه اختلاف القبائل المتكلمة بها ، قال أبو الطيب اللغويّ في مقدمة كتابه الإبدال المشار اليه : ليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمّد تعويض حرف من حرف ، وانما

(١) المزهر (مط عيسى البابي الحلبي) ١/٤٦٠ .

هي لغات مختلفة لمعان متفقة : تتقارب اللفظتان في لغتين لمعنىً واحد ، حتى لا يختلفا إلاّ في حرف واحد ؛ قال : والدليل على ذلك أن قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طوراً مهموزة وطوراً غير مهموزة ، ولا بالصاد مرةً وبالسين أخرى ، وكذلك إبدال لام التعريف ميماً ، والهمزة المصدَّرة عيناً كقولهم في نحو أنْ (عَنْ) ، لا تشترك العرب في شيء من ذلك ، إنما يقول هذا قوم وذاك آخرون ؛

ولم يقتصر الإبدال على الشعر والنثر من كلام العرب فقد جاء في القرآن المبين والحديث أيضاً ، مما يدل على تمكنه من اللغة العربية ووقوعه في جميع طبقات البيان ؛ قال احمد بن فارس في فقه اللغة : من سنن العرب ابدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض : مدحَه ومدهَه ، وفرس رِفلّ ورفنّ ، وهو كثير مشهور قد ألّف فيه العلماء ، فأما قوله تعالى : «فانفلق فكان كل فِرْقٍ كالطود» فاللام والراء متعاقبتان ، كما تقول العرب : فَلَق الصبح وفَرَقَه ؛ وذُكر عن الخليل ولم أسمعه سماعاً أنه قال في قوله تعالى : «فجاسوا خلال الديار» إنما أراد : فحاسوا ، فقامت الجيم مقام الحاء .

ومن فوائد الإبدال : أن معرفته قد تدفع الاتهام بالتصحيف ، وقد وقع ذلك لكثير من أئمة اللغة ، وبفضل اطلاعهم على أسرار الإبدال أحسنوا الدفاع عن أنفسهم ، فقد جاء في اللسان (عدف)[1] : قال أبو حسان سمعت أبا عمرو الشيباني يقول : ما ذقت عدوفاً ولا عَدوفة ، قال : وكنت عند يزيد بن مزيد الشيباني فأنشدته بيت قيس بن زهير :

وَمُجَنَّباتٍ ما يَذُقْنَ عَدوفةً يقذِفْنَ بالمُهُرات والأمهارِ

بالدال ، فقال لي يزيد : صحَّفتَ يا أبا عمرو ، إنما هي عذوفة بالذال ،

(١) وانظر ابدال ابن السكيت ص ٥٤ ، قال صاحب اللسان : وهذا البيت في التهذيب منسوب الى قيس بن زهير كما أورده ، وقد استشهد به ابن برّي في أماليه ، ونسبه الى الربيع بن زياد .

قال فقلت له : لم أصحّف أنا ولا أنت ، تقول ربيعة هذا الحرف بالذال ، وسائر العرب بالدال .

ومن فوائد الإبدال اللغوية أو الاشتقاق الكبير أنه قد ينتفع به في وضع المصطلحات العلمية ، وذلك بتخصيص اللفظتين المتعاقبتين لمسميين متشابهين في العمل ، وبينهما علاقة معنوية . مثال ذلك ما جاء في لسان العرب (ارث) قال : والأُرَث والأُرف : الحدود بين الأرَضين ، واحدتها : أُرثة وأُرفة ، فيجوز أن نضع (الأُرثة) لكلمة Borne أي المنار بين الأرضين المتجاورتين دفعاً للنزاع بين الجارين ، و (الأُرفة) للحد بين البلدتين أو الدولتين ، وبلدة (أرفة) اليوم وهي الرُّها قديماً ، واقعة بين إقليمنا الشاميّ وتركية مثلاً . قال ابن سيده : وأرَّث الأرضين : جعل بينهما أُرثة ، وقد وضع المعجم الزراعيّ لصديقنا ورئيس مجمعنا الأمير الشهابيّ كلمة (التأريث) مقابل Abornage بالفرنسية ، ويراد بها وضع المنار بين الأرضين ، وجعل (التأريف) لما يقابل Cadastre) ، وفي طبيعة لغتنا العربية لجواهر مناجم تحتاج اليها المعاجم أبداً .

وجاء في كتاب الاشتقاق[1] لعبد الله أمين (ص ٣٧٠) بعد أن بحث عن الإبدال ، وضرب مثالاً لما يمكن أن ينتفع به في اشتقاق اسمين لمسميين متشابهين في الشكل والعمل أو في أحدهما بقوله :

مثال ذلك : الغُمْنة والغُمرة ، وهما لَبَن تطلي به المرأة وجهها ويديها حتى تَرِقّ بَشَرتها . يمكن أن يسمى المسحوق الذي يَطلي به السيدات وجوههن وأيديهن (غُمرة)[2] ، والمعجون الذي يستعمل استعماله : (غُمْنة) بإبدال النون من الراء لتقاربهما مخرجاً وصفةً ، انتهى . عز الدين التنوخي



(١) من أمتع ما وضع في الاشتقاق ، وهو غير الصرف والنحو ، لأنه يبحث عن أصول الكلمات وفروعها وصوغ بعضها من بعض ، وفيه بحث عن الابدال والقلب .

(٢) واليوم تسمى (بودرة) من Poudre ، والمعجون (كريمة) من Crème الفرنسية وهي القشدة .

العربية بين الفصحى والعامية

وكتاب رد العامي الى الفصيح

كان شيخنا وزميلنا في المجمع العلمي العربي : الأستاذ أحمد رضا قد وضع قبيل انتقاله الى رحمة الله ـ كتابه «رد العامي الى الفصيح» وهو كتاب قيم مفيد خدم به العربية خدمة جليلة ، وُفِّق فيها توفيقاً مشكورا .

وسبقت لنا كلمة في هذا الكتاب ، رأيت أن أنقل بعضها ، وأضيف اليها ما لا بد منه ، مما يتصل بموضوعنا ، نزولاً عند رغبة من لا أرى لي مندوحة عن اجابة طلبه .

وخليق بمن يهتمون بهذه العربية ، ويغارون عليها ، أن يدافعوا عنها في كل مناسبة تعرض ، بعد أن استشرى داء بعض المستشرقين الاستعماريين في العمل على افساد لغتنا ، بالدعوة الى العامية ، وتفضيلها على الفصحى ، تمزيقاً للوحدتين : القومية واللغوية ، وبعد أن كثر بين العرب من ينزعون نزعتهم ، عن سوء نية ، أو سلامة طوية .

وقد عدّدوا الأبواب التي يريدون أن يدخلوا منها الى حرم العربية فيدنسوا مقدساتها ويفسدوا أوضاعها ، ويغيروا أشكالها ، فاذا سُدّ عليهم باب ، وأعيتهم فيه حيلة ، عمدوا الى باب آخر لعلهم يجدون فيه الثغرة التي أعوزتهم في محاولتهم تلك . ومن المؤلم : أن عدد هؤلاء المدامين يزداد يوماً بعد يوم ، ويقبل الناس على الاستماع اليهم ، ومن يدري اذا تمادى بهم الأمر وظل رجال العربية ساكتين عنهم ـ سواء أكان سكوت ازدراء أو اعراض ـ

أن يبلغوا في يوم من الأيام ما يريدون أو بعضه[١] ، ومتى وجد الخرق فمن يضمن أن لا يتسع على الراقع .

ومن غرائب هذه المحاولات في الفترة الأخيرة ، قيام فئة تريد ـ على زعمها ـ اصلاح الاملاء العربي . كأن هذا الإملاء السهل الواضح الصريح ، المبني على أسس راسخة ، وقواعد ثابتة ، يحتاج الى من يصلحه ، وأوجع ما كان من هذا ، أن نفراً ممن يوثق بعربيتهم وبعروبتهم ، لا يتهمون بعجز في اللغة ، وهم من أقطابها ، ولا تطالهم تهمة في غيرتهم على العربية واخلاصهم لها ، قد ذهبوا في مؤتمر المجامع اللغوية العربية الذي عقد في دمشق هذا المذهب ، وقالوا بهذا التجديد الهدام ، وهو شيء يحار الانسان في فهمه ، ولا يعرف كيف يفسره ، ولا على أي محمل يحمله ، واذا كانت العربية يظنها أعرف الناس بأسرارها ، ومن كان عليه أن يكون من أشد القوم حفاظاً على آثارها ، فما ظنك بالجاهلين والهدامين .

هذه اللغة التي تلفظ حروفها كما تكتب ، لا يتبدل النطق بها أين وقعت وكيف وقعت ، وللهمزة التي يجعلها العاجزون حجة على الصعوبة ، قواعد معروفة ، وصورة حية ماثلة ، وللتائين المبسوطة والمعقودة ، وللألف المقصورة والممدودة ، قاعدة معروفة أيضاً لا تختلف ولا تتغير . يسهل حفظها ، والجري عليها . على من شدا شيئاً من العربية ، أو حفظ القليل من قواعدها .

وهؤلاء الذين لا يرضيهم هذا الإملاء العربي الواضح ، راضون عن الإملاء في اللغات الأجنبية التي يعرفونها ، رضاء أبناء هذه اللغات نفسهم عنه ، على ما في هذا الإملاء من شذوذ في حروفه وفي تراكيبها . يختلف لفظ

(١) كثرت في الفترة الأخيرة الكتابة باللغة العامية والخطابة بها ، وهبط الشعر الى دركة ساوى فيها الزجل بل انحط عنه .

الحرف الواحد باختلاف موقعه ، فينتقل الحرف من لفظ الى لفظ آخر لا نسبة بينهما ، وتلفظ الحرف عندهم ولا تكتبه ، وتكتب الحرف والأحرف ولا تلفظها . وعلى الجملة فالإملاء في لغاتهم وهو ما فصلنا بعضه ، في الكلمة التي ألقيناها في مؤتمر المجامع اللغوية ـ شذوذ في شذوذ ، وقد شرفت العربية عنه ، وعافاها الله وعافانا منه .

رضوا بهذا الإملاء الذي يسميه أحد علمائهم[1] Chinoiserie ولم يرضوا لنا ولا رضي بعضنا بهذا الإملاء العربي بصيغته السهلة ، وقواعده البينة .

على أن من الغرائب المؤلمة هذه التعمية المعيبة ، التي نحن عليها ، وهذا الاستسلام المخزي الذي نستسلمه ـ غير منكرين ولا مدافعين ـ كلما انتقد العربية منتقد منا ، أو من غيرنا .

جرى بعض المدرسين ـ فترة من الزمن ـ على لفظ بعض الحروف العربية لفظاً أجنبياً ، وهي طريقة لا وجه لها ، ولا يستقيم لها اتساق . ورأى آخرون ان تلفظ الحروف العربية لفظاً صوتيا . وهو أسلوب قد يكون مفيداً ، ولا اعتراض لنا عليه ، فالمدرسون القائمون على عملهم أدرى منا بما هو الأوفق والأصلح .

ولكن اعتراضنا على الانتقاد الذي زعموه سبباً لهذا التبديل في التلفظ . يقولون لك :

من شذوذ العربية ! . . . . . ان حروفها لا انسجام بينها مفردة ومركبة . وهو ما لا مثيل له في سائر اللغات . فاذا قلت (عين) أو (سين) أو (قاف) أو (كاف) ومثلهن كثير فكيف توفق بين حرف من هذه الأحرف في

(١) قالها أحد علماء الفرنسيين ، والافرنسية أكثر لغات الغرب تكلفاً وتهذيباً ، فما عسى ان يقال في غيرها و « Chinoiserie » من معانيها القياس الغريب المرتبك .

حالة الإفراد، وبينه وبين لفظه في حالة التركيب ؟ فاذا قلت : عالم مثلاً أو سالم فأين ذهبت الياء والنون ؟ . . . . . وأين ذهبت (الألف) و (الفاء) و (القاف) و (الكاف) في (قائل) و (كافل) وأمثالها ؟

ولسنا هنا في بيان السبب الذي من أجله سمّي كل حرف باسمه الذي أطلق عليه، ولا نحن بالذين يزعمون أن العربية بحروفها وألفاظها، وُضعت أول ما وُضعت وضعاً علمياً من سائر وجوهها ووجوهه، ولا بالمعترضين على الحروف تلفظ لفظاً صوتياً .

ولكنا نقول : ان العربية لم تشذ في هذا عن سائر اللغات التي جاءت بعدها، ولا انفردت به . فما يجوز أن يؤخذ على العربية، يجب أن يؤخذ على الحروف في جميع اللغات، فهي في حال تركيبها تخالف ما كانت عليه في حالة افرادها فتسقط من الحرف مركباً مثل ما تسقط منه في العربية بل ما يزيد[1] .

ونخلص بعد هذا الى ما يجب على العرب من صيانة لغتهم والحفاظ عليها، وتسفيه الاعتراضات التي يوردها بعضهم تعصباً أو جهلاً . وأول هذه الواجبات وأولاها بالعناية، نشر العربية الفصحى واستعمالها استعمالاً صحيحاً في المجالس العلمية والرسمية، وفي المؤتمرات، وفي حلقات الأدباء والمتأدبين ومناقشاتهم .

فالعرب لن تستقيم لهم لغتهم ما دامت لغتين مختلفتين : لغة عامية، ولغة فصيحة . وهذا ما يجعل العرب يعانون في تعلم لغتهم وفي ضبط ألفاظها ما يقرب مما يعانون في تعلم لغة غريبة عنهم[2] . فالحاجة الى تقريب مسافة الخلف بين اللغتين، حاجة ملحة ولا سيما في زماننا هذا الذي صار فيه العالم وكأنه وطن واحد،

(١) خذ مثلاً (Z) و (Y) وغيرها . فهل تستطيع ان تحتفظ لها مركبة بصيغتها مفردة ؟
(٢) من كلمتنا في هذا الموضوع نشرتها العرفان سنة ١٩٥٢ .

اذا أصيب منه قطر فكأنما أصيبت أقطاره جميعاً في تجارتها واقتصادياتها وسائر مرافقها . فكيف بالأقطار العربية !

ومن وسائل هذا التقريب ، النظر في الكلمات العامية ، وتصحيحها ، ورد ما فيها من خطأ في الفصيح . وقد عني هذا الموضوع جمهرة من علماء العربية من المتقدمين والمتأخرين ، ولعل أول من كتب في هذا من المتأخرين وجمله كتاباً برأسه ، الشيخ خليل اليازجي ، ولست أعرف أطبع كتابه أم بقي مخطوطاً ، والأستاذ رشيد عطيه في كتابه الدليل في العامي والدخيل[1] وقد طبعه ، والأستاذ عيسى المعلوف ؛ وما كتبه نشر بعضه في مجلته (الآثار) وسائره لا يزال مخطوطاً ، والأمير شكيب أرسلان وكتابه موسوم بـ «القول الفصل في رد العامي الى الأصل» وهو مخطوط لم يطبع بعد[2] . ثم كتاب الشيخ احمد رضا «رد العامي الى الفصيح» وهو الكتاب الذي نحن في بحثه الآن .

وهذا الكتاب تظهر بجوثه ما كابده صاحبه من مشقة ، وما اقتضاه من عنت ومراجعة وصبر وأناة .

رتب المؤلف كتابه على الحروف الهجائية ، ولنا أن نقسم بحوثه ثلاثة أقسام :

١ — الكلمات التي تكثر العامة من استعمالها ، حتى يخيل الى بعض الخاصة انها عامية ، وليست كذلك . حدد ذكر مصادرها ، واستشهد على صحتها بشواهد من كلام العرب الأقدمين .

٢ — الكلمات الصحيحة في الأصل وحرفتها العامة . فهذه ردها الى أصلها الصحيح .

٣ — ما ليس بصحيح ولا بعربي ، وجاء له بما هو في معناه مما استعملته العرب .

(١) هذا اسمه فيما اذكر ولعلي على خطأ .

(٢) نشر المجمع العلمي كتاب (بحر العوّام فيما اصاب فيه العوام) لابن الحنبلي الحلبي المتوفى سنة ٩٧١ هـ بتحقيق التنوخي . « مجلة المجلة »

ومثل هذا الجهد الذي عاناه المؤلف لا يجوز أن يمر به مروراً عابرا ، كلمة ثناء مجملة وينتهي الأمر . بل يستحق دراسة دقيقة تقديراً لعمل أستاذنا الجليل .

هذا ما حملنا على مراجعته في بعض ألفاظ رأينا فيها غير رأيه ، قد يكون مردُّ أكثرها الى اختلاف اللهجات العامية ، في مختلف الأقطار العربية . بل الى اختلافها حتى في القطر الواحد . كان هذا ، على أن تابع الملاحظات شيئاً فشيئا . غير أن الموت عاجله رحمه الله ، قبل أن يبدي رأيه ، في ما أبدينا رأينا فيه ، وها نحن أولاء نعيد بحثنا ونتابعه من حيث وقفنا . فقد يكون بين المشتغلين في هذه الموضوعات من يرى رأينا ، أو يصحح ما وهمنا فيه .

فمن هذه الكلمات التي ترددنا فيها :

تمألس : قال المؤلف : « ويقولون تمألسه وتمألس به ، اذا سخر به وهزأ . فكأنه ينزله منزلة المألوس وهو المجنون . وفي اللغة : ألس ألساً : الرجل فهو مألوس . اذا اختلط وذهب عقله . والالاس الجنون . وتمألسه هذه بمعنى جعله كالمألوس . فعبث به وسخر منه كما يعبثون بالمجنون ، والميم زائدة لأنها صيغت من المألوس على توهم الاصالة » اهـ الصفحة الـ ٨ .

المقلسة : وقال في الصفحة الـ ٣٨٥ : « وقالوا تمقلس عليه ، اذا سخر منه ، أو تنادر معه منادرة فيها سخرية . وهو من (ألقسه) يلقسه لقساً اذا عابه وشتمه ، واذا سخر منه أو لقبه باللقب الرديء . أو هي تمألس بالهمزة راجعم ا . ل ـ س . اهـ » .

قلنا : هذا التردد في رد الكلمة الى أصل فصيح ، وهذا التخريج ـ الذي فيه ، في رأينا ـ شيء من التكلف يحملنا على التفتيش لها عن أصل آخر .

والذي نراه أن « المقلسة » هي بالقاف لا بالهمزة ، على ما نلفظها الى اليوم

عامة بني معروف ، ومن يجاورهم من أهل الشوف ، وعلى ما جاءت أخيراً في الصفحة ال ٣٨٥ من الكتاب .

وفي لسان العرب « التقليس : ضرب اليدين على الصدر خضوعاً ... » و « الانحناء ... » وهو ما يفعله المستهزئون بمن يستهزئون بهم . أفلا يكون رد تمقلس الى قلس اقرب منه الى « ألس » أو « لقس » ؟

أطم : ومن هذه البابة (اطم) بمعنى قطع ردها المؤلف الى (اتم) وقال : « وفي اللغة : أتم الشيء قطعه ... » قلنا : وقد تكون (قطم) بالقاف ، أقرب ، وقد ذكرها الأستاذ ، ومرّ بها وكأنها لم ترضه .

فأى : قال : (فأى الدملة والقرحة) اذا شقها ، فانفأت . وهو من قول العرب فأى رأسه : اذا فلقه بالسيف ، أو بالعصا ، ونحوهما ، نقله الجوهري عن أبي زيد .

وفي اللسان : قال الليث : فأوت رأسه فأواً وفأيته فأياً اذا فلقته بالسيف . وقيل هو ضربك قحفه حتى ينفرج عنه الدماغ ، والانفياء الانفراج ..

قلنا : أقرب من هذا ، وأقل سنداً في التخريج ، أن ترد (فأى) الى (فقأ) . وفي اللسان : فقأ العين ، والبثرة ونحوهما ، يفقؤهما فقأ .. قلعها وبخقها[1] ...

وفي الحديث : لو أن رجلاً اطلع في بيت قوم بغير اذنهم ففقؤوا عينه لم يكن عليهم شيء .. وكانت العرب في الجاهلية ، اذا بلغ ابل الرجل منهم ألفاً ، فقأ عين بعير منها وسرحه حتى لا ينتفع به .

والعامة في بني معروف الى اليوم تستعمل هذه اللفظة على وجهها الصحيح . فتقول (فقأ) الدملة والعين ونحوهما . غير أنها تستعملها مسهلة بلا همزة[2] .

(١) البخق (بالتحريك) اقبح ما يكون العور .

(٢) كما تستعمل (فور) وهي صحيحة ، و (فقر) ولها وجه . يقال فقر الخرز اي ثقبه - وحزه - واثر فيه . ومن هنا اخذت العامة قولها (فقر عينه) .

دوبل : ويرى الأستاذ ان (دوبل) بمعنى أطرق برأسه الى الأرض ، أخذته العامة من الدوبل وهو الخنزير . لأنه من عادة الخنزير أن يكون مطأطئ الرأس .

قلنا : لعل الأقرب أن تكون (دوبل) من (ذبل) بالذال المنقوطة . وفي اللسان : ذبل النبات والغصن والانسان ، يذبل ذُبولاً دق بعد الري ، فهو ذابل ، أي ذوي . وكذلك (ذبل) ... وأذبله الحر ...

والعامة عندنا تقول (ذبلان) و (مذوبل) اذا أطرق لتعب أو علة أو خجلاً وانكساراً

عارف النكدي

ثقافة الأطباء عند العرب

- ٣ -

«وتعهدت المرضى ، فانفتح علي من أبواب المعالجات المقتبسة من التجربة ما لا يوصف . وأنا مع ذلك أختلف الى الفقه وأناظر فيه . وأنا في هذا الوقت من أبناء (ست عشرة سنة) ، ثم توفرت على العلم والقراءة سنة ونصفا ، فأعدت قراءة المنطق وجميع أجزاء الفلسفة ، وفي هذه المدة ما نمت ليلة واحدة بطولها ، ولا اشتغلت في النهار بغيره ، وجمعت بين يدي ظهوراً . فكل حجة كنت أنظر فيها أثبت مقدمات قياسية ، ورتبتها في تلك الظهور ، ثم نظرت فيما عساها تنتج وراعيت شروط مقدماته حتى تحقق لي حقيقة الحق في تلك المسألة ، وكلما كنت أتحير في مسألة ولم أكن أظفر بالحد الأوسط في قياس ترددت الى الجامع وصليت وابتهلت الى مبدع الكل حتى فتح لي المنغلق وتيسر المتعسر ، وكنت أرجع بالليل الى داري وأضع السراج بين يدي وأشتغل بالقراءة والكتابة فمهما غلبني النوم أو شعرت بضعف ، عدلت الى شرب قدح من الشراب ريثما تعود الي قوتي ، ثم أرجع الى القراءة ، ومهما أخذني أدنى نوم أحلم بتلك المسائل بأعيانها ، حتى أن كثيراً من المسائل اتضح لي وجوهها في المنام ، وكذلك حتى استحكم معي جميع العلوم ووقفت عليها بحسب الامكان الانساني ، وكل ما علمته في ذلك الوقت فهو كما علمته الآن لم أزدد فيه الى اليوم حتى أحكمت علم المنطق ، والطبيعي ، والرياضي ، ثم عدلت الى الالهي وقرأت كتاب «ما بعد الطبيعة» فما كنت أفهم ما فيه والتبس علي غرض

واضعه حتى أعدت قراءته أربعين مرة وصار لي محفوظاً ، وأنا مع ذلك لا أفهمه ولا المقصود به ، وأيست من نفسي وقلت هذا كتاب لا سبيل الى فهمه . وإذ أنا في يوم من الأيام حضرت وقت العصر في الوراقين وبيد دلاّل مجلد ينادي عليه فعرضه علي فرددته ردّ متبرم معتقداً أن لا فائدة في هذا العلم . فقال لي اشتر مني هذا فانه رخيص أبيعكه بثلاثة دراهم وصاحبه محتاج الى ثمنه ، فاشتريته فاذا هو كتاب « لأبي نصر الفارابي » في أغراض كتاب « ما بعد الطبيعة » ورجعت الى بيتي وأسرعت قراءته فانفتح علي في الوقت أغراض ذلك الكتاب بسبب أنه كان لى محفوظاً على ظهر القلب . وفرحت بذلك وتصدقت في ثاني يوم بشيء كثير على الفقراء شكراً لله تعالى . وكان سلطان بخارى في ذلك الوقت نوح بن منصور واتفق له مرض حار فيه الأطباء ، وكان اسمي اشتهر بينهم بالتوفر على القراءة فأجروا ذكري بين يديه وسألوه إحضاري ، فحضرت وشاركتهم في مداواته ، وتوسمت بخدمته . فسألته يوماً الإذن لي في دخول دار كتبهم ومطالعتها وقراءة ما فيها من كتب الطب ، فأذن لي ، فدخلت داراً ذات بيوت كثيرة في كل بيت صناديق كتب منضدة بعضها على بعض ، في بيت كتب العربية والشعر ، وفي آخر الفقه ، وكذلك في كل بيت كتب علم مفرد ، وطالعت فهرست كتب الأوائل ، وطلبت ما احتجت اليه ، ورأيت من الكتب ما لا يقع اسمه الى كثير من الناس قط ، ولا رأيته قط ولا رأيته من بعد ، فقرأت تلك الكتب ، وظهرت فوائدها وعرفت مرتبة كل رجل في علمه . فلما بلغت ثماني عشرة سنة من عمري فرغت من هذه العلوم كلها ، وكنت اذ ذاك للعلم أحفظ ولكنه اليوم معي أنضج والا فالعلم واحد لم يتجدد لي بعده شيء . وكان في جواري رجل يقال له أبو الحسن العروضي فسألني أن أؤلف له كتاباً جامعاً في هذا العلم فصنفت له المجموع

وسميته به ، وأتيت به على سائر العلوم سوى الرياضي ولي إذ ذاك احدى وعشرون سنة من عمري ، وكان في جواري أيضاً رجل يقال له أبو بكر البرقي ، خوارزمي المولد ، فقيه النفس توحد في الفقه والتفسير والزهد ، مائل الى هذه العلوم . فسألني شرح الكتب فصنفت له كتاب « الحاصل والمحصول » في قريب من عشرين مجلدة ، وصنفت له في الأخلاق كتاب سميته كتاب « البر والاثم » وهذان الكتابان لا يوجدان إلا عنده فلم يعرفها أحد ينتسخ منهما . ثم مات والدي وتصرفت بي الأحوال وتقلدت شيئاً من أعمال السلطان ودعتني الضرورة الى الارتحال عن « بخارى » والانتقال الى « كركانج » وكان أبو الحسين السهلي المحب لهذه العلوم بها وزيراً وقدمت الى الأمير بها وهو علي بن المأمون وكنت على زي الفقهاء إذ ذاك بطيلسان وتحت الحنك وأثبتوا لي مشاهرة دارة تقوم بكفاية مثلي . ثم دعت الضرورة الى الانتقال الى « فسا »[1] ومنها الى « باورد »[2] ومنها الى « طوس »[3] ومنها الى « شقان »[4] ومنها الى « سمنقان »[5] ومنها الى « جاجرم »[6] رأس حد خراسان ومنها الى « جرجان »

---

(١) فسا : أو بسا : كلمة أعجمية معناها الرياح الشمالية وهي مدينة بفارس قريبة من شيراز بأربعة مراحل تابعة لكورة دارابجرد . معجم البلدان ٦ : ٣٧٦ .

(٢) باورد : وهي أبيورد بلد بخراسان .

(٣) طوس : مدينة بخراسان أيضاً بينها وبين نيسابور عشرة فراسخ وبها قبر هارون الرشيد وعلي بن موسى الرضي (معجم البلدان) .

(٤) شقان : بلدة من نيسابور . ويقال شقان بالكسر لوجود جبل فيها ينشق عنه ماء وجبل آخر ينشق عنه ماء .

(٥) سمنقان : بلدة بالقرب من جاجرم من أعمال نيسابور في بلاد العجم .

(٦) جرجان : مدينة شهيرة بين جرجستان وخراسان وكان أول من أحدث بناءها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ومنها خرج البرمكي (معجم البلدان) .

وكل قصدي الأمير قابوس[٢] وحبسه في القلاع وموته هناك . ثم مضيت الى « دهستان » ومرضت بها مرضاً صعبا وعدت الى « جرجان » واتصل أبو عبيد الجوزجاني بي وأنشأت في حالي قصيدة فيها بيت القائل :

لما عظمت فليس مصر واسعي لما غلا ثمني عدمت المشتري »

وفي جرجان صنف كتاب « المبدأ والمعاد » وكتاب « الأرصاد الكلية » وكتباً كثيرة كأول القانون ومختصر المجسطي وكثيراً من الرسائل ، ثم صنف في أرض الجبل بقية كتبه ، ثم انتقل الى الري واتصل بخدمة السيدة وابنها مجد الدولة وكان به مرض تغلب السوداء عليه فاشتغل بمداواته وأقام بها الى أن قصد شمس الدولة بعد قتل هلال بن بدر بن حسنويه وهزيمة عسكر بغداد ، ثم اتفقت أسباب أوجبت الضرورة لها خروجه الى قزوين ومنها الى همذان واتصاله « بكذبانويه » والنظر في أسبابها ، ثم اتفق معرفة شمس الدولة واحضاره مجلسه بسبب قولنج كان قد أصابه وعالجه حتى شفاه الله تعالى وفاز من ذلك المجلس بخلع كثيرة وعاد الى داره بعد ما أقام هنالك أربعين يوماً بلياليها وصار

---

(١) الأمير قابوس : هو أبو الحسن قابوس بن وشمكير بن زياد بن وردان شاه الجيلي الملقب شمس المعالي . أمير جرجان وبلاد الجبل وخراسان ، وليها سنة ٣٦٦ ه واكتسح عضد الدولة البويهي مملكته سنة ٣٧١ ه ، واستعادها قابوس سنة ٣٨٨ ه ، فاشتد في معاقبة من خذلوه في حربه مع عضد الدولة فنفى من شعبه وقامت الثورة لخلعه القواد وولوا ابناً له ورضوا باقامته في احدى القلاع الى أن مات عام ٤٠٣ ه وهو ديلمي الأصل ، متعرب ، نابغة في الأدب والانشاء ، وله شعر جيد في العربي والفارسي وكتاب يجري رسائله سمي (كمال البلاغة) مطبوع . عن كتاب الأعلام ٢ : ٧٨٠ .

من ندماء الأمير [1] ، ثم اتفق نهوض الأمير شمس الدولة الى قرمسين لحرب عناز وخرج الشيخ في خدمته ثم توجه نحو همذان منهزماً راجعاً . ثم سألوه تقلد الوزارة فتقلدها ، ثم اتفق تشويش العسكر عليه واشفاقهم منه على أنفسهم فكبسوا داره وأخذوه الى الحبس وأغاروا على أسبابه وأخذوا جميع ما يملكه وسألوا الأمير قتله فامتنع منه وعدل الى نفيه عن الدولة طلباً لمرضاتهم ، فتوارى في دار الشيخ أبي سعد بن دخدوك أربعين يوماً فعاود الأمير شمس الدولة القولنج وطلب الشيخ فحضر مجلسه فاعتذر الأمير اليه بكل الاعتذار فاشتغل بمعالجته وأقام عنده مكرماً مبجلاً وأعيدت اليه الوزارة ثانياً ، ثم سأله أبو عبيد الجوزجاني وهو صاحبه ، شرح كتب أرسطوطاليس فذكر أنه لا فراغ له الى ذلك في ذلك الوقت ، ولكن إن رضي منه بتصنيف كتاب يورد فيه ما صح عنده من هذه العلوم فعل بلا مناظرة المخالفين ولا اشتغال بالرد عليهم ، وقد رضي المومى اليه فابتدأ بالطبيعيات من كتاب سماه « الشفاء » وكان قد صنف الكتاب الأول من القانون وكان يجتمع كل ليلة في داره طلبة العلم وكان الجوزجاني يقرأ من الشفاء ويقرئ غيره من القانون نوبة ، فاذا فرغوا حضر

---

(١) الأمير شمس الدولة : هو أبو طاهر بن فخر الدولة البويهي حاكم حمدان وهمذان وكرمانشاه اضطرمت الفتن في أيامه فاستبد عليها بحاكم أصفهان علاء الدين أو علاء الدولة من بني كاكويه فنجدوه وأخذوا الحكم منه سنة ٤١٥ ه . وأما الأمير مجد الدولة فهو أبو طالب رستم بن فخر الدولة علي بن ركن الدولة حسن بن بويه . ثامن ملوكهم . خلف والده عام ٣٨٧ على حكومة العراق وتغلب على خراسان ولما جلس على عرش الحكم كان صبياً فأدارت والدته (سيدة خاتون) الحكم مكانه ولما بلغ أشده تولى هو بذاته الملك وبقي (٣٣) سنة فيه . وفي عام ٤٢٠ حاربه السلطان محمود الغزنوي بالقرب من الري وغلبه وأخذه أسيراً ثم آلت خراسان والعراق الى السبكتكين . عن قاموس الأعلام - مجلد (٦) .

المغنون على اختلاف طبقاتهم وهيء مجلس الشراب بآلاته وكانوا يشتغلون به • وكان التدريس بالليل لعدم الفراغ بالنهار خدمة للأمير فقضى على ذلك زمناً •

ثم توجه شمس الدولة الى (طارم) [1] لحرب الأمير بها وعاوده القولنج قرب ذلك الموضع واشتد عليه ، وانضاف الى ذلك أمراض أخرى جلبها سوء تدبيره وقلة القبول من الشيخ فخاف عسكره وفاته ورجعوا به طالبين همذان في المهد فتوفي في الطريق في مهد ثم بويع ابن شمس الدولة وطلبوا استيزار الشيخ فأبى عليهم وكاتب علاء الدولة [2] سراً يطلب خدمته والانضمام الى جوانبه وأقام في دار أبي غالب العطار متوارياً وطلب منه صاحبه الجوزجاني اتمام كتاب الشفاء ، فاستحضر أبا غالب وطلب الكاغد والمحبرة فأحضرهما وكتب الشيخ في قريب من عشرين جزءاً على الثمن بخطه رؤوس المسائل وبقي فيه يومين حتى كتب رؤوس المسائل كلها بلا كتاب يحضره ولا أصل يرجع اليه ، بل من حفظه وعن ظهر قلبه • ثم ترك الشيخ تلك الأجزاء بين يديه وأخذ الكاغد فكان ينظر في كل مسألة ويكتب شرحها ، فكان يكتب كل يوم خمسين ورقة حتى أتى على جميع الطبيعيات والإلهيات ماخلا كتابي الحيوان والنبات ،

---

(١) طارم : أو تارم : كورة واسعة في الجبال بين قزوين وجيلان . فيها قرى كثيرة وجبال وعرة وليس فيها مدينة مشهورة . وفي معجم البلدان انها أيضاً بليدة أخرى في آخر حدود فارس من جهة كرمان . وبين تارم وشيراز ٨٢ فرسخاً • ويقول صاحب (قاموس الأعلام) أن (طارم) هو نهر تابع لتركستان الشرقية يتألف بين كاشغر ويارقند ثم يتصل (بقره صو) متجهاً الى الشرق وبعد أن تصب عليه أنهر الشمال يشكل بحيرة ومنها يجري الى الجنوب الشرقي .

(٢) علاء الدولة : ملك الري عام ٥١٦ هـ وهو ابن فرامز بن علي بن فرامز ، وفي زمانه عاش الخيام والغزالي والنظام .

واجداً بالمنطق وكتب منه جزءاً ثم اتهمه تاج الملك[1] بمكاتبته علاء الدولة فأنكر عليه ذلك وحث في طلبه فدل عليه بعض أعدائه فأخذوه وأدوه الى قلعة يقال لها «فردجان» وأنشأ هنالك قصيدة منها :

دخولي في اليقين كما تراه   وكل الشك في أمر الخروج

وبقي فيها أربعة أشهر ثم قصد علاء الدولة همذان وأخذها وانهزم تاج الملك ومر الى تلك القلعة بعينها، ثم رجع علاء الدولة عن همذان وعاد تاج الملك وابن شمس الدولة الى همذان وحملوا معهم الشيخ الى همذان ونزل في دار العلوي واشتغل هنالك بتصنيف المنطق من كتاب الشفاء ، وكان قد صنف في القلعة كتاب الهدايات ورسالة حي بن يقظان وكتاب القولنج . وأما الأدوية القلبية فانما صنفها أول وروده الى همذان .

وكان قد تقضى على هذا زمان وتاج الملك في أثناء هذا يمنيه ويعده بمواعيد جميلة ، ثم عن للشيخ التوجه الى أصفهان فخرج متنكراً هو وأخوه وصديقه وغلامان معه في زي الصوفية الى أن وصلوا الى طبران على باب أصفهان بعد أن قاسوا شدائد الطريق فاستقبلهم أصدقاء الشيخ وندماء الأمير علاء الدولة وخواصه وحمل اليه الثياب والمراكب الخاصة وأنزل في محل يقال له (كونكبند) في دار عبد الله بن باني وفيها من الآلات والفرش ما يحتاج اليه . وحضر مجلس علاء الدولة فصادف في مجلسه الإكرام والإعزاز الذي

(١) تاج الملك : ويسمى أبو الغنائم مرزبان بن خسرو فيروز وزير ملكشاه السلجوقي . تولى الوزارة بعد الوزير نظام الملك ، وتعين وصياً على ابن ملكشاه الذي كان عمره (٤) سنين ، وفي أثناء تدبيره الملك اتشق أصحاب سلطة نظام وثاروا على الدولة في أصفهان وفي الحرب الذي جرى بين عسكر ابن ملكشاه وبين أنصار نظام الملك انكسر الجيش الأول وهرب تاج الملك الى يزدجرد وهناك استوزره (بركيارق) ولكن قتله جماعة نظام الملك في عام (٤٨٦) . وبركيارق هو ابن ملكشاه وحفيد آلب أرسلان تولى عرش أبيه في ايران عام ٤٨٤ وحكم (١٢) سنة وتوفي وعمره (٤٥) سنة .

يستحقه مثله ثم رسم الأمير علاء الدولة ليالي الجمعات مجلس النظر بين يديه بحضرة سائر العلماء على اختلاف طبقاتهم والشيخ من جملتهم فما كان يطاق في شيء من العلوم . واشتغل في أصفهان بتتميم كتاب الشفاء ففرغ من المنطق والمجسطي (الهيئة) وكان قد اختصر أوقليدس (الهندسة) والأرثماطيقي (الحساب) والموسيقى ، وأورد في كل كتاب من الرياضيات زيادات رأى أن الحاجة اليها داعية . أما في المجسطي فأورد عشرة أشكال في اختلاف المنظر . وأورد في آخر المجسطي في علم الهيئة أشياء لم يسبق اليها ، وأورد في أوقليدس شبها ، وفي الارثماطيقي خواص حسنة ، وفي الموسيقى مسائل غفل عنها الأولون ، وأتم الكتاب المعروف بالشفاء ما خلا كتابي النبات والحيوان فانه صنفهما في السنة التي توجه فيها علاء الدولة الى (سابورخواست) في الطريق . وصنف أيضاً في الطريق « كتاب النجاة » واختص بعلاء الدولة وصار من ندمائه الى أن عزم علاء الدولة على قصد همذان وخرج الشيخ في الصحبة فجرى ليلة بين يدي علاء الدولة ذكر الخلل الحاصل في التقاويم المعمولة بحسب الأرصاد القديمة فأمر الأمير الشيخ بالاشتغال برصد هذه الكواكب وأطلق له من الأموال ما يحتاج اليه ، وابتدأ الشيخ به وولي الشيخ الجوزجاني اتخاذ آلاتها واستخدام صناعتها حتى ظهر كثير من المسائل ، فكان يقع الخلل في أمر الرصد لكثرة الأسفار وعوائقها . وصنف الشيخ بأصفهان كتاب العلائي ، وكان من عجائب أمر الشيخ اذا وقع له كتاب مجدد لا ينظر فيه على الولاء بل كان يقصد المواضع الصعبة منه والمسائل المشكلة فينظر ما قاله مصنفه فيها فيتبين مرتبته في العلم ودرجته في الفهم . وفي يوم من الأيام كان الشيخ جالساً بين يدي الأمير وأبو منصور الجبائي حاضر فجرى في اللغة مسألة تكلم فيها الشيخ بما حضره فالتفت أبو منصور الى الشيخ يقول انك فيلسوف وحكيم ، ولكن لم تقرأ من اللغة ما يرضي كلامك فيها ، فاستنكف الشيخ أبو علي بن سينا من هذا الكلام

وتوفر على درس اللغة ثلاث سنين واستهدى كتاب تهذيب اللغة من خراسان من تصنيف أبي منصور الأزهري ، فبلغ الشيخ في اللغة طبقة قلّما يتفق مثلها ، وأنشأ ثلاث قصائد ضمنها ألفاظاً غريبة من اللغة وكتب ثلاثة كتب أحدها على طريقة ابن العميد والآخر على طريقة الصابي والآخر على طريقة الصاحب ، وأمر بتجليدها وإخلاق جلدها ، ثم أوعز الى الأمير فعرض تلك المجلدة على أبي منصور الجبائي وذكر أنهم ظفروا بهذه المجلدة في الصحراء وقت الصيد فيجب أن يتفقدها ويقول لهم ما فيها فنظر فيها أبو منصور وأشكل عليه كثير من ألفاظها وما فيها ، فقال له الشيخ ان ما تجهله من هذا الكتاب فهو مذكور في الموضع الفلاني من كتب اللغة وذكر له كثيراً من الكتب المعروفة في اللغة كان الشيخ حفظ تلك الألفاظ منها . وكان أبو منصور مجزفاً فيما يورده من اللغة غير ثقة فيها ففطن أبو منصور أن تلك الرسائل من تصنيف الشيخ وان الذي حمله عليه ما جبهه به في ذلك اليوم فتنصل واعتذر اليه .

ثم صنف الشيخ كتاباً في اللغة سماه (لسان العرب) لم يصنف في اللغة مثله ولم ينقله الى البياض حتى توفي فبقي على مسودته لا يهتدي أحد الى ترتيبه . وكان قد حصل لابن سينا تجارب كثيرة فيما باشره من المعالجات عزم على تدوينها في كتاب (القانون) وكان قد علقها على أجزاء فضاعت قبل اتمام كتاب القانون . من ذلك أنه صدع يوماً فتصور أن مادة [1] تريد النزول

(١) يظهر أن الدماغ كان محتقناً وضغط الدم عالياً فخاف من النزف الدماغي وعليه استعمل الثلج وتبريد المحل لهذه الغاية وهو تدبير حكيم لمنع الالتهاب في سحايا الدماغ وفي ايقاف الاحتقان . وقد يكون الورم حاداً في حجاب الدماغ الرقيق والغليظ دون جرمه وان كان جرمه قد يعرض له ورم وليس كما ظن بعض المتطببين أن الدماغ لا يرم ... أما علاماته المشتركة لأصنافه الحقيقية فحمى لازمة يابسة تشتد في الظاهرة على الأكثر وهذيان يفرط تارة وينقطع أخرى وكراهة الكلام وكسلاً منه الى آخر ما وصفه ابن سينا في كتابه وسماه « قرانيطس = Crmatus » ومما وصفه ابن سينا أمراض داء الجنب وخراج الكبد والتهاب الحيزوم وفرق بينهم ، والسكتة الدماغية ، وحمى الثالثة المزمنة .

الى حجاب رأسه ، وأنه لا يأمن وربما يحصل فيه فأمر باحضار ثلج كثير ودقه ولفه في خرقة وتغطية رأسه بها . ففعل ذلك حتى قوي الموضع وامتنع عن قبول تلك المادة وعوفي .

وبينما كان قاصداً علاء الدولة وهو في همذان عاوده القولنج في الطريق الى أن وصل الى همذان وعلم أن قوته قد سقطت وأنها لا تفي بدفع المرض ، فأهمل من اداة نفسه وقال المدبر الذي في بدني - ويعني الطبيعة - عجز عن تدبير بدني فلا تنفعني المعالجة ثم اغتسل وتاب وتصدق بما بقي معه على الفقراء ورد المظالم الى من عرفه من أربابها وأعتق غلمانه . وكان يحفظ القرآن فيختم في كل ثلاثة أيام ثم مات في الجمعة الأولى من رمضان سنة ٤٢٨ هـ ودفن في همذان ، وكان يوم توفي قد بلغ من العمر (٥٨) سنة وفي رواية ابن أبي أصيبعة (٥٣) سنة .

والذي يستنتج من هذه السيرة الحافلة بالأحداث أمور لا يسعنا إغفالها لأن فيها ما ينشر لنا الفهم عن أصول التحصيل الذي كان متبعاً حتى القرن الرابع والخامس ، وماذا كان يتعلم معظم الأطباء . وأما عن ابن سينا هذا الحكيم النابغة والفيلسوف العظيم فيمكن ذكر هذه الأمور الهامة على الوجه الآتي :

أولاً — ان ابن سينا أكمل العلوم وحصّل الطب وهو لا يزال بين السادس عشرة والاحدى وعشرين من عمره ، وان ما تعلّمه من علوم ذلك العصر لم يزدد بعد ذلك ولكنه زاد نضوجاً وتجربة .

ثانياً — ان قوة الحفظ والتذكر ، والتحري ، والقياس ، والفهم ، كانت فيه قوية ونادرة المثال بين الأطباء والحكماء . يدلنا على ذلك حفظه القرآن ، واستظهاره كتب اللغة والفقه والحديث والعروض ، ثم اطلاعه على ما ترجم من الكتب اليونانية والفارسية وحفظه علومها وحفظه كتاب (ما وراء الطبيعة) للفارابي وقراءته أربعين مرة حتى فتح عليه مغاليق قضاياه .

ثالثاً — اطلاعه على الفلسفة والعلوم الإلهية وتبحره في مسائلها وتصنيفه الكتب الكثيرة عنها .

رابعاً — اشتغاله الدائم في الحل والسفر في التصنيف ، والتدريس ، والاملاء في مختلف العلوم حتى زاد ما كتبه في جميعها عما ينوف عن المائة كتاب .

خامساً — لم يمنعه طبه ولا التصنيف عن الاشتغال في السياسة والتوظف في الوزارة وتدبير أمور الملك لعدة ملوك من آل بويه والسلاجقة .

سادساً — حبه العظيم للموسيقى ، والرياضيات ، والفلك ، واشتغاله فيها وتصنيفه الكتب فيها .

سابعاً — اتقانه العميق الدقيق لعلوم اللغة العربية ووضعه كتاب « لسان العرب » وتأليفه الرسائل الثلاث التي حاكى بها ابن العميد ، والصابي ، والصاحب . ونظمه القصائد البليغة في التصوف والإلهيات ، والأراجيز في الطب والصحة ، وفي ذلك أثبت نزعته الفنية وشعوره الحساس .

ثامناً — أثبت أنه أعظم شخصية اسلامية تمثل المعرفة الموسوعية في جميع العلوم .

تاسعاً — تمتعه بملاذ الحياة كتمتم لراحة النفس ، وتعديل فعل الغرائز ، وتهذيب الطباع .

عاشراً — استجابته لطبيعته الوثابة ، وفكره المنطقي ، وفلسفته العميقة السامية في تصانيفه ووضعه وتأليفه كتاب (القانون) الذي تناول علم الطب وفروعه حتى زمانه ، فبوّبه وصنفه واستخلصه من الكتب التي اطلع عليها وجرده من الزوائد والخرافات والشعوذة ، ورتبه ترتيباً علمياً أضاف عليه ما استقرأه وشاهده ، وجربه فكان خير كتاب لا يستغني عنه الأطباء ولذا نظر فيه كل الذين أتوا بعده وغيره منهم اختصروه وادخروه وبقي حتى القرن الخامس عشر ميلادي يدرّس في مدارس أوروبا والشرق ، وكانت آخر طبعة له طبعت في روما عام ١٥٩٣ م .

حادي عشر — ان ابن سينا كان أول من أشار بوضوح الى عدوى السل الرئوي وانتقال الأمراض الى الانسان بواسطة الماء والشراب ، وأول من وصف داء الفيلاريا وانتشاره في الجسم ، وأول من وصف داء الجمرة الخبيثة وسماها بالنار الفارسية ، كما أن الرازي أول من وصف بدقة داء الجدري والحصبة وفرق بينهما ، وأول من قال بالعدوى الوراثية . والطبري أول من اكتشف الحشرة التي تسبب داء الجرب ووصفها .

ثاني عشر — استعمل الرياضة الروحية والرياضة البدنية في طلب الهداية وحل مغاليق القضايا والمسائل وهي طريقة صحيحة لتصفية الذهن واراحة الفكر .

ثالث عشر — كانت عبقريته من النوع الذي لا يستقر على حال وحياته موسومة بالشواذ والغرابة يقضي الليالي مكباً على القراءة والكتابة ، ويتناول أحياناً المنبهات ليبقى واعياً ، واذا أتاه النوم تناوبته الأحلام فيما كان يقرأ ويفكر ، وكان حينما ينتهي من عمله يستسلم الى شرب الخمرة والطرب .

رابع عشر — كانت له أطماع سياسية تجعله دائم التنقل من أمير الى آخر ، ومن مدينة الى أخرى ، ومتى أدرك حظه من السياسة كان ينسى الطب ، وبعكس ذلك عندما تخذله السياسة كان يعود الى ممارسة الطب والتأليف . ودلّ نشاطه على أنه كان قادراً على تأليف كتاب في الليلة واحدة .

خامس عشر — كان قوي الحجة قاطع البرهان ، وهذا ما جعل كتاباته شديدة التأثير على رجال العلم والفكر في عصره وفي القرون الوسطى . وقد قال عنه «وليم أوسلر» ان قانونه الطبي كان الانجيل الطبي لأطول فترة من الزمن درس فيه الطلاب والعلماء مدة تنوف عن ثمانية قرون . أما تآليفه الاخرى فأهمها قوانين ومعالجات طبية ، الأدوية القلبية ، كتاب الشفاء وكتاب النجاة وكتب أخرى منها ما هو مطبوع والباقي لم يطبع عدا ما له من مؤلفات في العلوم الأخرى .

سادس عشر – يدل شعره على نزعة فلسفية صوفية . ومن قصائده الشهيرة قصيدة في النفس ومطلعها :

هبطت اليك من المحل الأرفع ... ورقاء ذات تعزز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة عارف ... وهي التي سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره اليك وربما ... كرهت فراقك وهي ذات تفجع
أنفت وما أنست فلما واصلت ... ألفت مجاورة الخراب البلقع
وأظنها نسيت عهوداً بالحمى ... ومنازلاً بفراقها لم تقنع
حتى اذا اتصلت بها وهبوطها ... في ميم مركزها بذات الأجرع
علقت بها ثاء الثقيل فأصبحت ... بين المعالم والطلول الخضع
تبكي اذا ذكرت دياراً بالحمى ... بمدامع تهمي ولما تقطع
وتظل ساجعة على الدمن التي ... درست بتكرار الرياح الأربع
اذ عاقها الشرك الكثيف وصدها ... قفص عن الأوج الفسيح الأربع
حتى اذا قرب المسير الى الحمى ... ودنا الرحيل الى الفضاء الأوسع
سجعت وقد كشف الغطاء فأبصرت ... ما ليس يدرك بالعيون الهجع
وغدت مفارقة لكل مخلف ... عنها حليف الترب غير مشيع
وغدت تغرد فوق ذروة شاهق ... والعلم يرفع كل من لم يرفع
فلأي شيء أهبطت من شاهق ... سام الى قعر الحضيض الأوضع
ان كان أرسلها الإله لحكمة ... طويت عن الفطن اللبيب الأروع
فهبوطها ان كان ضربة لازب ... لتكون سامعة بما لم تسمع
وتعود عالمة بكل خفية ... في العالمين فخرقها لم يرقع
وهي التي قطع الزمان طريقها ... حتى لقد غربت بغير المطلع
فكأنها برق تألق في الحمى ... ثم انطوى فكأنه لم يلمع

وتقول وصيته التي أوصى بها صديقه وهو أبو سعيد بن أبي الخير الصوفي على ماله من عقيدة دينية ومن مبادئ أخلاقية واجتماعية يجدر بنا نقلها كما هي تكملة لبحثنا عن ابن سينا وسيرته .

قال الشيخ الرئيس : « ليكن الله تعالى أول فكر له وآخره ، وباطن كل اعتبار وظاهره ، ولتكن عينه نفسه مكحولة بالنظر اليه ، وقدمها موقوفة على المثول بين يديه مسافراً بعقله في الملكوت الأعلى وما فيه من آيات ربه الكبرى . واذا انحط الى قراره فلينزه الله تعالى في آثاره فانه باطن ظاهر تجلى لكل شيء بكل شيء

« في كل شيء له آية تدل على أنه واحد »

فاذا صارت هذه الحال له ملكة انطبع فيها نقوش الملكوت وتجلى له قدس اللاهوت فألف الأنس الأعلى ، وذاق اللذة القصوى ، وأخذ عن نفسه من هو بها أولى ، وفاضت عليه السكينة ، وحقت له الطمأنينة ، وتطلع على العالم الأدنى اطلاع راحم لأهله مستوهن لحيله ، مستخف لثقله ، مستخس به لعقله ، مستضل لطرقه وتذكر نفسه وهي بها لهجة وببهجتها بهجة ، فتعجب منها ، ومنهم تعجبهم منه ، وقد ودعها وكان معها كأنه ليس معها . وليعلم أن أفضل الحركات الصلاة ، وأمثل السكنات الصيام ، وأنفع البر الصدقة ، وأزكى السر الاحتمال ، وأبطل السعي المراءاة ، ولن تخلص النفس عن الدرن ما التفتت الى قيل وقال ، ومناقشة وجدال ، وانفعلت بحال من الأحوال . وخير العمل ما صدر عن خالص نية ، وخير النية ما ينفرج عن جناب علم ، والحكمة أم الفضائل ، ومعرفة الله أولى الأوائل . اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ، ثم يقبل على هذه النفس المزينة بكمالها الذاتي فيحرسها عن التلطخ بما يشينها من الهيئات الانقيادية للنفوس الموادية التي اذا بقيت في النفس المزينة كان حالها عند الانفصال كحالها عند الاتصال إذ جوهرها غير مشارب ولا مخالط ، وانما يدنسها هيئة الانقياد لتلك الصواحب ، بل يفيدها هيئات الاستيلاء والسياسة

والاستعلاء والرئاسة ، وكذلك يهجر الكذب قولاً وتخيلاً حتى تحدث للنفس هيئة صدوقة فتصدق الأحلام والرؤيا . وأما اللذات فيستعملها على اصلاح الطبيعة وابقاء الشخص أو النوع أو السياسة . أما المشروب فان يهجر شربه تلهياً بل تشفياً وتداوياً . ويعاشر كل فرقة بعادته ورسمه ، ويسمح بالمقدور والتقدير من المال ، ويركب لمساعدة الناس كثيراً مما هو خلاف طبعه ، ثم لا يقصر في الأوضاع الشرعية ، ويعظم السنن الإلهية ، والمواظبة على التعبدات البدنية ، ويكون دوام عمره اذا خلا وخلص من المعاشرين ، تطربه الزينة في النفس ، والفكرة في الملك الأول وملكه ، وكيس النفس عن عيار الناس من حيث لا يقف عليه الناس . عاهد الله ، أنه يسير بهذه السيرة ويدين بهذه الديانة والله ولي الذين آمنوا وهو حسبنا ونعم الوكيل» .

أما ما ذكر عن ملذاته وافراطه الجنسي فلا يقبل صدقه كما ورد لأن من كان مثل الشيخ ابن سينا في نبوغه وعبقريته وعلمه وانسانيته ومطامعه ومشاغله ، وسهره وصلاته ، وفلسفته وصوفيته ، وتآليفه وكتابته ، يصعب علينا وصفه بما كتبه بعضهم عنه . وفي عقيدتي انه براء منه . أليس هو القائل :

احفظ منيك ما استطعت فانه ماء الحياة يصب في الأرحام

فكيف يقول هذا ويفرط في شهواته وملذاته ؟ وماذا تقول عن وصيته وعن سيرته في شبابه ؟ ان الذين ترجمنا لهم سيرتهم اتخذناهم نموذجاً لتصوير الزمن الذي عاشوا فيه ، والحياة الاجتماعية التي تربوا في بيئتها ، وماهية العلوم التي درسوها ، والمناهج الدراسية التي اتبعوها ، وما أردنا تعداد كل من يجب ذكرهم من عباقرة الأطباء العرب بل اكتفينا بهؤلاء الثلاثة خوفاً من الإطالة والخروج عن الغاية وهم في نظرنا خير من يمثلون ثقافة العرب الطبية .

(يتبع) عبد الرحمن الكيالي

عبقرية خليل مطران

في الغزل والتصوير (١)

يرى كثير من النقاد أن مطران حمل راية التجديد في الشعر العربي ، وأنه برع في الغزل القصصي وفي الوصف ، فكان شاعر معان لا شاعر صناعة وصياغة ، وأن عنايته انصرفت الى معرفة الأدب الغربي يقلده ويحذو حذوه أكثر مما يقلد القدماء من العرب الفحول ، فانخفض عن زملائه البارودي وشوقي وحافظ في السبك والمتانة ، ولكنه فتح فتحاً كبيراً في صوره وألوانه وتماثيله .

ويرى هؤلاء النقاد أن ذلك راجع الى نشأته وتربيته وثقافته وتقلب حياته ، ونحب هنا أن نستعيد الخطوط الكبرى لهذه النشأة والثقافة مما يفيدنا في عرض غزله ووصفه : فقد ولد الخليل في بعلبك بعد عامين من حرب السبعين ، ولبث العالم يتحدث عن الحرب الطاحنة ، والمدافع الهدامة ، والأجساد المتساقطة ، وانتصار الألمان واندحار الفرنسيين . وسورية كانت تتصل في كثير من أجزائها بجانب واحد من ثقافة هؤلاء المحاربين وعقليتهم ، فلها أن تهتم بالقوم ، وأن تتحدث عن نكبتهم وأن ترهف السمع الى تلك الأحداث ، فدارت حول الفتى أحاديث في سهرات بعلبك وفي بيت مطران ، لا تخلو من أسى وهول ، في بشاعة الانسانية ومصائب الحروب .

ودرج الفتى في هذه المدينة الصغيرة ، وهي لمن يعرفها حديقة زرعت بالبيوت البسيطة ، وفي قلبها أعمدة سامقة ركزها الرومان في القديم ، وخانوا على جنباتها نقوشاً لآلهتهم ، لعلها أجمل ما بقي من آثارهم في الشرق ، فهي منحوته على براعة

(١) الكلمة التي ألقيت في مهرجان مطران بالقاهرة في ٢٥ تشرين الأول ١٩٥٩ .

مدهشة ، تمثل إله الحرب مارس وعليه درعه ، وديانا إلهة الصيد ، وباخوس إله الخمر وحول رأسه عناقيد العنب ، وإلهة العشق وبين ثدييها تجسم ولد ذو جناحين هو كوبيدون رسول الحب والهوى وعلة القلب في كل شاعر .

هذه الأعمدة كانت تبعث التاريخ والأسى والجمال والعظمة ، يراها الفتى إذا أصبح ويراها إذ أمسى ، قائمة الى السماء مائلة نحو الأرض ، أو نائمة الى الأبد ، فتلهو عيناه الصغيرتان بالجواري ؛ والحور والعنب على أطرافها ، وقلب الفتى يعبث بالتاريخ والقصص فيحلم بالحب الذي نبت في ظلالها والهوى الذي عاش في أكنافها . وبذلك ولد في نفسه عاملان عامل النحت وعامل الحب ، وقامت في قلبه مشاعر القصة والحزن والكآبة .

فلما زحزح عن بيروت وكليتها ويمم باريس لقي الجمال كذلك في كل زاوية ، وتنشق العطر عند كل شجرة ، وتعلق وهو في الثامنة عشرة بمنابع الأدب الغربي ، يعبّ من الرومانسية السائرة ، فيعشق فيني وموسه ويحفظ من شعرهما ، ويسهر مع مسرحيات باريس في قصص جميل .

وعلى هذا كله أصاب الفتى مرض العصر في لبنان وهو الهجرة والرحلة ، فوقف بين شيلي ومصر ، ولكن مصر تغلبت أخيراً ، فعاد اليها ليقضي فيها قرابة خمسين سنة ، وفي برديه كآبة الماضي ، ورحلة التاريخ ، ونقوش الجمال ، ورومانسية الشعر . فقام في نفسه أن يحدث حدثاً في الأرض المضيفة ، وعزم على أن ينقل الشعر الغربي والمسرح الغربي الى مصر ، ففكر في أن يجعل الشعر العربي الذي ينظمه على غرار ما حفظ وما سمع ، وراح يعمل له في فهم جديد وروح جديدة على جناحين من تصوير بارع وقصص في الحب ، فكان منه ديوانه الأول ، أصدره سنة ١٩٠٨ وعمره ست وثلاثون سنة ، هو الذي يمثل شعره في رأينا ، وهو الذي نقف عنده خلال هذه الدقائق لنرى الى الغزل والوصف كيف كانا منه .

صدر الديوان « بيان موجز » شبه فيه الشعر الذي بقي له ببقايا السفينة الغريقة والقطع السالمة من الآثار ، فأذكرنا ببقايا بملبك . وقال انه لن يخشى الخروج على المألوف من الاستعارات والمطروق من الأساليب ولكنه سيحتفظ جهده بأصول اللغة ، ورد على من سخر من شعره العصري قائلاً : « نياهؤلاء ، نعم ، هـذا شعر عصري ، وفخره أنه عصري ، وله على سابق الشعر مزية زمانه على سالف الدهر » . ورسم في هذا البيان خطتـه فقال بأنه لا ينظر « الى جمال البيت المفرد ولو أنكر جاره ، وشاتم أخاه ودابر المطلع ، وقاطع المقطع ، وخالف الختام » . فقضى على نظرية الجمال في البيت الواحد ، والشاعر بالبيت المفرد ، وأراد أن يكون الجمال بجملة القصيدة « في تركيبها ، وترتيبها وتناسق معانيها ، وتوافقها ، مع ندور التصور ، وغرابة الموضوع ، ومطابقة كل ذلك للحقيقة ، وشفوفه عن الشعور الحر وتحري دقة الوصف ، واستيفائه فيه على قدر » كما قال .

بهذه الصرخة كان خليل مطران يرسم الشعر لنفسه ولجيله فيقول : « انه شعر المستقبل لأنه شعر الحياة والحقيقة والخيال جميعا » . وعلى هـذه الخطة سار في ديوانه الأول يواكب العصر والزمان ، ففشل في بعض ونجح في بعض ، ولكنه سار على الدرب ، وسارت قوافل الشعراء مثله على الدرب نفسه في المهجر ولبنان وسورية ومصر ، لأنها أحست كما أحس بضيق المعاني ، فأرادت أن تفتح على الغرب ، نوافذها ، تطل على ألوان جديدة ورسوم جديدة شريطة أن تستمد جذورها من عبقرية اللغة العربية وغناها وجمال طواعيتها للمعاني البعيدة المولدة ، فهي قد أعطت أبداً على الزمان لم تمنع ولم تضن .

وفي هذا الديوان الأول طغى شعر القلب على كل شيء حتى قال مطران نفسه : « الحب ثلاثة أرباع شعري » ولعله أراد أن يسد النقص في قصص الحب

لعصره ، فيملأ الخالي من حافظ ويوضح الخفيّ من شوقي ، بل لعله أراد أن ينتصر لهذا اللون في معركة الشعر ، على قصص جميل جديد .

كان في حديقة الجيزة أصيل يوم ، فرأى فتاة تنظر في عيني أمها ، وتصلح شعرها ، فوصف منها الثياب والقوام وقال :

جلست تقابل أمها وكأنما كتاهما جلست قبالة رسمها
وتناثرت ضفر الفتاة غمائما سترت عن الأبصار طلعة نجمها
فتحيرت فيما تحاول وهي قد أعيت بلا مرآتها عن نظمها
فدنت تحاذي أمها وتناظرت بعيونهـا وجلت سحابة همها
وكذا الفتاة إذا أضلت ساعة مرآتها نظرت بعيني أمهـا

وأحب أن تلفت الى الرقة في الوصف والتغزل ، والتخلص ، لقد أعارها الخليل من شعره مرآة جلت وصفها وهو في الثانية والعشرين ، وأنامله ما تكاد تقوى على صنع المرايا ورسم الألواح ، فاذا أمسكت بازميل النحات والمثال ، طمحت الى مثل ما صنع الرومان في بعلبك .

ودرجت السنون وازميل الفتى ينحت من قصص الحب معهودة ومروية ، كأنه ترجمان القلوب وبستان الأحبة ، يسيل دمعه حيناً في فرح ، وحيناً في أسى ، فهو يبث شكوى المحبين ، وينفضح أقاصيص المغرمين ، ليخفي وراءها هواه وآلامه . فكان يقلد الرومانسيين ويتبع ألفريد دوفيني حين يتحدث هذا الشاعر عن بنت يفتاح وقد نذر أبوها قرباناً أن يضحي بأول شخص يلقاه حين يعود منتصراً ، فاذا بابنته تخرج أول من يخرج للقائه ، أو حين يتحدث فيني عن الحب في قلب موسى الكليم عليه السلام ، بل لعله يتشبه بليالي موسه الأربع ، والألم ينبع من نفس الشاعر ، والآلهة تحثه على الصبر ، أو أنه شبيه بقصائد موسيه في الصفصاف ، وناموتا ، وورولا ، وكلها تتغنى بالحب الباكي والغرام الحزين .

وعلى متن هذه القصائد الغرامية التي نسجها مطران ركب الى ساح الشعر الغربي ، فانتقل من ميدان المقطعة الغزلة أو مطالع النسيب التقليدية الى قصائد جعلها برمتها لهذا الغرض ، وصف فيها الهوى بين الفتى والفتاة وترجم ما كان بينهما من لقاء ، وأحداث ، وعواطف ، ومشاعر . فأصبح الشعر على يديه طامحاً الى أن يجاري أدب القرن التاسع عشر في فرنسة . وبذلك رسم مطران قصص الهوى في نفوس غيره ، فوصف ضلوع الأحبة وأفئدة العشاق التعساء ، وقام للشعر الرومانسي في جوى وحرقة وألم . واستعار قلوب الناس ليرسم ما في قلبه .

وألحّ مطران على ذلك حتى كانت قصة حبه سنة ١٨٩٧ ، وهو في الخامسة والعشرين من عمره ، فنظم قصيدة جعل عنوانها « حكاية عاشقين » وقدمها بقوله : « تتبع الناظم وقائعها ، وكان فيها ترجمان ضمير العاشق ولسان فؤاده » . وهذه القصيدة استهوت النقاد ، واستحوذت على اعجابهم ، فتحدثوا عنها ، لأنها حقاً أطول قصائد العشق في الأدب العربي ، بل انها مجموعة مقطعات وقصائد يتغير فيها الوزن والقافية ، ويظل المعنى متلاحقاً متتابعاً ، كأنها مسرحية شعرية لمتكلم واحد (مونولوج) . وصف فيها مطران رواية الحب منذ اللقاء حتى الختام ، فيها حديث القلب ، ونعيم الحب ، تحت ضوء القمر أو في ظل الشجر ، أو على النيل المبارك ، وفيها الغضب والرضا ، والصحة والمرض . وقد ختمت بفاجعة ، لأن الفتاة سافرت الى الشام ومرضت وماتت . ومرض الفتى حتى لكأنه رسم محيل ، أو بيت عتيق شيد فيه لعابد ورع مقام .

ثم وجد المحب منديلاً بين ملابسه أبلاه مرور أعوام لم يسلم منه إلاّ الموضع الذي طرز عليه حرفان مشتبكان من اسم حبيبته ، فاستبكى وراح يغني شعراً وختم القصة بدمعة على قبرها ونجوى في ذكرها .

وهذه القصيدة المتقطعة في أوزانها وقوافيها وقعت في ديوانه على ست وثلاثين صفحة ، فكانت قصة الحب الطويلة ، هي قصة الخليل نفسه هزت كيانه فيما قيل ، وبدلت من شخصيته ، فعاش أعزب لم يتزوج بعدها أبداً ، وقد قالوا ان هذه الصدمة العنيفة كانت نهاية حبه ختمه حبها ، فماتت عذراء ، وقضى عمره شهيد الحب ، فكأنها من مسرحيات شكسبير .

وبعد أن عرفنا القصة نحب أن نستمع الى صور قليلة منها ، مثالاً على أسلوبه في الغزل القصصي أو قصة الغزل ، قال يرسم أثرها في نفسه :

ان لي في الغيب الفـا ... قد نأى عـني نفورا
حجبت منـه الليـالي ... عنيَ الصبـح المنيرا
منيـة قد أصبحت في ... خاطر الدهر ضميـرا
فارق الدنيـا وأبقـا ... ني جزوعاً مستطـيرا
أبتغي السير اليـه ... حيثما بات قريرا

* * *

فاذا أدركتـه أطفأ ... تُ من وجدي السعيرا
واتّحـدنا فاغتدينـا ... مزج روحين مسرورا
نفحة إن هي إلاّ ... نسمة ضمت عبـيرا[1]
أو شعاع ان تبينت ... فنـور ضم نورا

ويصف الحبيب عن لقاء غيرها على كثرة ما وقع له من فرص ، فيقول مناجياً منديلها :

وكم عرضت لي غانيات فعفتها ... وصنت ضميري واللسان المشببا
وكم بلد وافيتـه متلبياً ... فغادرته أدمى فؤاداً وأكأبا

(١) في الطبعة الثانية : « وتآلفنا على الدهر نسياً وصيراً » والبيت بعده : « أو شعاعاً » .

وما زال هذا الحب فيّ مؤبدا ... مكيناً نبت عنه السنون وما نبا
وما زلت يامنديل ليلى ملازمي ... تنشقني الذكرى نسيماً مطيبا
أصابك ناب قارض من ثم البلى ... الى موضع فيه اسمها فتجنبا
وغال فؤادي البين الا بقية ... قضى الحب أن أحيا بها فأعذبا

وسافر الخليل بعد هذه المأساة الى الشام سنة ١٨٩٩ ، ليستشفي من جراح قلبه وجسمه ، ويرى من جديد مدينته بعلبك وجارتها زحلة «جارة الوادي» . فلما عاد الى مصر أقبل يستمع الى قصص الحب والهوى ، يرى فيها صورة حبه ونشيد أيامه ، فيصوغها ألحاناً يبثها ألمه وبكاءه ، فهو مشوق حين يلقى العاشقين . وكان أن وقعت اليه قصة فتاة أحالها الحب من الطهر الى السقوط فنظم فيها .

هذه الفتاة فلاحية قدمت مع المهاجرين ، وكان أبوها واخوتها في فقر مدقع ، فمضت تستجدي الأكف من السابلة لتعول أسرتها ، فلما أصبحت صبية جميلة دفعها أبواها الى حانة ترتزق منها ، وتصيب عيش أهلها ، فراحت في هذا القبو العفن تشرب وتسقي حتى نصب لها شاب مخادع حبال الصيد ، ومناها بالزواج فأطاعته في الهوى حتى كان له منها ما أراد ، وحملت جنى غير مشروع ، فتركها ولاذ بالفرار . وقاست بعده آلاماً مبرحة من ذل وفقر وعار ، فمات ضميرها وقضت على جنينها الشهيد ، ونسيت الذي كان من شرف ، وغدت في خمارتها الجديدة ، بؤرة للسقوط ، لتشهد العالم على شرور الرجال وضعف النساء .

وهذه القصة ليست جديدة ، لأنها قد تقع في كل ساعة بالشرق والغرب ، انها قصة آدم وحواء ، جنت حواء فيها قالوا مرة ، فراح آدم يجني في كل سانحة مرات . ومسارح باريس مشغوفة حباً بهذا اللون ، شهدها مطران وفهمها ، وتأثر بغادة الكاميليا وأخواتها فيما تأثر به .

والمهم أن مطران نظمها في قصيدة طويلة كذلك استغرقت ثماني عشرة صفحة متصلة لا انقطاع فيها ولا عناوين بينها ، على بحر واحد ، وروي مختلف ،

في أبيات مخمسة جعل عنوانها « الجنين الشهيد » وقصّ فيها حكاية الحب ، فكانت من الغزل القصصي البارع ، وكانت القصيدة المدوية التي دفعت الشاعر الى الشهرة ، قرأها نجيب الحداد فقال : « ان هذا المذهب في اعتقادي هو مذهب الشاعر في المستقبل » . وقال صاحب مجلة سركيس : « انها اليادة الشعر الحاضر ، ومعلقة النهضة الشعرية العصرية » . وذلك لأن الشاعر اعتمد على وحدة القصيدة ، فكان كالغربيين سواء بسواء ، حتى لكأن قصيدته مترجمة أو منقولة . وانها على بساطة في الأسلوب وسهولة في اللفظ ، ولو انها لا تقف للشعر الجزل الذي كان يرسله شوقي وحافظ .

وسرّ النجاح عند مطران في هذه القصائد القصصية للغزل هو هذا الوصف الذي كلف به الشاعر ، وطاوعته ريشته في رسمه ، فصوّر الحب تصويرا ، وكان في هذا الباب الشاعر الوصّاف . فكل غزله يعتمد على القصة ، والقصة تعتمد على الوصف والتصوير ، وقد كانا من أكبر الأسباب في شهرة مطران .

***

ان الوصف كان على لسان شاعرنا تصويراً للمنازع والمشاعر والعواطف ، وكان تصويراً للمشاهد والجمادات ، تأثر فيه الغربيين ، وشغف حبّاً بالألواح التي خلدها شعراؤهم . فأراد أن يكون في أدبنا رسام المشاهد الكاملة حتى لقد وازنه النقاد بابن الرومي على بعد ما بينهما من أهداف وأغراض .

والحق أن الخليل اعتمد على الوصف في مديحه وفي رثائه وفي قصص الحب ، فوصف الرجال أحياء وأمواتاً ، وصفاً انتزعه من صميم الحياة ، في خيال قويّ وشعور واسع ، وحيوية فياضة كانت ينابيعها من صباه ومن رحلته ومن ثقافته وتقسيته .

تخلف منذ صباه مشاهد في الوصف جميلة ، لعله استقاها من صور الصبي ونقوش بعلبك ، فسمت بداه الى نحت نقوش نابليون الأول حين انتصر ، ونابليون الثالث حين انكسر ، وكان في هذه القصيدة الفنية يرينا أول محاولة لوصف القتال ، والفناء ، والبشرية المحاربة فقال في نابليون :

الجد رهن اشارة بيمينه والنصر بين يديه كالمنقاد
والفخر في راياته متمثل وطلائع العقبان في ترداد

الى أن قال في الرصاص والقنابل :

تلقى الرجال على الثرى قتلى كما يلقي السنابل منجل الحصّاد

واتخذ سبيله الى صور العقبان عن شعرنا الحمداني ، وصور السنابل عن الشعر الغربي ، ووصف الجيشين يلتقيان ، والهتاف يعلو ، والآلات تتجاوب ، والنار في كل مكان كالشهب الضخام والردى غاد وآت ، والجراح تسيل ، والأمهات يبكين الأولاد ، والحزن يعم . فكأن مطران بهذا انسانياً يهتم بالمتحاربين لا بالقادة فحسب ، وينظر الى الشعب وما تكلفه الحرب حين الانتصار والانكسار من ألم وفقد وخراب . وهي نظرة بعيدة لشاب ناشئ .

فلما أراد أن يصور آثار بعلبك ، ويرسم الحجر ويتذكر طفولته وعهوده حين يلهو بهند وتلهو به هند ، وصف حاله وحالها كالفراش يجريان في الرياض ، ثم يلتقيان على قبلات عفيفة تحاكي الندى في الأسحار ، ثم انتقل الى الحجر والجماد فقال :

صنعوا من جماده ثمراً يجــــنى ولكن بالعقل والأبصار
وضروبا من كل زهر أنيق لم تفتها نضارة الأزهار

وشموساً مضيئة وشعاعاً باهرات لكنها من حجار
وطيوراً ذوائباً آبيات خالدات الغدو والابكار
في جنان معلقات زواه بصنوف النجوم والأنوار
وأسوداً يخشى التحفز منها ويروع السكوت كالتزآر
عابسات الوجوه غير غضاب باديات الأنياب غير ضواري
في عرانينها دخان مثار وبألحاظها سيول شرار

وكثيرة هي ألواح الوصف عند مطران في هذا الجزء الأول من الديوان، ما نستطيع أن نستعرضها كلها، فهناك قصيدته في فتاة الجبل الأسود وفي المساء والغروب تحمل ألواناً مختارة من الشعر، ولكننا نحب أن نختم بصورة عن مصر تقف لصورته عن بعلبك، وصف فيها بناة الأهرام فقال:

اني أرى عدّ الرمال هنا خلائقاً تكثر أن تعدّدا
صفر الوجوه نادياً جباههم كالكلأ اليابس يعلوه الندى
محنية ظهورهم خرس الخطى كالنمل دب مستكناً مخلدا
مجتمعين أبحراً منفرعين أنهراً منحدرين صعدا
أكل هذي الأنفس الهلكى غداً تبني لفان جدثاً مخلدا

وهذه الأبيات على ضآلة موسيقاها، تلز بالصور العالية للشعر، ففيها براعة الازميل عند المثال، وفيها نفسية الشاعر الإنساني، وقلب الشاعر الاشتراكي، وعقل المواطن الصالح. ذلك لأنها تأسى لأسى الشعب، وتحنو عليه، فلا نقف نفسها على مدح أمير أو تعزية وزير أو رثاء كبير، وانما تتلفت الى البشر لتصنع منه تمثالاً ناطقاً، يصور الألم والحزن والبشرية المعذبة منذ ولدت الى أن تموت.

وهذه الأبيات جزء مما خلف مطران لأدبنا ، صرفته الحياة ومشاغلها عن الاتقان فيه والتجويد ، فلم تكن مهنته الشعر فحسب وانما كان يسترق الوقت من وظائفه في الزراعة والاقتصاد والأوبرا ، ومن أوقات مرضه ليصوغ هذا الشعر الانساني الذي رفعه الى مواضع الاكبار والذكرى الخالدة ، فقد كان مطران أديباً بروحه وخياله مخلصاً لفنه وأمته بشعره ونثره ، محباً للتاريخ في ديوانه وفي تصنيفه ، عبر عن ذلك في حياته الخاصة وفي شعره الكثير فكانا حياته وأدبه أجمل أبراد الحياة ، واستحق منا أجمل ما تهب الحياة خلوداً على الدهر ، وعرفاناً على الأيام .

الدكتور محمد سامي الدهان



نسخة تاسعة

من ديوان ابن عُنين

- ٢ -

(٦) وقتل الملك المعظم أسداً بالغَوْر فقال شرف الدين بديهاً :

يا ملكاً من بني الأكاسرة الأقيال أهل التيجان والسُرُر
لا خمدتْ نارك التي تُحرق الكفرَ وترمي الصليبَ بالشرَر
ثِبْت لا زلت دائماً تقتص الأُسْد لعزم أمضى من القَدَر
ما ذا حلُوا[1] عنك عند قتلك الليثَ وليس العيان كالخبر
من وثَبات ومن سطًى[2] ونَبا تٍ قلَّ ما يجتمعن في بشر
ثم جميع الأنام قالوا وما فاهوا بَمين في البدو والحضر
ها ملك الوحش صاده ملك الانس فلله ذاك من ظفر
اني[3] (?) عظيم المقدار لم يأت إلا بعظيم في الخطب والخَطَر
قُدّس عيسى المعظّم الملك المظهِر للمعجزات والسِيَر

(٧) وأهدى اليه بعض أصدقائه صابوناً وماء وَرْد بعد نَبوة كانت بينهما فقال :

فتىً أهدى إليَّ اليوم صابونا وماوَرْد
ليغسل عِرضَه مما بدا منه وما يُجدي
ولو بالبحر أو بالقطر أو بالغيث ان أهدي

---

(١) كذا .
(٢) سطى أخلَت به المعاجم ولعله الراوي لو ثبت .
(٣) لعله إنّ .

ولكنّي غفرتُ له ذنوباً جَمَّةً تُردي
وما قلت الذي قد قلت عن قصد وعن حقد
فلا تخش أذى السيف اذا ما كان في الغمد

وأهدى اليه بعض أصحابه جُبُنّا فقال فيه : (٨)

نفسي الفداء لمُهدٍ إليَّ سلّة جُبْنٍ
رطباً كمثل لساني في مدحه حين يُثني

وَغنّى بعض المطربين في حضوره بهذين البيتين وهما : (٩)

هيّج الشوق صحابي وحدا الوجهُ ركابي
وجفا[1] المضجعُ حتّى هجر الطَّيْفُ جنابي

وسأله بعض الأكابر أن يزيد عليها[2] فقال :

وهو من فرط غرام في نحيب واكتئاب
طائر العقل حزين ليس يُهدَى لصواب
في هوى ظبي غرير فاتن حلو التصابي
ما يراه الله إلاّ لعنادي وعذابي
أين أيّامي المواضي لو أُعيدت وشبابي
هل لما فات رجوع من وصال وتصابِ

وكان أبلْ من مرض واحتاج الى فتائل عَنْبَر مصنوعة بفحم الكَرْم (١٠) فكتب الى الشيخ تاج الدين[3] أبي اليُمْن زيد الكندي رحمه الله يطلب منه شيئاً من ذلك يقول :

---

(١) الاصل وخلى .
(٢) الاصل أن يزيدها .
(٣) النحوي المعروف ترجم له كثيرون .

يا أيها المولى الذي عرفه يضوع كالمسك مع الغاليه
مبدل وقد ألبسه الله (كذا) من لطائف البرء حلىً حاليه
وكل هذا بسعادات مو لانا ومن همته العاليه
وهي التي قد أصبحت ترتجى بأنها تنظر في حاليه
لكنني أسأل من فضله طيباً له من خشب الداليه
فنشره لا شك من نشرك الطيب يحيي الرمم الباليه
فان عندي كاسمه ضده شربته[1] الساعة من ماليه
والكرم[2] مفهوم فوا خجلتي من كل ما قلت وإدلاليه

(١١) وعمل صفي الدين بن شكر رحمه الله مقامة فأخذها شرف الدين يطالعها وكتب على حاشية الكتاب :

مقامة مولانا الوزير جليلة سمت وعلت في الناس مثل مقامه
غدت أبحراً في عظمها وهي قطرة اذا نسبت من فضل بحر كلامه
يقوم لها الأقوام من عظم قدرها كما قعدوا عن نيل بعض مرامه
حوت من فنون العلم كل غريبة وأعجوبة من نثره ونظامه
فكم خبر مع آية جاء ضمنها وشكل معنى مشكل في انعجامه
تعالى الذي أعطى الوزير مناقبا يفوق بها في مصره وشآمه

(١٢) وناوله الملك المعظم يوماً رسالة بخط ابن البواب فتأملها ثم قال بديهة من ساعته :

خط علي بن هلال غدا في حسنه كالأعين الدعج
ما خط في درج ولكنه يحط لآل حط في درج

(١) الاصل شربته .
(٢) الاصل واكرم .

وكتب على يد الشيخ الإمام العلامة نجيب الدين أبي الفتح نصر الله (١٣)
ابن الصفّار المعروف بابن الشقيشقة شفاعة للأمير محمود الارموي نسيب ابن المجاور
الى بهاء الدين محمد بن التبني :

أيّها السيّد الذي جعل المجدَ لراجيه واجباً مفروضا
في صديق رأى ثناني طويلا ومديحي جمًّا وشكري عريضا
وقيامي في كل واد حوَى الـا دات أتلو مآثراً لك بيضا
ظنّ خيراً وقال لي سله في أمري وعرِّض بحاجتي تعريضا
فعساه يَريش مني جناحًا غادرته يد الزمان مهيضا
قلت دعني فان جاهي مريض ومريض فلا يداوي مريضا

قال نجيب الدين فقبل شفاعته والتزم طاعته وجعل ميقات قضاء حوائجه ساعته .

وقال في وصف بِرَك الينوفر : (١٤)

فكأنما البِرَك الملاء يحفّها أنواع ذاك الروض والزهر
بُسُط من الديباج بيض فُرّوِزت أطرافها بفراوز خضر

وقال يوماً للشيخ نجيب الدين ما أحسنُ ما تحفظُ في التشبيه في الغزَلْ (١٥)
فأنشده في صبيّ حائك :

غزيِّلٌ لم تزل بالغزْل جائلةً بنانُه جوَلان الفكر في الغزَل
جذلانَ تلعبُ بالمحواك أنمُلُهُ على السدَى لَعِبَ الأيّام بالدُوَل
ما إن يني تَعِبَ الأطراف مشتغِلا أفديه من تَعِبِ الأطراف مشتغِل
جذْبًا بكفّيه أو فحصًا بأخمصه تخبُّطَ الظبي في أشراك محتبِل

فقال شرف الدين أشهد بالله لقد تستحقّ هذه الأبيات أن تكتب بذوب
السعادة على صفحات الزمان وتقام في الشرف على الشعر مُقامَ الانسان من
الحيوان ثم فكر ساعة وأنشد مرتجلاً :

وأهيفَ يحكي الغصنَ لينُ قوامه ... وتغرق في ماء النعيم غلائله
إذا ما بدا من شَعره في ذوائب ... رأيتَ غزالاً لم تَرُعه حبائله

فلما سمعها الشيخ نجيب الدين اهتزَّ لها اهتزاز الطَّروب للأغاني وأقسم أن ليس لقائلها ثاني ، وقال من حق هذه أن تكتب بماء الأحداق على صفحات القلوب وأن يستنزل بها القطر بعد القنوط وتستطلع بها الشمس بعد الغروب .

(١٦) وكتب إلى صلاح الدين الاربلي الكاملي بالديار المصريّة وهو مريض يستزيره :

علَّ ريحَ الشَّمال تحمل أشوا ... قي وتهدي تحيَّتي وارتياحي
ثمَّ تشكو إليكمو جورَ دهرٍ ... بزَّني قوَّتي وقصَّ جناحي
ألبستني صروفه ثوبَ سقمٍ ... غيَّضت شِرَّتي وبان مِراحي
كلّما قلتُ قد تنكَّب نبل الدهر عنّي رمى فأصمى جراحي
وصلاحي في أن أراك فإن لم ... يأذنِ الله لي عدمتُ صلاحي
فهنيّاك لا تمسي كفك السبط ومرأى[1] جبينك الوضّاح

(١٧) وعمل هذه الأبيات لمّا سافر الملك الناصر داود إلى إربل سنة ٦٤٢ يتشوّقه ويذكره :

عليك سلام الله داودُ حيثما ... تبوّأتَ من مستوطنٍ ودَهاس[2]
ولا زالت النعماء لُبْسَك كلّما ... ذَوَى ملبَسٌ بُدِّلتَه بلباس
رحلتَ فلا والله ماالعيش بعدك الهنيء ... ولا الناس السَّراةُ بناس
كريم ذخرناه لعام محاذر[3] ... ويوم مباهاة وساعةِ باس
وإنَّ حلوماً لم تَطِش يوم غُربة النوى ... لحلومٌ كالجبال رواسي

(١) الاصل ورأى .
(٢) الاصل دماس .
(٣) كذا .

فياقلب عبسى هل من الصخر كُوّ | نت حصاتُك أم كل القلوب قَواس
فيانفس لا تستشرِي بحَسْرَة | ويا مقلتي لا تطمعي بنُعاس
فمالك من أمر الغرام مخلّصٌ | ولا لك من داء الصبابة آس
وماهاجت الذكرى إليك صَبابتي | ألا إنّما الذكرى تهيّج ناس[1]
وإني لأرجو اللهَ واللهُ قادر | على جمع شَمْل منك بَعد إياس

تمّ فصل الماجَريات

الفصل الرابع

في الألغاز والأجوبة فيها وما دار بينه وبين الفضلاء فيها

ص ١٤٩ س ٩ أصلنا : تَخوج ومِقلاتٌ وهو الصواب . على ما اختاره محقّقه . وأصلنا وما لامست ذكر .

ص ١٥٠ س ٣ : يريد العَقْعَق والزَبْرَب .

س ١٠ : يتلوه سادس .

فبيّن الآن ما أقول فما | تركتُ مبرّأ من أمره يكتتمْ

ص ١٥١ س ٣ : يريد الوراء (الخلف) وحرف الشين .

بعد س ١٥ :

وقال أيضاً ملغزاً في الفدفد : (١٨)

وما اسم رباعيّ إذا ما قلبتَه | تراه[2] على التكرار من آلة الغنا
كما أنه من غير قلب ترونه | إذا ما حللتم جوزَهُ موجبَ العنا

(١) ناسيا .

(٢) يرى الفاء مكرّرا ، وقطع الفدفد (البيداء) لا يخلو من عناء . والجوز الوسط .

(١٩) فقال أيضاً لُغزاً في لاحوق :

وما اسم خماسيّ إذا ما طلبته وكلّفت نفسي عادة ما عهدتها
فان قيل لي حرفان من أوّل اسمه وددتُ بأن الروح منّي فقدتها

ص ١٥٢ س ٥ : تداعت وكذا في أصلنا ولا غبار عليه .

ص ١٥٣ س ١ : عندنا مجد الدين محمد نسيب الامام فخر الدين محمد ابن عمر الرازي .

ص ١٥٣ س ٢ أصلنا : ذا عينين ما .

س ٦ أصلنا : إذا حزّ .... غدا نازياً فأعجب وصفتُ .

س ٨ أصلنا : اقتضبتُ .... والحلا .

ص ١٥٤ س ٢ أصلنا : إليه رجاءً .

س ٣ : وترْوَى متى تروِي . ونظماً اذا .

ص ١٥٥ س ٢ : حكمه حكماً .

س ٧ أصلنا : ألفيتَ . يريد الخيل الفرس .

س ٨ : الخلل في القول والعمل .

س ٩ أصلنا : لا يبخل .

ص ١٦٤ س ٥ أصلنا : الطفل في الدار إن حضر .

ص ١٦٥ س ٨ أصلنا : وسارية .

ص ١٥٧ س ٧ : اللُغز في أصلنا مختلف ونصّه :

وما اسم رباعي اذا زال نصفه غدا حالَ حزّ شقّه طول هضمه
وإن حسبوا ربع اسمه وتبيّنوا له عدداً ألفيتَه مبلغَ اسمه

قوله : غدا الخ أي بقي قرّ ماض من الفرار وهو حال حزّ مسّه المَضم

الظُلْم . وقوله وإن حسبوا رُبع اسمه يريد الميم وهو في حساب الجُمَّل أربعة (كذا بدل أربعين) وحروف الاسم جميعه أربعة فرُبعه يقاومه .

ص ١٥٨ س ٥ : ملغزاً الخ ورد بيتا اللُغز بأصلنا وهما :

ما اسمٌ رباعي ولكنَّه فعلٌ لذيذٌ طولُ ترداده

إن سلبوا أوّله يغتدي وصفَ طَروبٍ عند إنشاده

فأجابه شرف الدين بديهاً : يا جامع الفضل اليثبين .

ص ١٥٦ س ٥ أصلنا : في القلب منتشراً .

س ١٠ : المتاح بالقلب حاتم .

ص ١٣٥ س ٥ بأصلنا : الشرف الأعلى موضع في ظاهر دمشق يُسدون[1] فيه الحاكةُ الغَزْل . وكان له عمٌ يقال له المجد فيه بذاءة وسفاهة يغلب بها الأقرانَ اه وعجدي : وعمّي المجد .

ص ١٢٧ س ١ بأصلنا : مُلغزاً في رجل حائك صار قاضياً ببلاد العجم وتسحبها على ذلك المنوال أيضاً . وحُمِّل إلى القاضي حين سمعها أنها مديح وأجازه عليها . وعندنا دَبندورَ .

ص ١٢٧ س ١٢ : أنا ملك الوساع .

ص ١٢٨ س ٧ : للخلائق .

ص ١٧٤ س ١٢ : عندنا وقال أيضاً ملغزاً في الكاركة التي يُستخرج بها ماء الورد وكتب بها على يد الشيخ نجيب الدين الى عفيف الدين بن عَدْلان الموصلي النحوي ، المجني وأرى الكاركة فارسيَّة أصلها كارگاه موضع العمل أي المعمل .

(١) من باب أكلوني البراغيثُ . عاميّة .

ص ١٦٧ س ١٣ : إذا ما اقتدى ... بحُكمهم .

ص ١٦٧ س ١٤ : إذا ضمّهم رفقه وهو الصواب .

ص ١٥٨ س ١١ : فلستُ أجيبهُ .

ص ١٧٥ س ٢ أصلنا : الغوا في خدودها [1] .

ص ١٦٨ س ١١ : السكيت يوم الفخار .

ص ١٥٩ س ٣ : وكشف الستر عيبا .

ص ١٧٢ س ٦ : جمع البيضة بيض بنقصان حرف . و (صيت) مصحّف عكسه .

ص ١٧٢ س ٨ : محمد الخوارزمي .

س ١٢ : تنقّصنا الفرزدقَ أو .

ص ١٧٤ س ٢ أصلنا : يُرى كبرٌ .

س ٤ أصلنا : بين نهي .

ص ١٦١ س ٢ : أي إذا جُعل اليأس بأساً بالموحّدة .

س ١٣ : وعدّهُ سبعة .

ص ١٧٨ س ١ : يليه :

وقال أيضاً لُغزاً في شمع :

(٢٠) لي حبيب الخدّ ماشين بالمدار منه ذلك الطرس (كذا)
كأنه الشمس ولكنه تكسف إن قابلها الشمس
لو ان تصحيف اسمه وصفه دامت له الراحة والأنس
ثلثة أحرفه إنما تصحيف معكوس اسمه خمس

---

(١) وفي س ٨ ألا فاستقبالي .

وقال أيضاً لغزاً في شِبل : (٢١)

لي حبيب سَمَّوْهُ باسم عجيب ... لبس[1] تصحيف عكسه بيقين

باسم شيء تخافه الإنس والجن ... وتحمي حِماه أُسد العرين

نقطوا رأسه بنصف[2] الثريّا ... ولعانيه رانقص الشين (كذا)

وقال أيضاً ملغزاً في الطير المعروف بالقُطرب وهو طير يلمع في الليل (٢٢) كأنه السراج أو الكوكب :

وما اسم اذا شاهدتَه ورأيتَه ... ترى عجباً من صنع معنى لنصفه

تشاهد منه آيةً في حنادس الدُجى ... حين يبدو وفي غاية وصفه

يحاكي[3] الشهاب ثاقباً في سمائه ... على أرضه فانظر له ولضعفه

وقال أيضاً ملغزاً في اسم نصر الله وكتب بها الى الملك الأعظم (كذا) : (٢٣)

وما اسم صباعيّ سعيدنا بشخصه ... ثلاثة أسباع لذي السعد تصحبه[4]

وان الذي يبقى الفداة من اسمه ... بلا شبهة يعطيه عيسى ويوهبه

فقل ما اسمه ان كنت تفهم أنه ... من الله في كل المواطن تطلبه

وقال أيضاً ملغزاً في الخُلد : (٢٤)

وما حيوان لا يرى ما يضرّه ... وينفعه في ليله ونهاره

فقير فلا عين ولا وَرِق له[5] ... ولكنّه يَغْنَى بحسن اصطباره

له جنّة ماجازها منذ حازَها ... ولكنّها محفوفة بالمكاره

اذا ركبَ الخيل الجياد أذلّها ... وأهزلها من بأسه واقتداره

(١) عكسه لبش ومصحفه (لبس) باليقين .

(٢) بثلاث نقط ويقال ان نجوم الثريا سبعة :

اذا ما الثريّا في السماء تعرّضت ... يراها الحديد العين سبعةَ انجم

(٣) الأصل حكى لشهاب ثاقب . والله اعلم .

(٤) الأصل يصحبه .

(٥) الأصل عنده .

هذا مليحٌ جداً . (هنا منتهى الورقة (١) ويتلوها على الآتيه ماسيأتي من دون عنوان) :

(٢٥) وروضة من أديم الخمرِ منبتها أزرى(؟) بكلّ حرير حيكَ بالذهبِ
تبارك الله كم فيها وحلَّ بها من آية أودعت حقّا ومن عجب
أكرِمْ بها روضة أبدت زخارفها وما ألمّ بها صوبٌ من السُحُب
فأبرزتْ كلّ لون فائق حَبِر وكلُّ شكل بديع الحسن منتسب

(٢٦) وقال أيضاً لغزاً في أرغش :

وما اسم رباعيّ من الترك قدّه يقُدُّ فؤادَ المبتلى أيما قدّ
يليهُ بمعكوس الثلاث من اسمه وتصحيفه من وافر أسود جعْد
ترى الصبحَ يبدو من أسرّة وجهه على فرع ليل طائل(؟) لاحَ مسوَدّ

تمّ فصل الألغاز .

الفصل الخامس

(المطبوع ص ١٧٩) في الأهاجيّ التي وُجدت له عفا الله عنه ، ولم تكن قصده بها الغيبة والثلب ولا المَعيبة والسبّ . لكنه كان يرى المعنى يشتهي نظمَه فلا يتأتّى له إلاّ في الهجو فينظمه مداعبةً مع أنه لم يُفحِش في الهجو . وأنا أسأل الله له العفو . ودليل ذلك قوله في بعضهم :

ما إن مدحتك أرتجي لك نائلاً فحرمتني فذممتُ باستحقاق

البيتين ص ٣٠٧ .

---

(١) أي يمكن أن يتخلل الورقتين خرم .

قال يهجو جماعة من أهل دمشق بقصيدة سمّاها مقراض الأعراض (ص ١٧٩) اهـ في مرآة الزمان ٨ × ٦٩٦ حيدرآباد أنها في ٥٠٠ بيت . وللموفق ترجمة طويلة في مرآة الزمان ٨ × ٤١١ أيضاً .

ص ١٨٠ س ٦ : الضب يفرّ من الماء ومن أمثالهم : بيني وبينه كما بين الضبّ والنون ، (الحوت) .

ص ١٨٠ س ١٠ : للخليط .

ص ١٨٢ س ١ : كلية السر (كذا) .

س ٥ : من جَبَل . و(من حبل) من خطأ الطبع . ورواية البيت عندنا كرواية الصلب .

ص ١٨٢ س ٨ : من حادث ومن خطب .

ص ١٨٣ س ٢ : أو تجشم ما وراءهم .

ص ١٨٤ س ٤ : مُحال بالضمّ (الميمني) .

ص ١٨٤ س ٦ : والأب والجَدّ .

س ٧ : كان القاضي الفاضل أحد .

س ٨ : ناديت بالمقترين ويحكو البيت .

حدثني بعض من كان يصحبه أن هذه الأبيات التي هجا بها أهل دمشق لم يكن له فيها غرض ولا أرَب ولم يخطر بباله ، ولا في هؤلاء المذكورين أحد كان بينه وبينه ما يوجب الهجوَ . وإنما الباعث على ذلك أنه لما كان ببلاد العجم سمع رجلاً ينشد الشريف ابن[1] المَبّاريّة العبّاسي قصيدة يهجو بها

(١) توفي سنة ٥٠٤ هـ كان خبيث اللسان هجّاء يربي فيه على ابن عنين وغيره وله الصادح والباغم وانظر الوفيات (محمد بن محمد) ومرآة الزمان ٨ × ٥٨ والقصيدة هنا مصحّفة غاية التصحيف ووقفت عليها بعد لأي في تاريخ آل سلجوق لعماد مصر ص ٦٠ وقد أسقطت منها ٦ أبيات لخلل فيها .

أهل مدينة من بلاد العجم فكتبها منه ثم عمل هذه على حسنها (كذا) وحذا فيها على حذوها ونسج على منوالها .

وقصيدة الشريف ابن الهبّارية أولها :

لو أنّ لي نفساً صبرتُ[1] لما ... ألقى ولكن ليس لي نفسُ
ما لي أقيمُ لدى زعانفةٍ ... شُمٌّ القرونِ أنوفهم فطسُ
في[2] مأتمٍ من سوء فعلهمِ ... ولهم بحسن مدائحي عرسُ
ولقد غرستُ المدحَ عندهم ... طمعاً فحنظلَ ذلك الغرسُ
الشيخ عَيْنُهم وسيّدهم ... خَرِفٌ لعمرك باردٌ جِبْسُ

يعني بالشيخ الوزير الأعظم نظام[3] الدين الكُنْدُري وزير السلطان ملك شاه .

كالجاثليق على عُصَيَّته ... يعدو[4] ودار خلفه القسُّ
والناصح[5] الغندور حتى إلى ... جنب الوزير كأنه جَحْسُ
وأبو الفتوح[6] وأنت تعرفه ... وسهيل مثل الكلب ينبسُ
وخليفة الريّ الخبيث له ... بالتيس قُرْطُ القرب والأنسُ
وأبو الغنائم في تبظرمه ... يعلو وليس ليومه أمسُ

يعني بأبي الغنائم[7] تاج الملك بن رئيس الرؤساء .

---

(١) الماد : صربتُ .
(٢) الماد : لي مأتم . واراه الصواب .
(٣) هو نظام الملك قوام الدين وقتل سنة ٤٨٥ هـ منشيء المدارس . وأما الكُنْدُري (وكندر كبرت قرية بنواحي نيسابور) فهو عميد الملك أبو نصر وزير طغرلبك اوّل ملوك السلاجقة المقتول سنة ٤٥٩ هـ خرِف لأنه ناهز الثمانين .
(٤) من الماد واصلنا : داير خلفنا كذا . والتصحيحات فيها سقم .
(٥) منه واصلنا : والناصح الهندروجي كذا . و (حتى) تصحيف .
(٦) الحكيم ابو الفتوح المترف النصراني الطوسي من اصحاب نظام الملك تتمة الصوان رقم ٢٠ وحواشيها ص ١٨٥ وابن الاثير ٤٧٧ .
(٧) الوزير بعد نظام الملك صهره وكان السببَ في قتله قتله غلمان نظام الملك شرّ قتلة سنة ٤٨٦ وهو ابن ٤٧ سنة . المعروف بابن دارست .

والزوزني[١] فبارد سَمِجٌ كالموت فيه البَرْد واليُبْس

[و] محمد القصّابُ قَفحتهُ لأَيور قصّابيْ نَسا نُرس

محمد القصّاب وهو عميد الحضرتين[٢] محمد بن اسمعيل المعروف بعميد خراسان .

وُحريبــة الإسكاف خازنه رِخو العِجان كأنه قَلْس[٣]

هو أبو حرب الخزّان كان أقرع[٤] .

قد صار مال الأرض في يده عفواً وقيمة[٥] رأسه فلس

هذي أمور الملك أجمعها فسعوده[٦] بسعودهم نحس

ولقد هممت بأن أفارقهم وتجدّبي[٧] عَيرانةٌ عَنْس

لكن ثناني عن فراقهم علمي بأن الناس قد خَسّوا

عُمَر[٨] أروم وأجتديه لقد غَمّ البلاء وأشكل اللَبْس

هو كمال الدين عمر بن محمد الأديب الطغرائي .

متقّف أي أنه دَمِثٌ وأخفّ من حَرَكاته قُدس[٩]

هـذا وكُزَّرائينُ عنـدهمو كالكب تَخبّ بارد بخس[١٠]

(١) ابو المختار كمال الملك ، العماد ٥٨ .
(٢) محمد بن منصور ابن النَسَوي عميد خراسان المتوفى سنة ٤٩٤ هـ المنتظم ج ٩ رقم ١٩٨ . وأيور الاصل لابوار .
(٣) الأصل قبس . والقلس حبل السفينة الضخم .
(٤) الأصل قرع أو نزع .
(٥) الأصل فـــه .
(٦) العماد : فسعودها من اجلهم .
(٧) الأصل وجدي عيرانه عيس .
(٨) العماد : من ذا أروم .... عَمّ البلاءُ وأرى هنا غلطاً وعند العماد : ص ٥٦ هو كمال الدولة ابو الرضي فضل الله بن محمد صاحب ديوان الانشاء والطغراء قرين لنظام الملك ومؤيّده . وأرى ابن نبهان اخطأ في تسميته .
(٩) جبل بنجد .
(١٠) الأصل غير واضح وماكولهُ . وعند العماد : بخس .

كوهرائين[١] هو الأمير سعد الدولة الخادم شِحْنةُ بغداد المشكان .

رجل ولكن ما له ذَكَرٌ أنثى ولكن ما لها كُس
وأبو شجاع سيف وسادته كالخِرْس[٢] لكن ما له جَرْس

أبو شجاع[٣] هو الوزير في زمان الإمام المستنجد (صوابه المقتدي) رضي الله عنه .

يبني ويَنْقُضُ ما يشيّدُهُ فكأنّه متبختِرٌ يمسو
أبني جَهير[٤] أرتجي وهمو بالأمس الأقرب سُوقةٌ نُعْس
أعلى أمورهم اذا تفق الطرّيخُ[٥] عنهم أو غلاَ الدِبْس
والله لو ملكوا السماء لما عرقوا ولا اهتزّوا ولا انحسوا[٦]
أم باب[٧] إبراهيم أقصده هيهات خاب الظنّ والحدْس
قد كان محبوساً وكان له جوْدٌ فزال الجُوْدُ والحَبْس
أم أعتني ابنَ أخيه مرتجياً عَلَقاً له من ظهره تُرْس
أدمتْ أيورُ الترك فقحتَه حتى ظننّـا أنه تُرس (كذا)

(يتبع) كراتشي عبد العزيز الميمني

---

(١) ترجمته في المنتظم ج ٩ رقم ٧٣، المتوفى سنة ٤٩٣ هـ والمشكان لعله لقب وانظر جهار مقاله بالعربيّة حواشي القزويني ١٣٩ . وفي بلدان ياقوت قرية .

(٢) بالفتح ويكسر الدَنّ والأصل الجرس ، وجَرْس صوت ، وعند العماد : في وزارته كالخرس لا بل دونه الخرس .

(٣) هو وزير المقتدي صاحب ذيل تجارب الأمم المطبوع مدحه الحريريّ ومات بالمدينة سنة ٥١٣ هـ .

(٤) فخر الدولة أبو نصر وزير القائم والمقتدي ومات سنة ٤٨٣ هـ وابنه عميد الدولة وزير المقتدي قبل أبي شجاع وختن نظام الملك أبو منصور المتوفى سنة ٤٩٣ هـ المنتظم ج ٩ رقم ١٨٢ . وزعيم الرؤساء أبو القاسم علي وزير المستظهر .

(٥) حلك صغار مملح .

(٦) العماد : ولا انحشوا .

(٧) من العماد وأصلنا : نار ابراهيم أقصدها .

الزجّاجي

حياته وآثاره

ومذهبه النحوي من خلال كتابه « الإيضاح »

- ٤ -

مادة كتاب الإيضاح

يتألف كتاب الإيضاح من مقدمة وثلاثة وعشرين باباً يضاف اليها مسائل صغيرة ألحقها الزجاجي في آخره .

أما المقدمة فيتعرض الزجاجي فيها لموضوعات كثيرة كوجوب العناية بالتأليف وسبب وضعه للكتاب وطريقة معالجته للموضوع وسبب تسميته بالإيضاح ...

وأما الأبواب الثلاثة والعشرون فلن نعرضها هنا كما عرضها الزجاجي في كتابه أبواباً عامة في كل منها نصيب للاسم والفعل والحرف فإذا هو يجمع في باب واحد مسائل متنوعة وبحوثاً مختلفة وحّدت بينها المصطلحات ... ولكنا سنعرض مادة الكتاب على أساس تقسيم البحوث التي تناولها أقساماً أربعة ؛ فنتحدث في القسم الأول عن الاسم ، ونورد في هذا القسم كل ما له صلة بالاسم من كل أبواب الكتاب . ونجعل القسم الثاني للفعل ، والثالث للحرف ، وأما القسم الرابع فنعرض فيه لمسائل العامة التي وردت في الكتاب كمسائل الإعراب والنحو وغير ذلك .

١ — الاسم

تعرض الزجاجي في كثير من أبواب « الإيضاح » لمسائل تختص بالاسم كتسمية الاسم وسببها ، وحدّ الاسم واختلاف النحويين فيه وتأثرهم بالمنطق ، واستحقاق الاسم للإعراب ، ومكان الإعراب فيه ، ومرتبة الاسم من حيث التقدم والتأخر بإزاء الفعل والحرف . وخفة الاسم ، وامتناعه عن الجزم ، وتثنيته وجمعه . أما الحديث عن سبب تسمية الاسم فيورد فيه حجة القائلين بأن كل لفظ من اسم أو غيره انما هو « فعل » للمتكلم الناطق به . ثم يبين ان الاسم اكتسب هذه التسمية لأنه دال على المسمّى وسمة له .

وأما حدّ الاسم فقد أتى به الزجاجي حدًّا نحويًا فقال « الاسم ما كان فاعلاً أو مفعولاً أو واقعاً في حيّز الفاعل أو المفعول به » وتعرّض لما حدّه به النحاة وانتقد ما كان جاريًا من حدودهم على أوضاع المنطق ، وبيّن أن غرض المنطقيين من حدهم يختلف عن غرض النحويين ، ومن هنا كنا نجد بعض الحدود صحيحة على أوضاع المنطق وهي على أوضاع النحو غير صحيحة ولا مستقيمة .

وناقش أصحاب الحدود المنطقية في النحو مبينًا خطأهم . ثم استعرض حدود النحاة للاسم استعراض الناقد فأورد تعريفات كل من الأخفش الأوسط وابن السراج وابن كيسان والمبرد للاسم فعاب بعضها ونقضه ، واعتذر لبعضها بأن صاحبها لم يرد الحد على الحقيقة وانما أراد بحده التقريب على المبتدئين كما هو الشأن عند المبرد الذي اعتذر الزجاجي له ودافع عنه .

وتحدث عن الإعراب وبيّن العلة في وقوعه آخر الاسم دون أوله ووسطه . فاستعرض ما قاله النحويون كأبي بكر بن الخياط والمبرد وغيرهما ، وكان يورد القول وما اعترض به عليه ثم يحكم على أقوالهم بأنها كلها أقوال مقنعة .

وأما استحقاق الاسم للاعراب فقد ذكر فيه رأي الخليل وسيبويه ونحاة البصرة ، وأورد حجتين لم تثبتان أن الاسم هو المستحق للإعراب دون الأفعال والحروف المستحقة للبناء ، إلا ما عرض له من الأسماء علة منعته من الإعراب فدخل في باب المبنيات . ثم أورد أقوال الكوفيين وقدم حججهم . ولكنه وقف قبل تفصيل أدلتهم لينبه على أن هذه الحجج على ثلاثة أقسام ، فمنها ما كان مسجلاً في كتب البصريين والكوفيين فنقله بغير ألفاظهم لصعوبة فهمها ... ومنها ما اخترعه من عنده ولكن على أصول القوم ومقاييسهم . ومنها ما تلقاه عن أساتذته وشيوخه مما لم يودعوه كتبهم . ويقطع الحديث هنا ليذكر لنا أساتذته الذين أخذ عنهم فيعددهم ذاكراً ما يميل اليه كل منهم من المذاهب وفنون العلم . ويعود بعد ذلك الى ما كان بصدده من ايراد حجج الكوفيين ومناقشتها .

ويتعرض الزجاجي في بعض الأبواب لمسائل نظرية تخص الاسم كما في الباب الحادي عشر وهو باب القول في الاسم والفعل والحرف وأيها أسبق في المرتبة والتقدم ، فيصدّر الباب بقول جمهور النحاة من بصريين وكوفيين ، وهو أن الأسماء قبل الأفعال وقبل الحروف ويشرح هذا القول ويورد الحجج ضده . ثم يعود على هذه الحجج فيوهيها ويبين مغالطتها وينتهي من ذلك الى إثبات رأي الجمهور .

ويكتفي في بعض الأبواب بعرض الأقوال المختلفة دون أن يبين رأيه . كما هو الأمر حين تحدث عن العلة في خفة الاسم وثقل الفعل . فأورد قول البصريين ووضحه ثم عرض لأقوال الكسائي والفراء وهشام بن معاوية وثعلب فذكرها دون تعليق .

ومن المسائل التي عرض لها في باب الاسم ، هذه المسألة التي طال فيها نفسه وهي علة امتناع الأسماء من الجزم ، ابتدأ هذا الباب بقوله ان لسيبويه في ذلك قولين ثم قدم أحدهما لأنه المعتمد عند النحويين فشرحه ، وأتى بثلاثة

ردود عليه ثم دفع هذه الردود بقوة ، وانتقل بعد ذلك الى القول الثاني لسيبويه وأعقبه بآراء الكوفيين وبعض البصريين ممن خالف سيبويه ورأى غير رأيه .

وكان آخر ما تحدث عنه الزجاجي في باب الاسم التثنية والجمع ، ففرَّق التثنية وبين كيفيتها ، وأوضح اختلافها عن الجمع . وتحدث عن الجمع بأنواعه السالم منه والمكسر ، وما كان منه للقليل وما كان منه للكثير .

وأورد بعد ذلك مسائل فرضية ، وأسئلة نظرية كقوله : لم كان رفع الاثنين بالألف وهي المجانبة للفتح ولم يكن بالواو ، ولم لم تخص الألف برفع الجمع والواو بتثنية المرفوع ؟ ولم ضم النصب الى الخفض دون أن يضم الى الرفع أو دون أن تجعل له سمة خاصة به ؟؟ وأجاب عن كل ذلك .

٢ — الفعل

تناول الزجاجي الحديث عن الفعل في أكثر أبواب الكتاب ، فتحدث عن : سبب تسمية الفعل ، وحده ، وما قيل في تقدمه على المصدر وتأخره عنه ، واستحقاقه للبناء ، ومرتبته ازاء الاسم والحرف ، ومراتب الأفعال فيما بينها ، وفعل الحال ، وثقل الفعل ، وامتناعه من الخفض ، وعدم الإضافة اليه .

أما سبب تسمية الفعل فقد بين الزجاجي أنه ان كان كل من الاسم والفعل والحرف يستحق أن يسمى بـ « فعل » لأنه فعل المتكلم ، فان الفعل أحقها بهذه التسمية ، وذلك لأن الفعلية أصابته من جهتين ، فكان فعلاً للمتكلم به من جهة ، وفعلاً لفاعله من جهة ثانية . وأما حد الفعل فقال انه ـ على أوضاع النحو ـ ما دل على حدث وزمان ماض أو مستقبل ، وفسر الحدث بالمصدر ، وشرط اقترانه بالزمان ليكون منها الفعل ، فأما ان دل على الحدث وحده ، فهو المصدر ، وان دل على زمان فقط فهو الظرف . وذكر أن قوله هذا لا يعدو أن يكون تفسيراً لقول سيبويه .

وأتى بحد آخر وضعه بعض النحويين للفعل ، فنقضه ثم تعرض لما يزعم الكوفيون أنه فعل دائم فقال انه محال .

وتحدث في باب آخر عن المسألة الخلافية المعروفة حول الفعل والمصدر وأيهما مأخوذ من صاحبه . فأورد قول سيبويه ووضحه وألحق به قول الفراء والكوفيين ، ثم عاد فذكر أدلة البصريين وأثبتها ، ورد على أدلة الكوفيين وبين أنهم لم يكونوا فيها على صواب ، وختم الحديث بذكر محاورة جرت بينه وبين ابن الأنباري النحوي الكوفي أظهر لنا فيها عناد الكوفي واصراره على التمسك برأيه .

وأما استحقاق الفعل للبناء فقد ذكر في الحديث عن أقوال البصريين وعلى رأسهم سيبويه ، ثم عرض لأقوال الكوفيين الذين يرون أن أصل الإعراب للأسماء والأفعال جميعاً وأما البناء فللحرف فقط ، وأورد حججهم في ذلك وردها . وختم الباب بتصويب رأي البصريين .

وتناول الحديث عن مرتبة الفعل بالنسبة الى الاسم والحرف فذكر اتفاق البصريين والكوفيين على أن الفعل بعد الاسم وقبل الحرف ، وناقش هذا القول وانتهى الى اثباته وتأييده . وأما تقدم الأفعال بعضها على بعض ، فجعل السبق فيه للمستقبل فالحال ثم الماضي .

وأفرد باباً للحديث عن فعل الحال ، بين فيه أنه ليس هو الفعل الذي يسميه الكوفيون بالفعل الدائم ، فهذا محال عنده ، ولكن فعل الحال هو الفعل المتكون بين الفعلين المستقبل والماضي ، وذلك أن المستقبل هو الفعل الذي لم يقع بعد وان الماضي هو الفعل الذي مضى عليه زمانان اثنان : زمان وقوعه ، وزمان الإخبار عنه ، فأما الفعل الذي يتكون في حال خطاب المتكلم ، فلم يخرج الى حيز المضي ولا هو في حيز المنتظر ، فذلك هو فعل الحال . وهنا يذكر احتجاجاً يرد على البصريين في فعل الحال ، وهو أنه ما دام فعلاً مستقلاً فلماذا

لم يكن له لفظ خاص يعرف به ؟ ويرد على ذلك بأن قوة الشبه بين المضارع والاسم هذه القوة التي منحت الفعل الإعراب هي أيضاً القوة التي جعلته بلفظ واحد ويقع لمعنيين ، كما كان من الأسماء ما يقع لأكثر من معنيين . وأما الماضي فليس له من شبه الاسم ما يمنحه شيئاً من قوته فبقي على حاله .

وتعرض في موضع آخر لعلة ثقل الفعل فذكر رأي بعض البصريين والكوفيين في ذلك . وكان آخر ما تحدث عنه مما له صلة بالفعل ، امتناع الأفعال من الخفض ، وقد أفرد لذكر العلة في ذلك باباً خاصاً صدره بقول سيبويه ثم شرح هذا القول شرحاً مفصلا ، تعرض فيه لذكر امتناع الأفعال من أن تضاف أو أن يضاف اليها ، وأورد في ذلك أسئلة كثيرة وشواهد متباينة ، ثم رد على الأسئلة وخرّج الشواهد بما يلائم الأصل ، ولم يفته أن يلتفت الى أسماء الزمان خاصة ، ليتحدث عن جواز اضافتها الى الأفعال أو عدمه ، فقد خصها بحديث مطول أتى فيه على أقوال النحاة الذين يرون جواز هذه الإضافة وذكر شواهدهم ثم وقف من أقوالهم وشواهدهم موقف الناقد المفند يردّ ويرفض ويؤوّل .

٣ — الحرف

سبب تسمية الحرف ، وأضربه ، وحد كل منها . واستحقاقه للبناء ومرتبته بالنسبة الى الاسم والفعل ، هو ما تحدث عنه الزجاجي في كتابه ، مما له صلة بالحرف فكان نصيب الحرف في الكتاب دون نصيب كل من قسميه الاسم والفعل .

يرى الزجاجي أن الحرف حد بين الاسم والفعل ، ورباط بينهما ، لذلك سمي حرفاً . وحرف الشيء حده ، ويقسم الحروف ثلاثة أقسام هي حروف المعجم التي تتألف منها الكلمات . وحروف هي الكلمات نفسها . وحروف المعاني .

ويعرّف كلاً منها فيقول ان حروف المعجم هي الأصوات التي لا تدل على معنى من معاني الأسماء والأفعال ، ولكنها أصل تركيبها . والحروف الكلمات هي أبعاض الكلم ، وأما حروف المعاني فهي التي يعنى بها النحويون والتي جاءت لتدل على معان في غيرها . ويختم الزجاجي حديثه عن الحد باستعراض نماذج قليلة من حدود النحويين والتعليق عليها بما يدل على عدم اقتناعه بها إذ يقول « وهذا وصف للحرف صحيح ، وليس بحد له » . وأما استحقاق الحرف للبناء فيوضح الزجاجي رأي سيبويه فيه ، ويورد حجج البصريين في تأييده ، واثبات أن الحرف كالفعل مستحق للبناء وهي حجج مستندة الى كون الفعل مستحقاً للبناء كقولهم « واذا كانت الأفعال غير مستحقة للاعراب لأنها عوامل فحروف المعاني من الإعراب أبعد » .

ولم يذكر للكوفيين في الموضوع أكثر من موافقتهم على الأصل القائل بأن الحرف حقه البناء .

وآخر ما تعرض له الزجاجي من مسائل الحرف مرتبته في السبق والتقدم بالنسبة الى الاسم والفعل . وهي المسألة النظرية التي عالج فيها ترتيب الأسماء والأفعال والحروف وتصنيفها وفق الأسبقية والتقدم . وقد جعل مرتبة الحرف أخيرة بعد الاسم والفعل ولكنه بادر الى الاحتجاج بأنه ما دام الحرف عاملاً في الاسم والفعل ، وما دام العامل قبل المعمول فكيف يكون الحرف بعدهما ؟ وأنهى الحديث برد هذه الحجة وإبطالها ، بل اتهامها بأنها مغالطة . وأنها لا تنقاس على العلة ومعلولها ، ولجأ الى الواقع فضرب منه مثلاً بسيطاً فقال اذا كان النجار قبل الباب الذي نجره فإن هذا لا يعني أنه قبل الخشب الذي صنع منه الباب ، وكذلك الحروف التي هي ـ وإن لم تكن أجساماً ـ سابقة لعملها فقط ، وليست سابقة لما عملت فيه ، ان الحروف قبل الرفع والنصب والخفض والجزم ،

هذه التي هي كنها من آثارها ، ولكنها ليست قبل المرفوع والمنصوب والمخفوض والمجزوم .

٤ — المسائل العامة

من المسائل العامة التي تعرض لها كتاب ايضاح علل النحو المسائل الآتية : اختلاف الحدود وعلته ، وعلل النحو ، والإعراب ولماذا دخل الكلام ؟ وهل هو حركة أم حرف ؟ وما معنى الرفع والنصب والجر ، والسبب في تسمية النحو ، وفائدة تعلمه . والفرق بين النحو والإعراب واللغة والغريب . وعلة دخول التنوين في الكلام .

الى جانب مسائل نظرية قائمة على الفروض كالفعل والمصدر وأيهما مأخوذ من صاحبه . وكالإعراب والكلام وأيهما أسبق وغير ذلك مما أشرت اليه في أقسام الاسم والفعل والحرف كالتفاوت بينها في المرتبة والتقدم ، وتفاوت الأفعال فيما بينها في التقدم ، وعلة امتناع الأسماء من الجزم وامتناع الأفعال من الخفض ... ولم كان رفع الاثنين بالألف ولم يكن بالواو .. ؟

اختلاف الحدود :

يوضح الزجاجي لماذا تختلف الحدود بعضها عن بعض ، مع أن الحد هو ما دل على طبيعة الشيء الموضوع له ، فيقول ان هذا الاختلاف فيما بينها ليس اختلاف تضاد وتنافر وان وقع شيء من هذا كان خطأ في الحد وفساداً في الحدود ، وانما هو اختلاف في اللفظ . ثم يبين أن الاختلاف في الحدود قائم حتى بين الفلاسفة أنفسهم وهم أعرف الناس بالحدود ويضرب أمثلة كثيرة عن اختلافهم في حد الفلسفة ذاكراً أن هذا ليس من النحو في شيء ولكنه ما دام يبحث بعقلية أصحاب الحدود فلا بد من مجاراتهم . وثمة شيء آخر يعزو

اليه الزجاجي اختلافهم في الحدود وهو أن لكل منهم غرضاً يقصد اليه في حده ، فمنهم من أراد التقريب والافهام ، ومنهم من أراد الشمول والحصر ، ومنهم من أراد الحد على الحقيقة ، واختلاف الأغراض أدى بهم الى اختلاف الحدود .

علل النحو :

أول ما يشير اليه الزجاجي في باب علل النحو هو أن هذه العلل ليست كالعلل الفلسفية من حيث كونها موجبة للمعلول ، وأنها متى وجدت وجد بالضرورة ، وانما هي علل مستنبطة من المعلول بعد وجوده .

ثم ينتقل الى ذكر أقسامها فيجعلها ثلاثة : تعليمية ، وقياسية ، وجدلية نظرية . فالعلل التعليمية هي التي توصل الى تعلم كلام العرب . كأن تقول : العلة في نصب « زيداً » من قولنا « ان زيداً قائم » هي مجيء « ان » قبله .

والعلل القياسية كأن تسأل عن العلة في نصب « ان » لزيد في قولنا « ان زيداً قائم » فنقول ولم وجب أن تنصب ان الاسم ؟ ويكون جوابنا هو العلة القياسية القائلة ان « ان » وأخواتها ضارعت الفعل المتعدي الى مفعول فحملت عليه وأعملت أعماله ، فالمنصوب بها مشبه بالمفعول به لفظاً . والمرفوع بها مشبه بالفاعل لفظاً . وهي تضارع الفعل الذي قدم مفعوله على فاعله نحو ضرب أخاك محمد . وأما العلل الجدلية النظرية فكل ما يعتل به في باب « ان » بعد هذا الذي سبق ، كأن يقال : فمن أي جهة شابهت هذه الحروف الأفعال ؟ وبأي الأفعال شبهتموها ؟ ولم لم تشبهوها بما جاء على الأصل من تقديم الفاعل على المفعول ؟ فكل علة يعتل بها المسؤول في الاجابة عن شيء من هذه الأسئلة فهي علة داخلة في باب النظر والجدل .

وبعد أن ينهي الزجاجي حديثه عن أقسام العلة يورد خبراً عن الخليل بن أحمد وأثره في علل النحو . فيقول ان الخليل سئل عن العلل التي يعتل بها أكانت

من اختراعه وابتكاره أم أنه أخذها عن العرب . فكأن جوابه طريفاً يدل على أنه كان يخترع العلل ويأتي منها بما كان يعتقد أن العرب لاحظته وان لم تصرح بأنه العلة ، وكان آخر جوابه قوله « فان سنح لغيري علة لما عللته من النحو ، هي أليق مما ذكرته بالمعلول فليأت بها » ويعلق الزجاجي على ذلك بقوله « وهذا كلام مستقيم ، وانصاف من الخليل رحمة الله عليه » . وينهي حديثه عن العلل بقوله ان علل النحو كافة قائمة على هذه الأقسام الثلاثة التي ذكرها .

الإعراب :

يعالج الزجاجي في كتاب الإيضاح عدة مسائل تتعلق بالإعراب ، وسنعرض هذه المسائل عرضاً سريعاً وبالترتيب التي أوردها به .

الإعراب والكلام أيهما أسبق :

يحكم الزجاجي بسبق الكلام للإعراب ، فالاسم أو الفعل موجود ذو دلالة معينة ولا تزول دلالته سواء أكان معرباً أو غير معرب . والإعراب طارئ على الكلام لمعنى يعتوره . ولكن هل يعني ذلك أن الكلام نطق به زماناً غير معرب ثم أعرب ؟ الزجاجي يرفض ذلك ويقول ان العرب نطقت بالكلام معرباً لأول وهلة . فان قيل وكيف حكمتم بسبق أحدهما ما داما وجدا معاً ؟ فيقول ان الأشياء ، وان لم تكن توجد الا مجتمعة ، لتستحق التقديم والتأخير . ويمثل لذلك بقوله ان السواد عرض في الأسود ، والجسم أقدم من العرض بالطبع ، والعرض قد ينفصل عن الجسم ، فنقول ان الأسود قبل السواد مع أننا لم نر الجسم الأسود منفصلاً عن سواده ، ولا رأينا السواد قط عارياً عن الجسم ... ومثل ذلك قولنا ان الأسماء قبل الأفعال مع أنها وجدت معاً في النطق .

وعلى كل فقد أجاز بعض العلماء أن تكون العرب نطقت أولاً بالكلام غير معرب ، ثم رأت اشتباه المعاني فأعربته .

الإعراب وعلة دخوله في الكلام :

لو اختفى الإعراب لالتبست المعاني وتشاكلت الألفاظ إذ الإعراب علم المعنى في اللفظ وبه نهتدي الى معنى الفاعلية أو المفعولية أو الإضافة ... هذا موجز رأي النحويين في علة دخول الإعراب في الكلام عرضه الزجاجي مع التفصيل التمثيل .

ويستثنى قطرب من النحويين لأنه لا يرى رأيهم . بل يرى أن اتفاق الإعراب في زيد من قولنا «ان زيداً أخوك» . ولعل زيداً أخوك . وليت زيداً أخوك» لم يدل على اتفاق المعنى . وان اختلاف الإعراب في قولنا «ما زيد قائماً ، وما زيد قائم» لم يدل على اختلاف المعنى . ان قطرباً يرفض رأي النحويين ويقول ان العرب لجأت الى الإعراب للتخلص من التقاء الحروف الساكنة ، وليعتدل الكلام ما بين حركة وسكون .

ويرد الزجاجي قول قطرب بما رد به النحويون من أنه لو صح زعم قطرب لكانت الحركة الواحدة مجزئة للتخلص من التقاء السواكن . ولكنا رأينا كثيراً من جر الفاعل ونصبه ورفع المفعول وجره ... ولما كنا رأينا الاعراب يسير في كلامهم على هذا النسق من الترتيب والاطراد .

الإعراب أحركة هو أم حرف ؟

مذهب البصريين أن الإعراب حركة وليس حرفاً ، إذ لو كان حرفاً لما دخل على حرف . وأما الكوفيون فيرون أن الإعراب يكون حركة فيدخل على حرف ، ويكون حرفاً فيقوم بنفسه . وقد يكون الإعراب بعد ذلك

سكوناً (كما في المضارع الصحيح) أو حذفاً (كما في المضارع المعتل) .
وينبه الزجاجي على أن الإعراب قد يكون حرفاً - عند سيبويه - في موضع واحد ولعلة تسوق اليه ، وهذا غير ناقض للأصل . أما هذا الموضع فهو الأفعال الخمسة التي ترفع بثبات النون ، وتنصب وتجزم بحذفها . وعلة ذلك أنه لو جعلت النون حرفاً ثابتاً دوماً ودخلته حركات الإعراب ، لوجب إذا وقع عليه السكون أن تحذف الألف أو الواو أو الياء من قبله ، فتلتبس المعاني لضياع الضمائر الساقطة ، لذلك جعلت النون علم الرفع ، فوجب حذفها عند الجزم ، لأن الجزم يسكن المتحرك ويحذف الساكن .

وأما النصب فقد ضم في هذا الباب الى الجزم ، كما ضم في تثنية الاسم وجمعه الى الجر ، لأن الجزم في الأفعال نظير الخفض في الأسماء .

ويرد الزجاجي بعد ذلك بما يحتج به أو يسأل عنه كقولهم لماذا لم تكن الألف والواو والياء في الأفعال الخمسة هي حروف الإعراب ؟ وكيف جاز أن يجيء الفاعل في مثل « يفعلان وتفعلون » قبل حركة الإعراب ؟

الإعراب ولم وقع في آخر الاسم دون أوله ووسطه ؟

سبق أن أشرنا إلى هذه المسألة في قسم الاسم [1] فلا لزوم لإعادتها هنا .

معنى الرفع والنصب والجر :

يشرح الزجاجي معنى هذه العلامات الأربع التي هي الرفع والنصب والخفض والجزم عن طريق اللغة فيقول انما سمي الرفع رفعاً لأن المتكلم به يرفع حنكه الى الأعلى حين النطق به ، وسمي الفتح فتحاً لأن المتكلم يفتح فاه ، ويباعد بين حنكيه حين النطق به ، وأما الجر فسمي بذلك لأنه يجر ما قبله ليوصله الى

(١) انظر ص ٦٣ من هذا البحث .

ما بعده نحو مررت بزيد فالباء أوصلت مرورك الى زيد، ومثله المال لعبد الله، وهذا غلام زيد . ولا ينسى الزجاجي أن جماعة من الكوفيين يسمون الجر خفضاً فيخرج معناه بذلك عما علله به من أمر الجر فيقول ان هؤلاء قد لاحظوا انخفاض الحنك الى الأسفل وميله الى احدى الجهتين (عند النطق بحركة الخفض) .

وأما الجزم فمعناه القطع ، وكأنه سمي بذلك لقطعه الإعراب عن الكلمة، هذا هو الأصل فيه . ثم أطلق على حذف الحرف أيضاً لأنه يشبه حذف الحركة ، إذ كلاهما حذف . ويورد الزجاجي بعد ذلك كلاماً ينسبونه الى المازني . فيشرحه ثم يرده ويثبت شكه في نسبته اليه .

العلة في تسمية النحو :

يروي الزجاجي تحت هذا العنوان ما شاع من خبر أبي الأسود الدؤلي ، وما قيل حول وضعه للنحو ، وسبقه الى ذلك ، وأنه قال : انحوا هذا النحو أي اقصدوه ، وان النحو ـ على ذلك ـ هو القصد ، ثم غلب هذا الاسم على علم العربية حتى عرف به .

فائدة تعلم النحو :

يرى الزجاجي للنحو فوائد كثيرة ، منها أنه يوصل الى التكلم بكلام العرب غير مبدل ولا مغير ، ومنها تقويم كتاب الله وفهم الحديث النبوي ... ويورد بعد ذلك ما أثر من أقوال تحث على تعلم العربية وتبين فضلها ، فيروي عن ابن عباس وأبي بكر وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب . ثم يقول ان الشعر ـ وهو ديوان العرب ـ لا تمكن اقامته ولا فهمه إلا بمعرفة النحو . ويختم حديثه بالرد على من احتج لعدم ضرورة النحو بفهم الكلام العامي غير

المعرب فيقول انما يكون ذلك في المتعارف المشهور ولو التبس على المرء معنى من المعاني وأراد ايضاحه لم يمكنه ذلك بغير معرفة الإعراب .

الفرق بين النحو والإعراب واللغة والغريب :

أما النحو فقد تحدث عنه في باب « علة تسمية النحو » ويزيد هنا أنهم قد يطلقون على النحو اسم الإعراب كما يطلقون على الإعراب اسم النحو سماعاً لأن المقصود منهما علم واحد . وأما الإعراب فهو البيان ، ولما كانت الحركات تبين عن المعاني فقد سميت به . وأما اللغة أو اللسن فهي ما يتكلم به القوم . وما قل سماعه منها ولم يعبر في غير أفواه الخاصة فهو الغريب .

التنوين وعلة دخوله في الكلام :

يدخل التنوين في الكلام لمعان ثلاثة :

١ — أن يكون للفرق بين الخفيف من الأسماء وغير الخفيف ، فالتنوين ثقيل لا يدخل على ثقيل . وجعله سيبويه فارقاً بين المنصرف الخفيف من الأسماء وغير المنصرف . وجعله الكوفيون فارقاً بين المفرد والمضاف .

٢ — أن يكون عوضاً عن محذوف من الكلمة ، فقولك « جوار » مثلاً أصلها جواري فاستثقلت الضمة على الياء فحذفت فنقص بناء الكلمة فعوضت التنوين ، وكذلك في حال الجر . وأما في النصب فنبقيه على حاله لخفة الفتح .

٣ — أن يكون فرقاً بين المنكر والمعرف من الأسماء المنتهية بالزوائد نحو : عمروية وسيبويه ، لأنهم أجروا هذه الألفاظ مجرى الأصوات فمنعوها الإعراب وبنوها على الكسر . فإذا أرادوا تنكيرها نونوها كما فعلوا في حكاية الأصوات .

عرض تاريخي :

كانت نظرتنا الى كتاب الإيضاح فيا سبق نظرة عامة. استعرضنا من خلالها المواد التي احتوى عليها أو تألف منها . ومن حق الزجاجي علينا بل من حق الكتاب نفسه أن تنظر اليه نظرة خاصة ، لا تتجه بهـا الى المادة العلمية المعروضة فيه ، وانما نوجهها الى تطور هذه المادة أو تاريخها . ومن الغبن للزجاجي أن تنظر اليه من خلال كتابه على أنه نحوي فقط ، وهو الذي كان فيه نحوياً يبحث مسائل النحو ومشاكله كما يبحثها غيره ، وكان - الى حد ما - مؤرخاً يستعرض الآراء النحوية استعراضاً تاريخياً . فيبدأ منها منذ نشأتهـا الأولى ثم يحاول تتبع سيرها على ألسن النحويين ، فيطلعنا بذلك على جانب من جوانب تطورها أو تاريخها النحوي .

على أنا لا نعني أن كتاب « الايضاح في علل النحو » كتاب في تاريخ النحو ، إذ لم يكن التأريخ للنحو غاية سعى اليها صاحبه ، إلا أن أسلوب الزجاجي في عرض المسائل النحوية أسلوب راعى فيه التطور الزمني . وكان فيه عالماً أميناً ومتتبعاً بصيراً . ولم يكن مجرد راوية ينقل ، وانما كان ناقلاً ناقداً يستعرض ويختار ، ويختصر ويوجز .

فمن خصائص هذا الأسلوب التاريخي أنه عني بالكشف عن مصدر الفكرة الأول ، وتتبعهـا لمعرفة ما آلت اليه ، ثم محاولة الربط بين حاضر الفكرة وماضيها . فأما الكشف عن مصدر الفكرة ، ومحاولة عزوها الى صاحبها ، فيظهر عند الزجاجي في مثل قوله في حديثه عن أقسام الكلام « وأول من سطر القول بذلك سيبويه » فدل على أن سيبويه هو أول من سجل تقسيم الكلام الى اسم وفعل وحرف . على أنه لم ينقل عن ذكر ما روي من أن علي بن أبي طالب

هو أول من قال بذلك . ولكنه ينقل هذا الخبر على أنه رواية رويت وليس لديه ما يؤيدها أو ينقضها .

وأما تتبعه لذكرة واستعراضه لما دار حولها من أقوال ، ورجعه كل قول الى صاحبه فيظهر مثلاً حين تحدث عن الاسم وحده فذكر موقف سيبويه (١٨٠ ه) منه ورأي أصحابه ـ ثم ذكر رأي الأخفش الأوسط (٢١٠ ه) ورد عليه ـ ثم رأي ابن السراج (٣١٦ ه) وعاد أخيراً الى المبرد (٢٨٥ ه) فوقف عند رأيه يفصل ويناقش .

ويتمثل هذا التتبع تحدث عن امتناع الفعل من الخفض ، فبدأ برأي سيبويه وشرحه وأورد ما قيل فيه ، ثم انتقل الى رأي الأخفش الأوسط فشرحه ، وبين الصلة بينه وبين قول سيبويه ، بل بين كيف يعود قول الأخفش الى المصدر الأول الذي هو قول سيبويه وخلص من ذلك الى الحكم بأن كل كلام قيل في علة امتناع الفعل من الخفض فهو مشتق من قول سيبويه وراجع اليه .

وشبيه بذلك موقفه من رأي الفراء في علة دخول التنوين في الكلام ، إذ أتى على ذكره وبين أنه مأخوذ من قول سيبويه .

وتتبع القول في علة ثقل الفعل وخفة الاسم فذكر أقوال البصريين ، ثم انتقل الى الكوفيين فعدد منهم الكسائي (١٨٩ ه) فالفرّاء (٢٠٧ ه) فهشام ابن معاوية (٢٠٩ ه) فثعلباً (٢٩١) ه .

وقد لا يكون بين النحويين خلاف في المسألة التي يبحثها ، فلا يكون هناك ضرورة لهذا العرض ، بل يكتفي أن يشير الى إجماعهم على الأمر كأن يقول في الحديث عن العلة في تنكير الأفعال « وهو جواب الجماعة لا ينفرد به قوم دون قوم » أو أن يقول « الدليل على ذلك اجتماع النحويين

كلهم من البصريين والكوفيين على أن الأفعال نكرات» فاذا انعدم الاجماع كان ذكر القول الأشيع هو المقدم عنده ، ثم يتلوه قول المخالفين أو ما كان وجيهاً وجديراً منه بالذكر كما هو الأمر في باب علة دخول الإعراب في الكلام اذ ذكر قول النحويين ثم قال «هذا قول جميع النحويين إلا قطرباً» واستمر يشرح رأي قطرب ويناقشه ويرد عليه . وكذلك فعل في باب علة دخول الإعراب في آخر الاسم دون أوله ووسطه إذ أفرد رأي كل من ابن الخياط والمبرد بالحديث لأنهما خالفا في ذلك وكانا على غير ما أجمع عليه النحاة .

ونرى الزجاجي أحياناً يصنف النحويين وفق آرائهم كما فعل حين تحدث عن الألف والواو والياء في التثنية والجمع فقال : «اعلم أن للعلماء في ذلك ثلاثة أقوال ، قال الكوفيون كلهم ... هي الإعراب نفسه . وقال المازني والمبرد والأخفش سعيد بن مسعدة هذه الحروف دليل الإعراب وليست باعراب ولا حروف إعراب . وقال الخليل وسيبويه ومن تابعهما هذه الحروف هي حروف الإعراب .

ثم شرح كل قول من هذه الأقوال وناقشه . ولا شك أن تقسيم العلماء وفق آرائهم . وذكر هذه الآراء وشرحها يساعد على معرفة الآثار المتبادلة فيما بين العلماء كما يساعد على معرفة الرأي القوي الذي كان له النفاذ والشيوع وكانت له الغلبة والحياة .

ويراعي الزجاجي هذا التسلسل الزمني حتى في ترتيبه للشواهد حين يحتاج اليها ولا يكتفي به في عرض آراء النحاة ، فقد أراد في بعض أبواب الكتاب أن يبين قيمة العربية فبدأ بالاستشهاد بالقرآن ثم بالحديث ثم بأقوال نسبت الى ابن عباس وابي بكر وعمر وعلي .

والخلاصة ان أبا القاسم الزجاجي كان يتتبع المسألة النحوية التي يبحثها محاولاً أن يكشف عن مصدرها ، فيثبت نسبتها اليه ، ثم يسير معها عبر الزمن ليظهرها في ثوب جديد من التعبير على ألسن أخرى تناولتها . بل لقد تعرض لتاريخ الحركة النحوية بصورة عامة فذكر ما شاع من خبر أبي الأسود الدؤلي الذي قيل أنه أول من بدأ العمل النحوي في عهد زياد ، وأنه أخذ ذلك عن علي بن أبي طالب .

(يتبع) مازن المبارك

نظرة في

معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

للدكتور ا . ل . كليرفيل

نقله الى العربية الأساتذة مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط

ومحمد صلاح الدين الكواكبي

(لجنة المصطلحات الطبية في كلية الطب من جامعة دمشق)

- ٥ -

رقم المصطلح			رقم المصطلح
٢١٦٤	نخر الأسنان	Carie dentaire	2164

وقد درجت في كتبي على استعمال السأس ترجمة لهذا المصطلح . ففي اللسان السأس غير مهموز ولا ثقيل القادح[1] في السن . وطبيعي أن ترجع كلمة واحدة في ترجمة هذا المصطلح على كلمتين .

٢١٦٥	نخر ، مُسَوَّس	Carié, e	2165

نخر أو مسوس ومسوسة ومسيس .

(١) في اللسان : والقدْح والقادحُ أكال يقع في الشجر والأسنان . والقادحُ العفن وكلاهما صفة غالبة . والقادحةُ الدودة التي تأكل السن والشجر تقول قد أسرعت في اسنانه القوادحُ الى أن قال وقد قُدح في السن والشجرة ، وقُدِحتا قدْحاً ، وقدّح الدودُ في الأسنان والشجر قدحاً وهو تأكل يقع فيه . والقادح الصدع في العود والسواد الذي يظهر في الأسنان .

٢٢١٠ خوذة الخَوَر Casque neurasthénique 2210

وأرجح قلنسوة الوَهْن العصبي .

٢٢٤٣ خلاع Catatonie 2243

وأقر مجمع اللغة خُباط متقلب ، ودرج كاتب هذه السطور على ترجمة اللفظة بالجُمود . فقد جاء تعريفها في معجم بلاكستون (Blakiston's) : طور من ارتكاس الفصام (Schizophrenic reaction) أو نوع منه ، يبدو المصاب به فاقداً ارادة الكلام أو الحركة ملتزماً وضعة واحدة ، ومحافظاً على الوضعة التي يجعل فيها مع ممانعة لأي حركة ارادية أو للكلام .

أما الخُلاع فقد جاء في اللسان : والخُلاع والخَيْلَع والخَوْلَع كالخَبَل والجنون يصيب الإنسان ، وقيل هو فَزَع يبقى في الفؤاد يكاد يعتري منه الوَسْواس وقيل الضَّعْف والفَزَع .

لذا أرجح الجمود والكاتاتونية معرّبة .

٢٢٤٧ مخرَج متوهِّج Cathode incadescente 2247

وأفضل مَنْفَذ سَلْبي مُتوهّج إذا لم يفضل كاثود متوهج (معربًا) .

٢٢٤٨ شاردة سَلْبية (شاربة) Cation 2248

وأرجح كاتيون معرّبة .

٢٢٥٥ حُراق ، تناذر حُراقي Causalgie,syndrome 2255

عُصاب حروري causalgique, thermalgie

وأقر مجمع اللغة حُرقة في الجلد . ودرج كاتب السطور على استعمال الألم المُحرِق ترجمة لـ (Causalgie) فأقول الألم المُحرِق ، تناذر الألم المُحرِق والألم الحروري .

أما حُراق فله دلالته اللغوية الخاصة ، فقد جاء في اللسان : والحُراق ما تقت به النار من خِرْقة أو نَبْج ، قال والنَبْج أصول البَرْدي اذا جفت ، الحُراق والحُراقة ما تقع فيه النار عند القدْح والعامة تقوله بالتشديد .

2326 (5) Neurone ٢٣٢٦ (٥) جامعة عصبية

وأقر مجمع اللغة عَصَبة . ودرجت على استعمال الوحدة العصبية .

2460 Chapelet rachitique ٢٤٦٠ مِسْبَحَة خَرَعية

وأرجح مِسْبَحة رخيطبية [1] .

2517 Chimiotaxie, Chimiotro- -pisme, Chimiotactisme ٢٥١٧ انجذاب كيمياوي ، انحياز كيمياوي

وأرجح أن تكون ترجمة هذه المصطلحات الثلاثة تباعاً : الانتظام الكيميائي (لأن منه ما يكون ايجابياً فيدل على الانجذاب ، كما ان منه ما يكون سلبياً فحريّ به أن يدعى نفوراً) ، انجذاب كيميائي والنظامية الكيميائية .

2544 Chlorose, anémie essentielle Chlorose, d'Egypte, chlorose tropicale ٢٥٤٤ خَضَر ، فاقة دم شديدة

وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظة الأولى بكلوروز ، ودرجت على ترجمتها بداء الإخضرار والتعريب أفضل . أما بقية الألفاظ فتكون ترجمتها : فاقة الدم الأساسية (لا الشديدة) كلوروز مصر ، كلوروز المناطق الحارة . وللخَضَر معناه اللغوي الخاص [2] .

(١) ينظر في الصفحة ٩٩ من الجزء الأول من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في التاج : والخَضَر بالتحريك النومة مصدر خَضِر الزرع اذا نعم الى ان قال والخَضَر مَحَنّ النخل وجريده الأخضر .

2545 Chlorotique ٢٥٤٥ يَخضور ، متعلق بالخَضَر

وأرجح أن يقال كوروزي استناداً الى ما تقدم .

2553 Choc allergique ٢٥٥٣ صَدْمة مجاوبية

وأفضل صدمة آليرجيائية[1] .

2554 Choc anaphylactique ٢٥٥٤ صدمة تَأقية

وأفضل صدمة الاستهداف[2] أو اللاوقاية (المجمع) .

2558 Choc hémoclasique, colloïdo - clasique ٢٥٥٨ صدمة تزعزع الدم صدمة تزعزع الشَّغريات

أقول صدمة تزعزع الدم ، صدمة تزعزع الغرويات .

2559 Choc hypoglycémique, Choc insulinique ٢٥٥٩ صدمة نقص التَّحَلّون الدموي صدمة انسولينية

ودرجت على استعمال صدمة نقص سكر الدم والصدمة الأنسولينية .

2581 Cholestéatome ٢٥٨١ وَرَم شحمي ، ورم لؤلؤي

وأقر مجمع اللغة ورم لؤلؤي ورم شحمي كولستروليّ .

2583 Cholestérine, cholestérol ٢٥٨٣ غَوْل المِرّة (كولسترول)

وأقر مجمع اللغة كولسترول وهي الكلمة الدارجة حتى على ألسن العامة وكذلك كولسترين .

2598 Chondrodystrophie ٢٥٩٠ كُساحة الولدان ، حَثَل الغضاريف

(١) انظر الصفحة ٣١٨ من الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) الصفحة ٤٦٥ من الجزء الثالث من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

وأقر مجمع اللغة السَّغَل الغضروفي ، وهو الأفضل لأن السَّغَل [1] البادي مرده الى سوء تكوّن الغضاريف ، وكلمة حَثَل (لا حَثَل) لا تفيد المعنى المطلوب ونسبتها الى الغضاريف يفهم منه اضطراب الغضاريف بحد ذاته ، وكلمة كُساحة لا أراها تفيد المعنى المطلوب .

وعليه فالأفضل أن تترجم اللفظة بالسَّغَل الغضروفي .

٢٥٩٣ رَقَص ، رَقَص سن غي ، رَقَص سيدنهام الرثوي — 2593 Chorée, danse de saint Guy. Chorée rhumatis- - male de Sydenham

وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظة بكورية ، والشائع هو داء الرقص ، فتكون الترجمة : كورية أو داء الرَّقَص ، رَقَص (ترجمة Danse) سن غي ، كورية سيدنهام الرثوية .

٢٦١٥ مِقياس تعيين اللون — 2615 Chromomètre

وأرجح مقياس اللون .

٢٦١٦ كُرْه الألوان — 2616 Chromatophobie

---

(١) ان مدلول لفظة (Chondrodystrophie) هو سوء التشكل الخِلْقي في العظام من منشأ غضروفي . وفي اللسان : والكُساحُ الزَّمانة في اليدين والرجلين وأكثر ما يستعمل في الرجلين ، الكَسَح ثِقَل في إحدى الرجلين اذا مشى جرّها جرّاً ، الأكسح الأعرج والمُقْعد ايضاً . وجاء ايضاً والكَسَح داء يأخذ في الأوراك فتضعف له الرجل وقد كَسِحَ الرجلُ كَسَحاً إذا ثقلت إحدى رجليه في المشي ، فاذا مشى كأنه يكسح الأرض أي يَكْنُسُها .

وفي اللسان : الحَثَل سوء الرَّضاع والحال ، وقد أحثلته أمه والمُحْثَل السيء الغذاء والحِثْل الضاوي الدقيق كالمُحْثَل .

والسَّغِل : الدقيق القوائم الصغير الجثة الضعيف والاسم السَّغَل ، والسَّغِل والوَغِل السيء الغذاء المضطرب الأعضاء السيء الخُلُق يقال صبيٌّ سَغِل بيّن السَّغَل .

وأرجح النفور من الصباغ ويعنى بهذه اللفظة حال بعض الخلايا التي لا تصطبغ بالملونات ، ودعاها المجمع الخلايا اللاصطلونة .

٢٦١٧ رؤية الأشياء ملوّنة 2619 Chromatopsie

وأرجح اصطباغ الرؤية [١] .

٢٦٢٠ جسم ملوّن (في نواة الخلية) 2620 Chromosome

وأقر مجمع اللغة الصبغي (ج الصبغيات) وأرجح تعريب هذه اللفظة بكروموزوما لبعد كل من الجسم الملون (في نواة الخلية) والصبغية عن الدلالة [٢] .

٢٦٢١ زَمْنَة وحدة زَمَنية 2621 Chronaxie

وأفضل تعريبها بكروناكسيا [٣] أيضاً .

٢٦٨٨ دَوَران اكليلي 2688 Circulation coronaire

كذا وردت الترجمة في جدول تصويب الأخطاء الواردة في المعجم ، وكانت في المتن دَوَران تاجي فعدلت عنه ، وأراه أصح . فالمتفق عليه اطلاق (Couronne) على التاج والإكليل معاً إلا أن التاج أخص لا سيما وان

(١) لقد ذكرت لجنة مجمع اللغة في ترجمة (Chromatopsia) عمى الألوان ولا أظنه إلا خطأ مطبعياً لأن عمى الألوان ترجمة لـ (Achromatopsia) .

(٢) ويعني بها اجزاء متناهية في الصغر بشكل (٧) تظهر في نواة الخلية التي هي في طور الانقسام ، وتنشأ من تجزؤ شبكة الكروماتين (Chromatine) ، وعدد هذه الأجزاء ثابت لكل نوع من انواع الحيوانات .

(٣) يفهم من وحدة زمنية احد اجزاء الدقيقة والثانية ، والزَمْنة كما جاء في لسان الزمان . واللفظة الفرنجية لا تدل على هذا ولا ذاك فهي ذات دلالة خاصة لا تشاطرها فيها أي كلمة . لقد عرفت الكروناكسيا بالمدة التي تقتضي لمرور التيار الكهربائي حتى إحداث ادنى تقلص في العضلة وذلك بشدة تبلغ ضعف أخف التيارات التي تثير التقلص المذكور (Rheobase) .

التتويج يأتي ترجمة لـ (Couronnement) في الفرنسية و (Coronation) في الانكليزية . وقد أقر مجمع اللغة ترجمة (Coronary) بتاجي .

٢٧٠٥ إشقرار 2705 Cirrhose

وأقر مجمع اللغة كلمة تليف في ترجمة اللفظة ، وهي تطلق على حالة مرضية تعرض للكبد تمتاز بالتكثر المفرط لنسيجها الضام ، وقد درجنا ومن تقدمنا على اطلاق التشمع عليها وأصبحت الكلمة من الخطأ المشهور ، وكلمة الاشقرار تشير الى مدلول اللفظة اللغوي بأن تصبح الكبد بلون أشقر . وكلمة التليف دلالتها أعم لأن لون الكبد لا يكون أشقر دائماً في الأشكال المختلفة من العلة المذكورة .

٢٧٤٨ دَوْرة كاملة ، بُحراني ، نقد 2748 Climatérique, Critique

إن اللفظة الفرنجية كما جاء في معجم بلاكستون (Blakiston's) من اليونانية وترجمتها الحرفية (درَجة السلّم) ومعناها كما يقول صاحب المعجم المذكور طور الحياة الذي يطرأ فيه على البدن تغيّر بيّن ، وقد ظُن أن هذه الأطوار تتكرر كل سبع سنوات إلا أن هذه الكلمة تستعمل من أجل سن الأياس (Menopause) .

وعليه فترجمة اللفظة أيامي (دَوْري أو نَوْبي) .

٢٧٤٩ معالجة بالإقليم 2749 Climatothérapie

وأرجح المعالجة المُناخية ، وأقر مجمع اللغة العلاج المُناخي .

٢٧٥٤ ضُجْعة . 2754 Clinomanie

وأرجح وَلَع الاستلقاء . فقد عرفت اللفظة الفرنجية بالميل المُفرط الملازمة السرير أو الاستلقاء والمشاهدَ في بعض المصابين بالوَهَن العصبي وبالوهن العصبي التناسلي خاصة . أما الضُجعة فقد جاء في اللسان : الضُجْعة والضُجَعِي الذي

يلزم البيت ولا يكاد يبرح منزله ولا ينهض لمكرمة . واضطَجَعَ نام وقيل استلقى ووضع جنبه بالأرض وأضجعت فلاناً إذا وضعت جنبه بالأرض . الاستلقاء على القفا وكل شيء كان فيه كالانبطاح ففيه استلقاء ، واستلقى على قفاه .

2757 Clinostatique ٢٧٥٦ ملازم فراشه

والأفضل أن يقال استلقائي ومنه البيلة الآحينية الاستلقائية (Albuminurie clinostatique) المشاهدة في بعض الحوامل ، على عكس البيلة الآحينية الانتصابية (Alb. orthostatique) التي تبدو في بعض الأعلاء حين الانتصاب أو الوقوف .

2757 Clinostatisme ٢٧٥٧ لزوم الفراش

وأرجح الاستلقاء .

2769 Clonique ٢٧٦٩ اختلاجي

2770 Clonus de la main ٢٧٧٠ اختلاج اليد

وأقر مجمع اللغة الرجفان في ترجمة (Clonus) ودرجت على استعمال الارتجاج مخصصاً الاختلاج لفظة (Convulsion) وقد استعملت اللجنة الكلمة ذاتها في المصطلح ذي الرقم ٣٢٠٥ بقولها اختلاج ارتجاجي لترجمة (Convulsion clonique) .

وعليه فأرجح ارتجاجي للفظة الأولى وارتجاج اليد للثانية .

2772 Clonus du pied, ٢٧٧٣ اختلاج القدم ، ارتجاجات نظيرة
phénomène du pied, الصرع ، اختلاجات نخاعيــة
trépidation épileptoïde, spinale

وأرجح أن يقال في ترجمة هذه الألفاظ : ارتجاج القدم ، ظاهرة القدم ، الاهتزاز شبه الصرعي ، نخاعي .

2772 Clonus de la rotule, phénomène de la rotule — اختلاج الدافصة ٢٧٧٢

وأفضل ارتجاج الداغصة ، ظاهرة الداغصة .

2773 Clou hystérique — مسمار هرعي ٢٧٧٣

أقول مسمار هستيرياني [1] .

2786 Cocci, microcoques — مكورات دقاق ٢٧٨٦

مكورات (بصيغة الجمع) ، مكورات دقاق .

2787 Coccidie — كرويات ٢٧٨٧

وعربها الجمع بكوكسيدية .

2788 Coccobacille de la coqueluche — عصورة السعال الديكي ٢٧٨٨
bacille de Bordet-Gengou — عصية بورده جنغو

2789 Coccobacille de Pfeiffer — عصورة فايفر ، عصية فايفر ٢٧٨٩
bacille de Pfeiffer

وعصورة منحوتة من عصية ومكورة ، و لا استحسن هذا النحت ، لذا أرجح أن يقال في اللفظة الأولى عصية السعال الديكي المكورة وفي الثانية عصية فايفر المكورة .

2790 Coccus — مكورات ٢٧٩٠

والأصح مكورة بصفة المفرد وجمعها مكورات (Cocci) .

2795 Cœliaque — بطني ٢٧٩٥

وأقر مجمع اللغة جوافي وهو الأفضل لأن بطني تعني (Abdominal) أيضاً .

(١) الصفحة ٣٠٠ الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

٢٧٩٦ جوف عام ، جوف جنيني صفاقي خارجي — 2796 Cœlome. Cavité pleuro - péritonéale

وأرجح أن يقال الفضاء الجوافي (في الجنين) والجوف الجنبي البريطوني .

٢٨٠٤ قَلْبٌ مُسترخٍ — 2804 Cœur en goutte

وجاء في النص الانكليزي pendulous heart, drop heart ويعني بهذه اللفظة أحد أشكال القلب البادي في الأشعة والقلب على هيئة قطرة أو رقاص الساعة ، ويفهم من قَلْب مُسترخ مصاب بالاسترخاء Asystolie[1] لذا أرجح أن يقال القلب على هيئة القطرة أو رقاص الساعة .

٢٨٠٦ قلب نَزِق ، مستثار ، قلب محارب ، قلب الجندي ، تقلقل القلب ، تناذر قلبي عصبي إسراعي ، عصابية قلبية إسراعية ، تناذر وَهن دوراني — 2806 Cœur irritable, cœur de guerre, cœur de soldat instabilité cardiaque, syn- -drome neurotachycardiaque névrose tachycardiaque, syndrome d'asthénie circulatoire

وأرجح قلب هائج ، قلب الحرب ، لا استقرار القلب ، تناذر عصبي اسراعي ، عُصاب اسراع القلب ، تناذر الوَهن الدوراني .

٢٨٠٧ قلب تاجي — 2407 Cœur mitral

وأرجح قلب اكليلي كما جاء في متن الكتاب قبل تصحيح الخطأ وأن يخصص النسبة الى تاج بـ (Coronaire) .

(١) لقد ذكرت البتة في الفقرة ١٢٣٠ استرخاء القلب وقصوره في ترجمة (Asystolie, insuffisance) :

٢٨٤٨ مُهَلِّمن (مُكوِّن الهُلام أو الغراء) Collagène 2848

وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظة بكولاجين ودرجت على استعمال مولد الغراء وأفضل التعريب .

٢٨٦٤ غُرَيَّاء (كولوديون) Collodion 2894

وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظ بكولوديون وهي دارجة الاستعمال وأخف وقعاً من غُرَيَّاء .

٢٨٦٥ شِبْغَرَوِي ، شبه غِرائي Colloïdal, ale 2865

وأقر مجمع اللغة غرائي ، وعندي التعريب أفضل بقولنا كولوئيدي .

٢٨٦٨ غَرْغَرة ، مَضْمَضَة Collutoire 2868

وقد عرفت اللفظة الفرنجية بأنها العلاج الذي يستعمل لأجل التأثير في اللثة وفي جدار جوف الفم (معجم غارنيه M. Garnier) وأرجح بأن تترجم اللفظة بطِلاء [1] الفم ، وان تخصص الغرغرة والمضمضة ترجمة للفظة (Gargarisme) وقد عُرفت هذه بأنه العِلاج السائل الذي يستعمل بخفه في الجزء الخلفي من الحلق والبلعوم [2] . وطبيعي أن لا ينطبق هذا التعريف على مدلول لفظة (Collutoire) .

٢٨٩٣ مُلوِّن آزوتي ، جسم آزوتي مُلوَّن Colorant azoïque 2893
corps azoïque coloré

والأصح أن يقال مُلوِّن آزوتيكي أو مُلوِّن الآزو عملاً بالترجمة الانكليزية (Azodyes) ولو كانت النسبة الى الآزوت لوجب أن تكون (Colorant Azotique) ولكن النسبة هنا الى صنف من المواد الصباغية تعرف بـ (Azobenzène) .

(١) في اللسان : الطِّلاء القَطِران وكل ما طليت به .

(٢) (M. Garnier et V. Delamare Dictionnaire des termes techniques de médecine)

2908 Coma — ٢٩٠٨ تسبيخ

وأقر مجمع اللغة كلمة سُبات وهي الكلمة الدارجة والتي يستعملها جميع الأطباء بلا استثناء ولا أرى مسوغاً لاستبدالها بكلمة جديدة قاموسية .

2910 Coma urémique — ٢٩١٠ تسبيخ تبولي

وأرجح سُبات أوريمياني وهو المصطلح الدارج أيضاً .

2948 Complexe auriculaire, ressaut P (E C G) — ٢٩٤٨ مشترك أُذيني

وأفضل المجموعة الأذينية أو المُركَّب الأُذيني اشارة P (م ق ك) أعني مخطط القلب الكهربائي .

2949 Complexe intial, partie initiale du complexe ven- -triculaire, complexe Q. R. S. (E C G) — ٢٩٤٩ مشترك بدائي، القسم البدائي من المشترك البطني

وأفضل أن يقال في ترجمة اللفظة وما يليها : المجموعة البدئية ، الجزء البدئي من المجموعة البطنية ، مجموعة .Q. R S (م ق ك) .

2950 Complexe Q. R S. T. complexe ventriculaire (E C G) ventri- - culogramme — ٢٩٥٠ مشترك بُطَيني مخطط بطيني

وأفضل في ترجمة هذه المصطلحات : مجموعة (.Q R. S T) ، المجموعة البطينية (م ق ك) المخطط البطيني .

2935 Comportement général — ٢٩٥٣ احتمال عام ، تحمّل

والصحيح سُلوك عام أو تصرُّف عام .

٣٠٢١ مَجرى السمع الظاهر والباطن — 2021 Conduit auditif ou acoustique externe et interne

والصحيح الصِماخ ومجرى السمع الباطن . ففي المخصص ولسان العرب الصِماخ من الأذن الخرق الباطن الذي يفضي الى الرأس . ولا أرى مانعاً من أن يدعى الأول الصماخ الظاهر والثاني الصماخ الباطن .

٣٠٤٠ هُذاء ، تخيل — 3040 Confabulation

وأرجح الخَرَف [1]

٣٠٩٠ إضواء (وحدة الدم) — 3090 Consanguinité

والصحيح القَرابة أو القُربى وإن شئت القَرابة الدموية أو القربى الدموية على وجه التخصيص . أما الإضواء فهو الهُزال والضَعف البادي في الولد من القَرابة في الزواج ، فهو نتيجة التقارب لا القرابة ذاتها [2] .

٣٠٩١ الشُعور (غَطْمَشَة) — 3091 Conscience (obnubilation de la)

---

(١) في اللسان : الخَرَف بالتحريك فساد العَقل من الكِبَر . وقد خَرِف الرجلُ بالكسر يخرَف خرَفاً فهو خَرِفٌ فَسَدَ عقلُه من الكِبَر والأنثى خَرِفَة وأخرَفَه الهَرَمُ .

(٢) في اللسان : والضَوى دقّة العظم وقلة الجسم خِلْقةً ، وقيل الضوى الهُزال ضَوِيَ ضَوىً الى أن قال : وأضوى الرجلُ وُلِد له ولدٌ ضاويٌ وكذلك المرأة . وفي الحديث اغتربوا لا تضوُوا أي تزوجوا في البِعاد الأنساب لا في الأقارب لئلا تضوى أولادُكم . وقيل معناه انكحوا في الغرائب دون القرائب ، فإن ولد الغريب أنجبُ وأقوى ، وولد القرائب أضعفُ وأضوى .

وأرجح فَتْرَ الشُعور أو الوعي وربما غطش الشعور أو الوعي والأولى أفضل [1] .

3092 Conscience de soi - même ٣٠٩٢ شُعُور بالذات

وأرجح شُعُور بالأنا (مصطلح نفساني) .

3135 Constriction intestinale ٣١٣٥ تَحَتّر مِعَوي

وأرجح تَضَيُّق مِعَوي [2]

3171 Contraction péristaltique ٣١٧١ تَقَلُّص حَوْلي

وأقر مجمع اللغة التَمعّج ترجمة لـ (Peristaltis) ودرجت على استعمال كلمة التحَوِّي في هذه الترجمة ، والمقصود من اللفظة الحركة البادية في الأمعاء والتي من شأنها أن يضيق أحد أجزائها بينما يتسع الجزء الذي يليه وتتابع الحركتين مما يتيح للغذاء أن يسير في لمعتها [3] وأرجح من أجل ذلك أن تكون الترجمة تقلص حَوِي أو استداري .

---

(١) في اللسان : والفَتَر الضعف وفَتَر جسمُه يَفْتُر فتوراً لانت مفاصله وضعف ، ويقال أجد في نَفْسي فَتْرة وهي كالضَّعفة ، ويقال للشيخ قد عَلَتْه كَبْرة وعَرَتْه فَتْرة وأفتره الداء أضعفه وكذلك أفتره السكر . والغطاش ظُلمة الليل واختلاطه ، ليل أغطش ، وقد أغطشَ الليل فهو غاطش أي مظلم ، وفي الأساس وفلاة غطشى عمية المسالك ومررت فتغاطش أي تغافل .
أما الغَطْمَشة فقد جاء في اللسان : الغطمشة الأخذ قهراً وتَغَطْمَش فلان علينا تغطمشاً تظلمنا وبه سمي الرجل غَطَمّشاً .

(٢) في اللسان : حتار كل شيء كِفافه وحرفه وما استدار به كحتار الأذن وهو كِفاف حروف غضاريفها الى أن قال : وحَتَر الشيء وأحتره أحكمه ، احترت العقدة إحتاراً إذا أحكمتها فهي مُحْتَرة ، وكل شد حَتْر ،بينما يقصد بهذا المصطلح تضيق لمة المعي لا غير .

(٣) المقصود من كلمة حَوْلي نسبة الى حَوْل الشيء ما يطيف بجوانبه ولا أراها في محلها . والتمعج كما جاء في اللسان : التَمَعُّج سرعة المَرّ وريح مَعْوج سريعة المَرّ ومَعَجَ السَّيل يَمْعَجُ أسرَعَ ومَعَجَ في الجري يَمْعَجُ مَعجاً تفنّن . أما التحوي ففي اللسان أيضاً : والحَوِيَّة استدارة كل شيء وتحوى الشيء استدار .

3184 Contre - coup تضاد الصدمة ٣١٨٤

وأفضل أن يقال الصَّدْمة المقابِلة أو الراجِعة أو ردة الصدمة .

3185 Contre épreuve ضد التجربة ، ضد الاختبار ٣١٨٥

وأفضل الاختبار المُقابل .

2190 Contre stimulant مضاد التنبه ٣١٩٠

وأرجح مُهَدِّئ .

3309 Convulsion tonique, tonisme اختلاج اشتدادي، تَحَظْرُب ٣٢٠٩

وأرجح أن يقال اختلاج مقوٍّ ، التقوي . لأنّ كلمة اشتدادي سبق وان استعملت ترجمة لِـ (paroxystique) ، واللجنة استعملت القوة والمقوي لترجمة (tonique) وأمثالها . أما التحظرب فقد جاء في اللسان أنه امتلاء البطن[1] .

3217 Coprostase انحباس البراز ، انحباس الغائط ٣٢١٧

وأرجح ركود البِراز أو ركود الغائِط كما أن مطاوع حَبَس احتبس لا انحبس وفق ماجاء في اللسان والقاموس .

3244 Cornage, dyspnée du cheval, pousse صَوْت صوري ، زلة الحصان، نُحام ٣٢٤٤

ودرجتُ على ترجمة اللفظة بالضَّبْح . وعرفت اللفظة الفرنجية بأنها مستعارة من الطب البيطري للدلالة على الصفير الحُنْجري الرُغائي الشديد حتى ليسمع

(١) في اللسان : المُحَظْرَبُ الشديد الفَتْل ، حَظْرَبَ الوَتَرَ والحَبْلَ أجاد فَتْلَه وشد تَوْتيرَه وحَظْرَبَ قوسه اذا شد تَوْتيرها ورَجُلٌ مُحَظْرَبٌ شديد الشكيمة الى أن قال والتحظرُب امتلاء البَطْن .

من بعد . وفي اللسان : ضَبَح يَضْبَح ضَبْحاً وضُباحاً نَبَح والضُباح الصَّهيل وضَبَحت الخَيْل في عَدْوها تَضْبَح ضَبْحاً أسمعت من أفواهها صوتاً ليس بصَهيل ولا حَمحمة ، وقيل تَضْبَح تنحيم وهو صوت أنفاسها اذا عَدون الى أن قال وفي التنزيل والعاديات ضَبْحاً .

وفي اللسان والنَّحام طائر أحمر على خِلْقة الاوز واحدته نُحامة . والنَّحيم صوت من صدر الفرس[1] . لذا أرجح أن يقال في ترجمة هـذه اللفظات : ضَبْح ، زَلة الخَيْل ، تنحيم .

3268 Corps ٣٢٦٨ جِسم ، جُسْمان ، جَسَد وبَدَن أيضاً .

3383 Coudé. e ٣٣٨٣ مُكوَّع

وأرجح مِرْفَقي نسبة الى المِرْفق وهو مَوْصِلُ الذراع في العَضُد . أما مُكوَّع فهو نسبة الى كوع وهو طَرَفُ الزند الذي يلي أصل الابهام[2] .

3385 Cou - de - pied ٣٣٨٥ عُنُق القدم

وهي الترجمة الحرفية للفظة الفرنسية ولم يسبق لأحد من أطباء العرب القدامى أن استعملها ولم أعثر عليها في أي معجم من المعاجم العربية . وما استعمل في الدلالة على هذه اللفظة هو صَدْر القَدَم وحمارة القدم مع بعض الفرق بين هاتين

---

(١) في اللسان : النَّحيم والكَرير صوت يكون من الصدر وقَرَّس ناحم وناحمة .

(٢) في اللسان : الكاع والكُوع : طَرَف الزند الذي يلي أصل الإبهام وقيل هو من أصل الإبهام الى الزند ، وقيل هما طرفا الزندين في الذراع والكوع الذي يلي الإبهام والكاع طــرف الزند الذي يلي الخنصر وهو الكُرْسُوعُ وجمعها أكواع .

اللفظتين [١] . وترجمة اللفظة الانكليزية (Instep) وقد عُرفت بأنها قوس الجزء المتوسط من القدم ، واللفظة الألمانية (Fussbeuge) تفيد المعنى نفسه ، مما يدل على انفراد الفرنسية بهذه التسمية التي لنا في لغتنا الضادية ما يقابلها . كما أن ترجمة اللجنة للفظة (Articulation tibio - tarsienne ou du cou de pied) بمفصل عنق القدم (اللفظة ذات الرقم ١١٥٠) حريّ به أن يصحح بمفصل القدم وكُرْسوع [٢] القدم أو مفصل الكعب كما جاء في قانون ابن سينا وفي كامل الصناعة .

٣٣٩١ رَمَض 3391 Coup de chaleur

ودرجت على ترجمة اللفظة بلَفْحة الرَّمْضاء ، إذ المقصود منها العوارض العامة الناجمة عن التعرض للحر الشديد والرَّمَض يدل على أثر موضعي [٣] .

---

(١) في المخصص الحمارة : في القدم حارتها وهي ظَهْر عظمها قريباً من مفصل القدم ، صَدْر القدم ما تحت الأصابع من مُقدَّمها .
في اللسان : وحارَّة القَدَم المشرِفة بين أصابعها ومفاصلها من فوق ، وصَدر القَدَم مُقدَّمها ما بين أصابعها الى الحارَّة .

(٢) في المخصص : كُرْسوع القدم مفصلها من الساق ، وكذلك في اللسان أيضاً .

(٣) في اللسان لَفَحَتْه النار تَلْفَحه لَفْحاً ولَفَحاناً أصابت وَجْهه إلا أن النفحَ أعظم تأثيراً منه وكذلك لَفَحت وَجْهه ، لَفَحَتْه النار إذا أصابت أعلى جسده فأحرقته لفحَتْه النار والسَّمُومُ بحرها أحرقته .
وفي اللسان أيضاً : الرَّمَض والرَّمضاء ، شدة الحر ، والرَّمَض حرّ الحجارة من شدة حَرّ الشمس وقيل هو الحرّ والرُّجوع عن المبادي إلى الحاضر وأرضٌ رمِضة ، والرَّمَض شدة وقع الشمس على الرمل والأرض ورمضاء الى أن قال : ورَمض الإنسان رَمضاً : مشى على الرَّمضاء والأرض رَمِضة ورَمِض يومنا بالكسر يرمَض رَمضاً اشتد حره ، ورمضت قدمه من الرمضاء أي احترقت .

٣٣٩٩ رَعْن — 3399 Coup de soleil, insolation

والصحيح رَعَن بالتحريك [١] .

٣٤٧٢ وُراك — 3472 Coxalgie

والصحيح الألم الحَرْقفي أو الألم الحَجَبي نسبة الى الحَرْقفة والحَجَبة [٢] ، وهو الاسم الدارج بين الأطباء وفي كتب التشريح إذ الوَرِك ينبغي أن يخصص للفظـة (Ischion) وقد أطلقت عليها اللجنة الوَرِك أيضاً مما يوجب الالتباس بينهما .

٣٤٧٣ وُراك هَرَعي — 3473 Coxalgie hystérique, maladie de Brodie

داء برودي

وأرجح ألم حرقفي هيستريائي أو ألم حجبي هيستريائي [٣] .

(للبحث صلة) الدكتور حسني سبح



(١) في القاموس المحيط : الأَرْعَن الأهوج في منطقه والأحمق المسترخي وقد رَعُن مثلثة رُعونة ورَعَناً محركة وما أَرْعَنه ورَعَنَتْه الشمس آلمت دماغَه فاسترخى لذلك وغُشيَ عليه والرَعْن أنف يتقدم الجبلَ ج رُعُون ورِعان والجبل الطويل .

(٢) لا أدري لماذا غفلت اللجنة عن الحَرْقفة في ترجمة كلمة (Hanche) واستبدلتها بوَرِك فقد جاء في اللسان الحَرْقفتان رؤوس أعالي الوَرِكَين بمنزلة الحجبة ، والحرقفتان مجتمع رأس الفخذ ورأس الوَرِك حيث يلتقيـــان من ظاهر . الحَرْقفة عظم الحَجَبة وهي رأس الوَرِك . والحَجَبة بالتحريك رأس الوَرِك والحَجَبتان حرفا الوَرِك اللذان يُشرفان على الخاصرتين .

(٣) انظر الصفحة ٣٠٠ من الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

مختارات مما لم يُنشر

من شعر البحتري (١)

- ٦ -

قال البحتري (٢) يمدح أحمدَ بنَ محمدِ بنِ بَسْطَام (٣) :

---

(١) أخبرنا بعض العائدين من مصر أن الأستاذ حسن كامل الصيرفي قد دفع إلى مطبعة دار المعارف بالجزء الأول من تحقيقه لديوان البحتري الكامل ، ولهذا رأينا أن نختم مختاراتنا بتقديم هذه الحلقة الرابعة والأخيرة منها ، وكلنا أملٌ ألا يطول انتظارنا بعد اليوم ، وإلى الأستاذ الصيرفي أطيب تحياتنا وأصدق رجائنا بأن تتم هذه « المعجزة » على يده ، وفقه الله .

(٢) القصيدة من الطويل ، عدد أبياتها ٣٦ ، نقلناها من مخطوطة ديوان البحتري بالمكتبة الوطنية بباريس (رقم ٣٠٦٨ من القسم العربي) الورقة ٣٢٨ و — ٣٢٩ و والذي يؤكد صحة نسبتها إلى البحتري أن المعري في (عبث الوليد : مطبعة الترقي في دمشق ١٩٣٦ : ص ١٩٠ — ١٩١) يذكر الشطر الأول من مطلعها والأبيات : ٩ و ١٢ و ٣٤ منها .

(٣) أبو العباس أحمد بن محمد بن بسطام الكاتب أحد أعيان الفرس ، ومن أشهر رجال الدولة في النصف الثاني من القرن الثالث ، وكان ممدَّحاً « مشهوراً بعظم مروءته وكثرة معروفه » كما يقول عنه التنوخي على لسان الخليفة المعتضد (نشوار المحاضرة — مطبعة المفيد بدمشق ١٩٣٠ م : ٨/٦٥) ، وقد مدحه البحتري بعشر قصائد ، ثلاث منها لا تزال مخطوطة ، وهذه القصيدة إحداها ، ويبدو أن اتصال البحتري بأبي العباس بدأ في الشآم ، حيث كان الممدوح يتولى بعض الأمور (ديوان —

(٧)

هواها ـ على أنّ الصُّدودَ سبيلُها ـ مُقيمٌ بأكنافِ الحشا ما يَزُولُها
وإنْ جَهِدَ الواشونَ في صَرْمِ حَبْلِها وأبدعَ في فرط الملامِ عَذولُها
ومُولَعَةٍ بالهجرِ يُقلى وَدودُها ويُقصى مُدانيها ويُجفى وَصُولُها
أذال[1] مصوناتِ الدموعِ اشتجارُها ولولا الهوى ما كانَ شيءٌ يُذيلُها
وما الوجدُ إلاّ أدمعٌ مُستَهِلّةٌ إذا ما مَراها[2] الشوقُ فاضَ هَمُولُها
أسِيتُ فأعطيتُ الصّبابةَ حقّها غداةَ استقلّت للفراقِ حُمُولُها[3]
وهل هيَ إلاّ لوعةٌ مُستَسِرّةٌ يُذيبُ الحشا والقلبَ وجداً غَليلُها

ـ البحتري : الجوائب : ١/١٣٥) وفي العراق توثقت أواصر الصداقة بينهما ، وكان الممدوح يتقلد أعمالاً مالية وإدارية وكتابيـة (نشوار المحاضرة : ٨/ ٥١ ـ ٥٢ ؛ والبحتري في مدائحه له يتحدث عن حسن سياسته في جمع الخراج ، كما يصوره كاتباً مجيداً وقائداً فارساً شجاعاً (الديوان ـ الجوائب : ١/١٢٩ و ٢/١٣٩ ؛ ومخطوطة الديوان الباريسية : الورقة ٣٨١ ـ ٣٨٢) وحول إحدى مدائح البحتري فيه ثارت تلك المعركة الشعرية بين البحتري وعبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، ونجد صدى هذه المعركة في ديوان البحتري (الجوائب : ١/ ١٢٧ ـ ١٣٣) وبعض كتب الأدب (الموشح للمرزباني ـ السلفية ١٣٤٣ هـ : ص ٣٥١) .

(١) أذال الدمع : سفحه .

(٢) مرى الدمع : استدرّه وأرسله .

(٣) الحمول : المواديج أو الإبل التي عليها المواديج .

ولولا معالي أحمدَ بنِ محمد لأضحت ديارُ الحمدِ وَحشاً[1] طُلولُها

فتى[2] لم يَمِلْ بالنفسِ منه عن العُلى إلى غيرِها شيءٌ سواها يميلُها

يَرُدُّ بني الآمالِ بيضاً وُجوهُهمْ بنائلةٍ جَمٍّ العطايا جزيلُها

فليس يُبالي مُستَميحو نوالِهِ أصاب الليالي خِصبُها أم مُحُولُها

أنار[3] به بسطامُه[4] ومحمدٌ قِمامَ[5] عليَّ يُعيي الملوكَ حُلولُها

(١) المكان الوحش: القفر .

(٢) أورد المعري البيت في (عبث الوليد) هكذا:

متى لم يمل بالنفس فيه عن العلى إلى غيرها شيءٌ سواه يُميلُها

ثم علّق عليه بقوله: «كان في النسخة - يعني التي كانت تُقرأ عليه - «شيءٌ سواه» والمعنى صحيح إن كانت الرواية على ذلك، كأنه يريد أنّ هذا الرجل إذا لم يُسأل شيئاً، أو تُرَد منه معونةٌ، فهو يميل نفسه إلى البر والأفعال الحسنة وإن لم يُسأل ولم يُستعن، وهذه المذكورات كلها شيء هو غير الممدوح، والهاء في (سواه) راجعة عليه .»

(٣) في (عبث الوليد): «كان في النسخة (أناب به) وهي كلمة نافرةٌ في هذا الموضع، ولو أنها (أثاب) لكانت أشبه ... وفي بعض النسخ (أناف) وهو أشبه بمذهبه» .

(٤) جد الممدوح، واسم الممدوح أحمد بن محمد بن بسطام .

(٥) في (عبث الوليد): «في النسخة (القِمامُ) مرفوعة، وإنما يجوز ذلك إذا جُعلت بدلاً من (بسطام ومحمد)، والمعنى يصحّ على ذلك إلا أنه بعيد، والأحسن أن يكون (أبَنّ) في موضع (أناب) أي أقام ولزم؛ (قِمامُ عُلىً) يُنصب بوقوع الإبنان عليها؛ وقد أساء البحتري في قوله (قِمام) لأن المعروف (قِمم) إلا أن زيادة الألف ها هنا جائزة، تُشبّه بقِلال وقِباب .»

له هِمَمٌ لا تملأ الدهرَ صَدْرَهُ يَضيقُ بها عرض البلادِ وَطُولُها
إذا لاحظ الأحداثَ عن حدِّ سُخطِه تضاءل عند اللَّحْظِ خوفاً جَليلُها
لقد أُعْطِيَتْ منه الرعيةُ فوق ما ترقّتْ أمانيها إليه وسُولُها[1]
نفى الجورَ بالعدلِ المُبينِ فأصبحتْ معاهدُه لم يبق إلاّ مُحيلُها[2]
فأثرى به مِن بَعْدِ بؤسٍ عديمُها وعزَّ به مِنْ بَعْدِ خَوْف ذَليلها
وسارعَ طَوْعاً بالخراج أَبيُّها وعاد حليماً بعد جهلٍ جَهُولُها
وما زال ميمونَ السياسةِ ناصحاً له شِيَمٌ زُهْرٌ يَقِلُّ عديلُها
ينال بحُسْنِ الرِّفقِ ما لو يرومُه سِواهُ ببيضِ الهند خيفَ فُلولُها
له فِكَرٌ عند الأمور يُرِينَهُ عواقبَها في الصَّدْرِ حينَ يُجيلُها[3]
تتابعُ منه كلَّ يومٍ فضيلةٌ يفوتُ ارتدادَ الطَّرْفِ سَبْقاً عجولُها
إذا كرَّها بالبِرِّ منه أعادها على النهجِ محمودُ السجايا جميلُها
له نبعةٌ في العزِّ طالتْ فروعُها وطابَ ثَراها واطمأنّتْ أُصولُها

---

(١) سولها مخففة من (سؤلها) وهو ما تسأله وتطلبه .

(٢) دار محيلة : غاب عنها أهلها منذ حول ، وكذلك إذا أتت عليها أحوال .

(٣) في مدائح البحتري الأخرى لأبي العباس مثل هذا المعنى ، كقوله :

وذي هاجسٍ لا يحجبُ الغيبُ دونه تُريه بطونَ المشكلاتِ ظهورُها

(الديوان — الجوائب : ٢/١٣٨) .

ولو وُزِنَتْ أركانُ رَضْوى وَيذْبُلٍ وقُدْسٍ[1] بهِ في الحِلْم خفَّ ثقيلُها

له سَطَواتٌ كلَّ يومٍ وليلةٍ على مُهَجِ الأعداءِ لا تَستَقيلُها[2]

إذا جارتِ الآمال عن قَصْدِها اغتدى إليها نَداهُ الجَزْلُ وَهْوَ دَليلُها

ولمّا شَأى[3] في المجدِ سَبْقاً تقدَّمتْ له في مداهُ غرَّةٌ وحُجُولُها[4]

سليلُ المعالي والفخارِ وإنما يَتيهُ ويُزهى بالمعالي سَليلُها

فِداكَ أبا العباسِ مِنْ كلِّ حادثٍ من الدهرِ مَنْزُورَ العطايا مَطُولُها[5]

فكم لكَ في الأموالِ من يومِ وقعةٍ طويلٍ من الأموالِ فيه عَويلُها

ومِنْ صولةٍ في يومِ بُؤسٍ على العدى يُهالُ[6] فؤادُ الدهرِ حين يَصولُها

---

(١) رضوى ويذبل وقدس جبال مشهورة في الجزيرة العربية ، أولها بالحجاز على سبع مراحل من المدينة (معجم البلدان — بيروت : ٣/ ٥١) والثاني والثالث في نجد (معجم البلدان : ٥/ ٤٣٣ و ٤/ ٣١١) .

(٢) لا تقيلها ولا تنساها .

(٣) شأى القومَ : سبقهم .

(٤) الغرة بياض في جبهة الفرس والحجول بياض في قوائمه .

(٥) منزور العطاء : الرجل الذي أُلحّ عليه في طلب العطاء ، والمطول : الكثير المطل .

(٦) هاله الأمر : أفزعه وعظم عليه .

إليك سرت غرُّ القوافي كأنها كواكبُ ليلٍ غاب عنها أفولها
بدائع تأبى أن تدينَ [1] لشاعرٍ سوايَ إذا ما رامَ يوماً يقولها [2]
تزول الليالي والسنون ولا يرى على العبدِ طولَ الدهرِ شيءٌ يُزيلها
يهيّج إطرابَ [3] الملوكِ استماعُها فيُحمَدُ راويها ويحيا قؤولها

* * *

(١) في (عبث الوليد) : تبين .

(٢) يقول المعري في (عبث الوليد) : «أراد البحتري (أن يقولها) فحذف (أن) وهو جائز ، إلا أنه رديء ، ومن جنسه قول طرفة :

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى وان أشهد اللذات هل أنت مخلدي

وبعض الناس يفرّ من حذف (أن) فينشد :

ألا أيها اللاحِيّ أن أحضُرَ الوغى ... »

(٣) أطربه إطراباً : حمله على الطرب .

ملاحظات ونظرات

١ — هذه القصيدة واحدة من ثلاث لا تزال مخطوطة، قالها البحتري في مدح أبي العباس أحمد بن محمد بن بسطام، وفي ديوان البحتري المطبوع سبع قصائد أخرى في مديحه، فابن بسطام إذاً أحد كبار ممدوحي البحتري، وقد قدَّمنا ترجمته، ورجَّحنا أن يكون اتصال الشاعر به قد تمَّ في الشآم أولاً ثم ازدادت الصلة توثقاً في العراق، لقول البحتري لممدوحه من قصيدة :

فكنّا بالشآم – إخالُ – خيراً لِرَعْيِ الودِّ منا بالعراقِ

(الديوان – الجوائب : ١ / ١٣٥) .

٢ — ليس من السهل تحديد تاريخ لنظم القصيدة، فليس فيها ما يعيننا على تأريخها، غير أننا نميل إلى الظن بأن القصيدة ثمرة الصلة الأولى بين الشاعر وممدوحه في الشآم، ذلك أن البحتري لا يشير فيها إلى الأعمال الرسمية المهمة التي أصبح يقوم بها في العراق؛ واتصال الشاعر بممدوحه في العراق يعاصر ثورة الزنج، لأنه يتحدث عنها في إحدى مدائحه لابن بسطام آنذاك (الديوان – الجوائب : ١ / ١٢٧) وفي قصيدة أخرى يشير البحتري إلى أن عمره أوفى على الخمسين (الجوائب : ٢ / ١٣٨ – ١٣٩) وهذا كله يؤكد أن اتصال البحتري بممدوحه في العراق كان حوالي ٢٥٦ هـ، أي في المرحلة التي قضاها الشاعر في العراق بعد المتوكل، وعلى هذا تكون القصيدة قد نظمت قبل سنة ٢٤٧ هـ، وهي السنة التي قتل فيها المتوكل .

٣ — تقع القصيدة في ثلاثة أقسام متميزة : نسيب ومديح وفخر بالشعر؛ أما النسيب فيشغل الأبيات (١ – ٧) وهو غزل تشيع فيه حرارة قلب شاب، متقد اللوعة، فياض الدمع، على الرغم من أن صوره كلها تقليدية لا جديد فيها .

وأما المديح فيشغل الأبيات (٨ – ٣٢) وقد مجد الشاعر فيه كرم الممدوح (فهو يعطي الجزيل حتى يبيت مستميحوه هانئي البال وقد تحققت آمالهم) وشرف نسبه (فأبوه وجده رفعا له أعلى الذرى، وشجرة عزه طويلة الفروع ضيبة الثرى مطمئنة الأصول، وهو سليل المعالي والفخار) وشجاعته وحلمه وعقله (فله في أعدائه وقعات وسطوات، وهو يفوق الجبال رزانة وتعقلا) وإلى هنا يوفي البحتري أقانيم المديح التقليدية الثلاثة حقها (الكرم وشرف النسب والشجاعة) ويضيف إلى ذلك تمجيد همة ممدوحه وحسن تدبيره وسياسته للرعية، فقد حقق لها أمانيها، وأزال عنها الظلم بعدله، فأثرى بفضله المديح، وعز بقوته الذليل وأسرع الناس يدفعون الخراج، ويدعون الجهل والطيش، راضين مطمئنين.

وأما الفخر بالشعر فيشغل الأبيات الباقية (٣٣ – ٣٦) فقوافي البحتري غر كالكواكب، وقصائده بدائع لا تدين لغيره، وهي خالدة تتناقلها الألسن، تعجب وتطرب آذان الملوك، فيحمدون لذلك راويها ويحمدون قائلها.

٤ – أبرز مميزات القصيدة موسيقاها الذهبية الصافية، فهي من ذلك النمط الغنائي الرفيع الذي من أجله سموا شعر البحترى «سلاسل الذهب» وقد أغنى البحتري قصيدته بالتلوينات الصوتية من جمل مترادفة وجمل متوازنة، وألوان منسجمة من الطباق والجناس، ولا نحصر الأمثلة لذلك فالصنعة تفيض في القصيدة، ولكن الذي خفف من كثافتها عفوية الطبع اللألاّب وموسيقية فن البحتري المعجزة.

٥ – القصيدة إذاً من جيد شعر البحتري ورائعه، وهي لا تتأخر عن أجود المختار له؛ وهذا كله يزيد حسرتنا في أن تظل مثل هذه القصيدة البحترية الفريدة دفينة المخطوطات إلى اليوم.

- ٧ -

وقال البحتري [١] يمدح خمارويه [٢] بن طولون :

تفتا [٣] عجباً بالشيء تذكره   وإن تولى وانقضى عصره

---

(١) القصيدة من المنسرح ، عدد أبياتها ٣٧ ، نقلناها من مخطوطة ديوان البحتري بالمكتبة الوطنية بباريس : الورقة : ١٩٦ و — ١٩٧ و ، ونسبة القصيدة إلى البحتري مؤكدة ، فكثير من كتب الأدب يورد بعض أبياتها ، ففي كتاب التشبيهات لابن أبي عون (مطبعة كمبردج) ص ٧٩ نجد الأبيات ٣ — ٦ و ص ٣١٩ نجد البيتين ٣١ و ٣٢ ؛ وفي عبث الوليد للمعري ص ١١٦ نجد الشطر الأول من المطلع والبيت التاسع ؛ وفي طيف الخيال للشريف المرتضى (مخطوطة) نجد الأبيات ٣ — ٦ نقلاً عن (الموازنة للآمدي) ولا نجد الأبيات في الموازنة المطبوعة (وطبعات الموازنة إلى اليوم كلها ناقصة) ؛ وفي معجم البلدان لياقوت (بيروت : ١ / ١٩٢) نجد البيتين ١٦ و ٣٠ ؛ وفي المختار من دواوين المتنبي والبحتري وأبي تمام للجرجاني (الطرائف الأدبية بتحقيق الميمني ١٩٣٧ : ص ٢٤٩ نجد الأبيات ١٣ و ٣١ و ٣٢ ؛ وقد أورد الدكتور محمد صبري القصيدة إلا البيت ٣٤ منها في كتابه القيم عن البحتري في سلسلته (الشوامخ) نقلاً عن مخطوطة خاصة بمالكها للديوان ، وعلى الرغم من استفاضة شهرة هذه القصيدة فإن الديوان في طبعاته الثلاث لا يحويها !

(٢) قدمنا ترجمته في العدد الأول من المجلد ٣٤ من مجلة المجمع (كانون الأول سنة ١٩٥٩ ص ١٠٣) .

(٣) في عبث الوليد : « تفتأ من قولهم ما فتئ أي ما زال وهذا رديء جداً لأن (لا) إنما تحذف في القسم خاصة لأن مكانها قد عرف هنالك فاستغنى السامع —

ذكرت من واسطٍ (١) وبارحها ليل السواجير (٢) ساجياً سَحَرُهْ
وزائراً (٣) زار من أعقّتهِ (٤) يميل (٥) وزناً بانسه ذُعُرُهْ (٦)
كأنه جاء مُنْجزاً عِـــدَةً وبتُّ في الراقبين أنتظِرُهْ
لم أنسه مُوشِكاً على عَجَلٍ (٧) مُداجاً في الحديث (٨) يختصِرُهْ

— أن تُذكر له ... وليس في بيت أبي عبادة ما يدل على القسم ... وقد جاء في شعر بعض العلماء (فتئت) مهموزاً ، ولو رويت (تقنأ عجباً) لكانت أبين وأسوغ في قياس العربية» ومعنى تقنأ : تكسب وتملك .

(١) يذكر ياقوت أن للعرب سبعة أواسط في أقطار متفرقة ، ولكن البحتري يريد هنا واسط الحجاج بالعراق ، لأنه كان هناك قبل قدومه على خمارويه ، وسميت واسط الحجاج لأن الحجاج بناها ، ولأنها متوسطه بين البصرة والكوفة (معجم البلدان ٥ / ٣٤٧) .

(٢) السواجير : نهر من عمل منبج بالشام كما يقول ياقوت (معجم البلدان : ٣ / ٢٧١) وليس في منبج اليوم نهر ، ولعله أقنية المياه الرومانيـة القديمة آنذاك ، ومن عادة البحتري أن يطلق (السواجير) ويريد بلده منبج (أخبار البحتري : ١٣١) .

(٣) في (طيف الخيال) : وزائرٍ .

(٤) جمع عقيق وهو الوادي وكل مسيل ماء شقه السيل قديماً فوسّعه .

(٥) في (تشبيهات ابن أبي عون) : يخلط .

(٦) إنما يريد به أن ذعره أرجح وأزيد من أنسه (طيف الخيال) .

(٧) في مخطوطة صبري : وجل .

(٨) في (طيف الخيال) : لحديث .

كأنّما الكاشحونَ قد خَرِصوا[1] مكانَه أو أتاهمُ خَبَرُهْ
وقد دعا ناهياً فأسمعَني وَخْطٌ[2] على الرأسِ مُخْلِسٌ[3] شَعَرُهْ
شيبٌ أرتني الأسى أوائلُهُ فليت شِعري ماذا تُري أُخَرُهْ
صغَّرَ قَدْري في الغانياتِ وما صغَّر صبّاً تصغيرَه كِبَرُهْ[4]
ولي فؤادٌ دَنَتْ إفاقَتُهُ فانزاحَ إلاّ صُبابةً[5] سُكُرُهْ
بَيْنَ التكالُفِ[6] والنزوعِ فما تأخذه لوعةٌ ولا تَذَرُهْ
كلُّ امرئٍ مُرْصَدٌ لِعاقِبَةٍ سامي[7] إليها رجاءه حَذَرُهْ

(١) إنما يريد أنهم قد حزروا مكانه ، وسبق ظنهم اليه ، من الخَرْص الذي هو حَزْرُ ثمرة النخل ، لا من الخَرْص الذي هو الكذب . (طيف الخيال) . وفي المحيط : كم خرصُ أرضك ؟

(٢) وَخَطه الشيبُ : خالط سوادَ شعره .

(٣) أخلس الشعر : ابيض بعضه فهو مُخلِسٌ .

(٤) يقول المعري في (عبث الوليد) تعليقاً على البيت : « هذا شيءٌ يجترئ عليه البحتري لسعة بحره في القريض ، وكان لا يحفل بضرورة ولا حذف ، وغرضه في هذا البيت : وما صغَّر شيءٌ [صبّاً] مثلَ ما صغّره كِبَرُه ، والهاء في (تصغيره) راجعة على الصب ، وقد حذف اسم الفاعل الذي يرتفع بصغّر اعتماداً على علم المخاطب بذلك » عبث الوليد : ١١٦

(٥) الصبابة : البقية القليلة .

(٦) من كَلِف الأمرَ : تجشمه على مشقة وعُسرة ، والواحدة : تكلفة .

(٧) في (الأصل) : ساوى ، وأثبتنا رواية مخطوطة صبري .

لا تَسْخَطِ المَصْعَدَ المهولَ إذا كان إِلى ما ترضاهُ مُنْحَدَرُهْ
تَثُوبُ[١] حالُ الفتى وإِن لجَّ صر فُ الدهرِ يَجني عليه أو يَتِرُهْ[٢]
ثوبَ[٣] ذي الأُثْرِ[٤] إِنْ يُعِدْ صَنَعٌ[٥] له صِقالاً يوماً يَعُدْ أُثُرُهْ
هل يُلْقِيَنِّي إِلى رِبَاعِ[٦] أبي الـجيشِ[٧] خِطَارُ[٨] التغويرِ[٩] أو خَطَرُهْ[١٠]
مُخَيِّمٌ في دمشقَ من دونه الـخَرْقُ[١١] بعيدٌ من وِرْدِهِ صَدَرُهْ
أعارَها مِنْ ضِيائه وغدا فخراً لها مَجْدُهُ ومُفْتَخَرُهْ

---

(١) في مخطوطة صبري : تبين .

(٢) وتره يَتِرُه : أفزعه وأصابه بظلم أو مكروه .

(٣) في مخطوطة صبري مكان (ثوب ذي الأثر) نجد (إبانة السيف) .

(٤) ذو الأُثْر : السيف ، والأُثْر : جوهر السيف .

(٥) الصَّنَع : الحاذق الماهر في الصنعة .

(٦) في الأصل : الأمير ، وفضّلنا رواية مخطوطة صبري ومعجم البلدان .

(٧) هو خمارويه ، و (جيش) أكبر أولاده وخليفته من بعده (انظر مجلة المجمع : العدد الأول من المجلد ٣٤ ص : ١٠٨ (ك ٢ : ١٩٥٩) .

(٨) خطار : أن تخطِر الناقةُ بذنبها في السير نشاطاً ، ومنها الناقة الخطّارة التي تضرب بذنبها يميناً وشمالاً .

(٩) التغوير : السير في الغور ، وهو ما انحدر واطمأن من الأرض .

(١٠) عند ياقوت : غَرَرُهْ : وهو كالخطر : التعريض للهلاك .

(١١) الخرق : الأرض البعيدة الواسعة تتخرّق فيها الرياح ، والفلاة الواسعة .

كاد دُجى الليل مِنْ طلاقتِه يُقمرُ والأفقُ ساقطٌ قمرُهْ
وبين أُسوانَ [1] والفراتِ [2] رَعيةٌ ما يُغبُّها [3] نَظَرُهْ
يبلغُ أقطارَهــا ، وتعلمُهُ مُجتمعاً في صلاحِها وَطَرُهْ
يَقصُرُ شأوُ الملوكِ عن مَلِكٍ نُجِلُّهُ دونَهم ونَجتَهِرُهْ [4]
أغرُّ منهم والشهرُ آنسَهُ لِطالبٍ ذي لُبانةٍ غُرَرُهْ [5]
والصُّنْعُ [6] إذ يرتجيه آمِلُهُ مُرجىً إلى أن يسوقَهُ قَدَرُهْ
كالسهمِ لا يَكتفي بوَحدَتِه الـــقانِصُ حتى يُعينَهُ وَتَرُهْ
وقد كفى غَوْلَ [7] دَهْرِهِ جَبَلٌ يَعظُمُ عن أهلِ دَهرِهِ خَطَرُهْ

---

(١) مدينة كبيرة في آخر صعيد مصر على النيل في شرقيه (معجم البلدان : ١/ ١٩١) .

(٢) في (معجم البلدان) : العراق .

(٣) غبَّ القومَ وأغبَّهم : جاءهم يوماً وتركهم يوماً ، والمعنى أن نظره لا ينقطع ، وعنايته بهم دائمة .

(٤) ننظر إليه جهاراً نستعظمه ، ويبدو أن في مثل هذا القول تعريضاً بالعباسيين . ويقول البحتري لخارويه أيضاً في قصيدة أخرى لا تزال مخطوطة :

أراك تزيد في عيني وقلبي إذا نقصت موازين الرجالـ

(مخطوطة باريس : الورقة ٣١٤ ظ) .

(٥) الغُرَر : ثلاث ليالٍ من أول الشهر .

(٦) الإحسان والرزق .

(٧) مشقة .

يُخشى شَذَاهُ (١) وغيرُ مُغتبطٍ نفعٌ مُرَجّىً لا يُختشى ضَرَرُهْ
إنْ سار عادالنهارُ من رَهَج (٢) الزُّ(م) حوف (٣) ليلاً يسودُّ مُعتكِرُهْ (٤)
فالجوُّ كابي الأرواق (٥) أكلَفُها (٦) والماءُ طَرْقٌ (٧) نَميرُهُ كَدِرُهْ
عِبءٌ على الواصفين تُؤثَرُ أخـــبارُ نداهُ وتُقتَفى سِيَرُهْ
إذا علا في بهاءِ منظرِهِ أربىْ عليه في الحُسْنِ مُختَبَرُهْ
كالغيثِ ما عَينُهُ ببالِغَةٍ بعضَ الذي راحَ بالغاً أثَرُهْ
لنا عتادٌ ممّا يراه لنا نُنفِقُهُ تارةً ونَدَّخِرُهْ
يثلم في وَفرِ (٨) لابسٍ مِقَةً (٩) يكاد حُباً بحظّه يَفِرُهْ (١٠)

---

(١) الشذا : الأذى والضر .
(٢) الرَّهْجُ والرَّهَجُ : ما أثير من الغبار .
(٣) في مخطوطة صبري : الزحف ، ولا يستقيم بذلك وزن البيت ، ولم ينتبه الدكتور صبري إلى ذلك .
(٤) اعتكر الليل : اشتدّ سواده .
(٥) جمع رَوْق وهو الرواق ، ورواق الليل ظلمته .
(٦) الأكلف مَن به كُلفة أي حمرة كدرة أو سواد أشرب حُمرة كالنمشة .
(٧) الماء المجتمع الذي خوّضت الإبل فيه وبوّلت .
(٨) الوَفر : المال الوافر .
(٩) كذا في الأصل ، ولم يرد البيت فيما نقله الدكتور صبري من القصيدة .
(١٠) وفر المالَ يفره : صانه .

أزهر والروضُ[١] لا يروقُكَ أو يحكي مصابيحَ ليله زَهَرُهْ
يُخيلُ[٢] حتى ترى النجاحَ على ظاهر بشرٍ مُبينةٍ بُشُرُهْ[٣]
والغيمُ محبوكةً طرائقه أحجى من الصحو يُرتجى مَطَرُهْ

* * *

ملاحظات ونظرات

١ — كنا ذكرنا في ملاحظاتنا على القصيدة الأولى في هذه السلسلة من المختارات (العدد الأول من المجلد الرابع والثلاثين من مجلة المجمع) أن للبحتري أربع قصائد في خمارويه بن أحمد بن طولون لا يحويها الديوان في طبعاته الثلاث، وقدّمنا هنالك أولى هذه القصائد، وهذه ثانية أردنا أن نقدمها إلى القراء، ليروا فيها لوناً جديداً من صياغة البحتريّ، تغلب فيه الصنعة الحاذقة حظّ الطبع، وتظل مع ذلك في الطبقة الرفيعة من فن البحتري.

٢ — وكنا ذكرنا أن اتصال الشاعر بالأمير الطولوني بدأ منذ سنة ٢٧٩ هـ فتاريخ نظم القصيدة إذاً يقع في المرحلة الأخيرة من حياة البحتري.

٣ — تُلاحظ في القصيدة أقسام ثلاثة: نسيب وحكمة ومديح.

أما النسيب فهو يبدؤه بتصوير حنينه إلى بلده منبج ولطيف ليله وسحره وهو غريب عنه في واسط العراق، ثم ينتقل إلى الغزل بالطيف الزائر ليلاً، وللبحتري شهرة بوصف طيف الخيال، ولهذا وقف الشريف المرتضى في كتابه «طيف الخيال»

---

(١) في مخطوطة صبري: والليل.

(٢) يبشّر بالخير، وتقول: أخيلت السماء: تهيأت للمطر.

(٣) جمع بشور وهي البشارة.

عند هذه الأبيات وقفة خاصة ، وإن يكن قد قال في آخرها «وهذه الأبيات ليست خالصة لوصف الطيف ، بل يجوز أن يكون المراد بها زائراً زار في اليقظة ، فالكلام محتمل في الطيف وغيره» ويحق لبحتري بعد ذلك أن يذكر شيبه ، وهو يقول القصيدة وقد أربى على السبعين من عمره ، وذكره لشيبه الذي صغَّر من قدره عند الغواني يدفعه إلى إعلان شكواه من قلبه السادر في ضلاله وغوايته على الرغم من مشيبه .

وأما الحكمة فيسكب فيها الشاعر الشيخ شيئاً من عصارة تجاربه في الحياة ، فلكل إنسان عنده مهيأ لما قُدِّر عليه ، وهو لذلك بين راجٍ وحذر ، وعلى الإنسان ألا يغضب للطريق المصمدة المخيفة إذا كان منحدرها يؤدي به إلى ما يرضاه ؛ وحال الإنسان ـ كلما ألحت عليه مصائب الدهر ـ كالسيف يعود إليه أثره إذا جلاه الحاذق الصناع .

وأما المديح فقد أغناه الشاعر لتمجيد ممدوحه في طلاقته وحسن سياسته للرعية وفي شجاعته وكرمه ، فخمارويه مقيم في دمشق ، وقد أعارها من ضيائه ، وأقمر الليل فيها من طلاقته ، ورعيته من أسوان في أقصى مصر إلى مشارف العراق على الفرات زاهية بحسن تدبيره وجميل سعيه في صلاحها ، وخمارويه يفضل الملوك ، فهو غرة بينهم ، وهو شجاع يقود العسكر اللجب ، ويزحف به فيعتكر النهار ، ويصير ليلاً من كثرة الغبار ؛ وخمارويه كريم تؤثر أخبار نداه ، وتتناقل سير جوده ، ويعطي من ماله الوافر ، وطلاقة وجهه الدائمة تبشر العفاة بالخير المقبل كما يبشر الغيم بالمطر المرجو .

٤ ـ يجب أن نلاحظ أيضاً أن الشاعر يسكت في هذه القصيدة مرة أخرى عن تمجيد رفعة نسب ممدوحه ، وكنا ذكرنا أن إثارة ذلك يصل بالشاعر إلى والد خمارويه ، أحمد بن طولون ، وموقف البحتري من أحمد هذا لا يعينه على أن يذكره بخير ، كما قدمنا .

٥ — لاحظنا في بعض الأبيات تعريض البحتري بالعباسيين ، فهو يفضل خمارويه على غيره من الملوك ، ويخصه منهم بالتجلة والتعظيم (البيت ٢٣ وتعليقاتنا عليه) وقد ذكرنا في مقدمتنا لكتاب (أخبار البحتري) أن من أسباب ضياع شعر البحتري في بني طولون ورجالهم ما فيه من تعريض بالعباسيين ، فقد كان « الطولونيون دعاة استقلال وانفصال عن الخلافة المركزية ، وكل دعم لخمارويه هو في حقيقته دعم لهذه الميول الانفصالية التي ينكرها العباسيون ، ويخوضون الحروب من أجلها » ولم يكن باستطاعة الصولي وغيره ممن جمعوا شعر البحتري من العراقيين أن يذيعوا شعراً في تمجيد دولة الطولونيين ، وبخاصة إذا كان فيه مثل ما ذكرناه من التعريض الظاهر بغيرهم . (انظر أخبار البحتري : ٨ — ٩) .

٦ — تمتاز القصيدة بكثافة صنعتها ، حتى ليقف القارئ أمام بعض أبياتها حائراً ، لا يكاد يتبين معانيها أول وهلة ، والعجيب أن يحمل الشاعر نفسه في شيخوخته على مثل هذا الجهد الفني المصنوع ، وأن يصبر عليه ؛ ونلخص الحكم على القصيدة بما قاله قبلنا الشريف المرتضى فيها : « هذه الأبيات الرائية معانيها أجود من ألفاظها ، وتظهر فيها بعض كلفة الصنعة ، وهي مع ذلك في غاية الحسن » .

جامعة دمشق — كلية الآداب الدكتور صالح الأشتر

كتاب النفس

لابن باجة الأندلسي

- ٩ -

الفصل الحادي عشر

القول في القوة الناطقة

وقد يجب أن نفحص عن القوة الناطقة ، وأي قوة هي ؟ وما هي ؟ وهل هي نفس ؟ أو قوة لنفس ؟ فإن كانت قوة لنفس على ما يظن فعلى أي جهة تنسب انها للنفس . ويجب أن نفحص عن هذه القوة هل هي دايما فعل[١] أو هي تارة قوة وتارة فعل . فإن كان ذلك فلها هيولى ، وإن كان لها هيولى فلها محرك إذ كل متحرك فله محرك . فما هذا المحرك[٢] ؟ وأي وجود وجوده ؟ ويطابق بذلك كله المتعارف من أمرها وما يشاهد بالحس من أحوال الجسم الطبيعي التي هي له . فإن ذلك مما يفيد الناظر أشياء مما[٣] تقال فيسدده ذلك ذلك الوقوف بنفسه على النفس في ذلك كله .

وأما أنها ليست دائمة بالفعل ، وذلك بين فإنه لو كان كذلك لكان التعلم تذكرا[٤] ، ولكان التعلم غير مفتقر إلى الحس[٥] . ولكان إذا فقدنا حاسة

---

(١) قارن ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الأهوانى ص ١٨-٨١ .
(٢) أيضاً ص ١٦-٦٦ .
(٣) المخطوطة : بما .
(٤) ايضاً ص ٢-٨٠ .
(٥) قارن ارسطو : De An. iii. 8. 432 a 6 ، « فلا يمكن لأحد ان يتعلم عند عدم الحاسة » .

من الحواس لم ينقصنا عن من العلوم والأمر بخلاف ذلك[1] . وإذن فلكان سينفع لها العلم بوجود أشياء تستند الى المحسوس من غير أن يحسها حتى يكون من لم يحس الثقل يقع له اليقين بأنه بجميع الصفات التي من شأن من أحسه أن يقع له اليقين بها ، وهذا فبيّن والتطويل فيه فضل ، وقد تلخص ذلك في مواضع كثيرة .

وأما أنها دائماً بالقوة فذلك أيضاً محال لأنه[2] يحدث للانسان علوم إما بالحس كما يوجد ذلك لأهل الصنائع العملية وإما بالتعلم .

< فبيّن > (ورقة ١٦٤ ب) أنها تارة بالقوة وتارة بالفعل والخروج من القوة إلى الفعل تغير ، فهناك مغير لأن كل متحرك فله محرك ، وقد لخصنا هذا فيما تقدم .

والقوة الناطقة هي التي بها يدرك الإنسان آخر مثله على ما يحس في نفسه[3] . وهي[4] بالجملة إخبار أو سؤال أو أمر ، والسؤال فهو اقتضاء اخبار ، والاخبار تعليم ، والسؤال تعلّم . وهذه القوة هي التي بها يعلم الإنسان أو يتعلم . وهذه الأقسام الثلاثة إنما تكون إذا كان الإنسان على المجرى الطبيعي . فالنطق بألفاظ يخطر بالوضع تلك المعاني التي تحس في نفس الناطق بها . والنطق في لسان العرب يدل عندهم أولاً على التصويت بألفاظ دالة على معان . ثم يستعمل على التصويت بالألفاظ وهذه غير دالة ولذلك قال الشاعر :

(١) قارن ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الأهواني ص ٧٩-٩٠ .
(٢) المخطوطة : لا يحدث .
(٣) قارن ابن باجة : ورقة ١٣٥ الف : القوة المتخيلة الموجودة في الانسان بالفعل هي القوة التي يجدها الإنسان في نفسه يرسم فيها رسوم المحسوسات ويتصور بها ويحضر للانسان فيها رسوم من المحسوسات متخيلة بعد غيبتها عن الحواس فيرى الإنسان فيها صفة زيد وعمرو وصفة داره وذاته وغير ذلك من المحسوسات المشار اليها .
(٤) المخطوطة : وهو .

« لم يمنع[1] الشرب منها غير أن نطقت حمامة في غصون ذات أوقال[2] »[3]

وقد يستعملون النطق على غير ذلك وقد أحصى ذلك أهل اللغة في لسانهم .

ولما كان ذلك انها[4] تكون لهذه القوة آلة تقدمنا ورسمنا لها ، كان فعلها أولى بالنطق ، فنقل إليها المتفلسفون هذا الاسم ، ورسمنا القوة التي فيها القول .

ونريد أن نفحص ما هي وعما هي ؟ فإن فحص المتقدمين إنما كان عن هذه وهل هي مائية[5] أو غير مائية وليس بعسير على من أراد إحصاء الآراء التي رآها من تقدم . فان جلها مشهورة ولذلك نسقط فيما نحن بسبيله إحصاءها والتفحص[6] عنها ونقتصر على ما يوجبه ما يعلم الانسان من أمرها بالطبع . فإن الآراء التي قيلت فيها ليست من هذا النحو بل إنما هي ظنون [أكثر منها عند من قال بها إنما بعض هذه ، واما آراء مشهورة] ، فالفحص عن تلك الآراء إما أن يوقف من أمرها على حال ما أو يقف بالإنسان على موضع غلط القايل بها . وذلك نحو من أنحاء الرياضة الجدلية .

---

(١) المخطوطة : لم يطرب .

(٢) المخطوطة : أوراق .

(٣) هذا البيت من قصيدة لأبي قيس بن الأسلت وقبله :

ثم ارعويت وقد طال الوقوف بنا فيها فصرت الى وجناء شملال
تعطيك مشياً وارقالاً ودادة اذا تسربلت الآكام بالآل
تردى الإكام اذا صرّت جنادبها منها بصلب وقاح البطن اعمال

راجع الكتاب لسيبويه (هارتويج ديرنبورج ، بيرس) ج ١ ، ص ٣٢٢ ، لسان العرب لابن منظور (« النطق » حرف القاف ، ص ٣٣١) ، الخزانة للبغدادي ج ٢ ص ٤٥ ، ج ٣ ص ١٤٤ .

(٤) المخطوطة : انما .

(٥) قارن ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الأهواني ، ص ٦٦ : « وانها انما تعطل افعالها في الصبا لأنها مغمورة بالرطوبة » ، وابن باجة : رسالة الاتصال (المصدر نفسه) ، الاهواني ص ١٠٧ : « وهل هي موجودة في الطفل وغيرتها الرطوبة أو تحدث بآخرة » .

(٦) المخطوطة : الفحص .

فنقول : إن من الأمور الظاهرة بأنفسها ان الإخبار والاستحالة إنما يكونان بقول جازم[١] وقد تلخص في بارمينياس ما الأمر الجازم ، وانه مركب من محمول وموضوع . فبالضرورة يوجد في الإنسان فعلان : أحدهما وجود المعاني المفردة[٢] والثاني تأليف هذين المعنيين . فالقوة التي يكون بها هذا التأليف هي القوة المفكرة وفعلها أنواع تأليف المعاني المفردة[٣] ، وقد أحصيت في كتب المنطق والثاني القوة التي بها تحصل المعاني المفردة وهذه[٤] كالهيولى (ورقة ١٦٥ الف) لتلك[٥] فانه متى لم توجد المعاني المفردة لم يمكن أن يكون تركيب ، فهذه متقدمة لتلك بالطبع .

والمعاني المدلول عليها بالألفاظ على ما عدد في مواضع كثيرة ضربان[٦] : كليات وأشخاص . فالقوة التي بها تدرك الأشخاص هي القوة المتخيلة على ما تبين

(١) قارن ابن باجة ، ورقة ١٩٩ الف ص ١٠ : والقول التام اجناسه عند كثير من القدماء خمسة : جازم وتضرع ، وطلبة ونداء . لأنه قد يمكن ان يوجد بطريق آخر فيكون أكثر ، والتمني وما يجري مجراه جار مجرى الجازم لأنه لم يتغير فيه الجازم بل بقي على حاله زيادة .

(٢) المخطوطة : المفكرة .

(٣) قارن ابن باجة : ورقة ١٣٥ الف : وكذلك وجود القوة الناطقة يجدها الانسان في نفسه ويعلمها علماً يقيناً لا يشك فيه بشيء من النبيت وذلك انا نجد في أنفسنا ما يتميز به وينفصل عن سائر الحيوان المتغذي الحساس : فان الانسان يجد في نفسه معلومات يحتوي على ميز الجميل والقبيح والنافع والضار . . . ويميزها . ويجد في نفسه اموراً يرى صدقها لا يشك فيـه وأموراً على ما هي ظن ، وأموراً هي كذب لا يجوز في الوجود ، كل هذه المعلومات يجدها الإنسان في نفسه . وهذه المعاني المعلومة في النفس تسمى نطقاً ، وما يوجد في الإنسان يسمى ناطقاً .

(٤) وفي المخطوطة زيادة : لم يمكن أن يكون تركيب .

(٥) المخطوطة : لذلك .

(٦) قارن ابن رشد : تلخيص ، الأهواني ص ٦٧-١٠ ، حيدراباد ص ٦٢-١٣

قبل هذا . وأما الكليات فهي[١] لقوة أخرى[٢] وبين أنها ليست للحس . وان الحس لا يدرك < إلا > الأشخاص . والكليات معان أخر . لأن الكلي معنى واحد من ساير < ما يقال > ان يوجد للكثيرين وليس لشخصين كذلك . ولأن كل قضية ، لها أن تكون مؤلفة من شخصين ، فهي قليلة الاستعمال . وسنقول فيما بعد . وأما التي من شخص وكلي فهي[٣] توجد كثيراً في الكهن[٤] وفي الخطابة والشعر . وأما التي من كليتين فهي تعم جميع الصنائع وهي التي تسمى علوما على الاطلاق وعلى التقديم ، فإذن ماله مثل هذا المبدأ يكون ناطقاً ، < له > بالقوة ، وعلى هذه يقال للانسان .

وهذه الكليات هي معان معقولة . وانما تصير كليات[٥] باضافتها الى الأشخاص الموضوعة لها وكذلك معنى الشمس والقمر . وبالجملة فماله شخص واحد هي معان معقولة وليست بكليات الا على طريق التشبيه ويقال لهذا كليات بالتأخير .

وهذه المعقولات إما أن تكون أزلية أو حادثة .

إلى هنا انتهى الموجود من قوله رحمه الله < تعالى > .

***

(١) المخطوطة : فهو .
(٢) ابن رشد ، ص ١٠٦٨ ، حيدراباد ص ١٥٠٦٣ .
(٣) المخطوطة : فهو .
(٤) أيضاً : في لكن .
(٥) ابن رشد ، ص ١٩٠٨٠ ، حيدراباد ص ٦٠٧٧ .

المصــــادر

ابو ريدة ، مصطفى عبد الهادي : رسائل الكندي

اهلورت (Ahlwardt. W.) Verzeichniss Der Arabischen Handschriften: Der Konglichen Bibliothek Zu Berlin. vierter Band VII und VIII Buch, Berlin. 1892.

الأهواني ، أحمد محمود : تلخيص كتاب النفس لأبي الوليد ابن رشد ، وأربع رسائل ، ١٩٥٠ :

(١) رسالة الاتصال لابن الصائغ ، (٢) كتاب النفس لاسحق بن حنين

(٣) رسالة الاتصال لابن رشد ، (٤) رسالة العقل ليعقوب الكندي

الأندلس ، Granad - Madrid : انظر « أسين بلاسيوز »

ارسطاطاليس : ترجمة كتبه بالانكليزية ، نشر و ، د ، راس (W. D. Ross)

رسالة ارسطاطاليس في النفس : نشر الدكتور صغير حسن المعصومي ، في مجموعة ارمغان علمى ، لاهور

رسالة درنفس منسوب بارسطاطاليس : مخطوطة بودليانا ، رقم Ousl. 92

آسين بلاسيوز (M. Asin Palacios)

(1) Tratado de Avempace Sobre la : union del intelecto con el hombre. Al Andalus vol. 7. 1942, 1 — 47.

رسالة اتصال العقل بالانسان لابن باجه .

(2) La « Carla de Adios » de Avempace, Al Andalus, vol. 8. 1943, 1 — 87.

رسالة الوداع لابن باجه .

كتاب النبات ، الأندلس ج ٥ ، ١٩٤٠
(3) Al-Andalus. vol. 5. 1940. 266 — 278
تدبير المتوحد لابن باجه ،
كتاب الحدائق لابن سيد البطليوسي الأندلسي ،
Al-Andalus. vol. 5. 1940. 63 — 98
انسايكلوبيدي اف اسلام (دائرة المعارف الاسلامية) :
The Encyclopaedia of Islam.
ed. Houtsma. Arnold et others Leyden. 1913. 4
voll. q Suppl.
ابن باجه : مخطوطة بودليانا ، رقم Pocock 206 ، وانظر « آسين بلاسيوز »
ابن خلدون : التاريخ ، ج ١ بولاق .
ابن خلكان : وفيات الأعيان .
ابن النديم : كتاب الفهرست ، نشر فلوجل (Flügel) ، ليبسك ، ١٨٧١ م .
ابن القفطي : تاريخ الحكماء ، نشر ج. ليبرت (J. Lippert) ، ليبسك ، ١٩٠٣م .
ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، نشر الاهواني .
رسائل ابن رشد ، حيدراباد ، ١٩٤٦ م .
تفسير ما بعد الطبيعة ، نشر بويج (Bouyges) ، ٣ أجزاء .
كتاب الكليـــات ،
Artes Graficas Bosca. Larache. Marruecos. 1939
ابن السيد البطليوسي : كتاب الحدائق ، انظر « آسين بلاسيوز » .
ابن سينا : كتاب الشفاء ، مخطوطة بودليانا ، رقم Pocock 125 .
تعليقات كتاب النفس ، نشر عبد الرحمن بدوي ، ارسطو عند العرب .
ابن طفيل : حي ابن يقظان ، نشر جوتيه (Gauthier) .
ترجمه بالانكليزية من قلم سائمن اوكلى (Simon Ockley) ،
نشر Edward A. Van Dyck ، قاهرة ، ١٩٠٥ م .

اوكلي (Ockley) : Philosophus Autodidactus أو حي بن يقظان ،
انظر « ابن طفيل » .

بدوي ، عبد الرحمن : ارسطو عند العرب .

برجستراسر (Bergstrasser) : Geleni in Hippocratis De Septimanis

بوئيج (Bouyges) : انظر « ابن رشد » و « الفارابي » .

براكلمن (Bockelmann. C.) . (جزءان) Geschichte der Arabischen

Literatur

Supplementland (ثلثة أجزاء)

بوكاك (Pocock. E.) : Philosophus Antodidactus. Elenchos Scriptorum

جالينوس (Galen) : انظـــر « برجستراسر » و « كراوس - والسر »

جوتيه (Gauthier, L.) : Roman philosophique d'Ibn Tufayl. taxt et traduction, Beyrouth. 1936.

جواشون (Goichon. A. M.) : Lexique de la langue philosophique d'Ibn Sina, Paris. 1938.

Vocabulaires compares d'Aristote et d'Ibn Sina.

Supplement au Lexique de la langue philosophique.

جووت (Gowett. B.) : محاورات أفلاطـــون ، خمسة أجزاء

Dialogues of Plato. English, 5 vols.

ج ر ا س (J R A S) : Gournal of the Royal Asiatic Society. London

ديتريصي (Dieterici. F.) : Al-Farabi's philosophiche Abhandlungen. Leiden 1890.

دنلوب (Dunlops. D. M.) : تدبير المتوحد لابن باجه : GRAS. 1945. 61—81

راس (Ross W.) : انظر « ارسطاطاليس » .

رائيث (Wright) : Arabic Grammar (Engl.) 2 vols

زيلر (Zeller. E.) : Aristotle and Early Peripaletics Englishs by Contelloc and Muirhead, 2 vols.

سارطن (Sarton. G.) : Introduction to the History of Science. 2 vols in 3 parts. Baltimore, 1927 — 31.

سبرينگر (Sprenger) انظر « علي التهانوي » .

علي التهانوي : كشاف اصطلاحات الفنون ، نشر سبرينگر ، كلكتة .

فضل الرحمن : Avicenna's Psychology ، اكسفورد .

فضل امام خيرابادي : الهدية السعيدية ، الهند .

الفارابي ، ابو نصر محمد بن طرخان : فصول المدني ، مخطوطة بودليانا ، رقم Hunt 307 .

فصوص الحكم ، نشر ديتريصي .

احصاء العلوم ، مدرد ، ١٩٣٢ م .

مسائل متفرقة ، حيدراباد .

المدينة الفاضلة ، نشر ديتريصي .

السياسة المدنية ، حيدراباد .

فلوجل (Flügel, G.) : انظر « ابن النديم » .

الكندي : انظر « ابوريده » .

كراوس (Kraus — Walzer) : Galenic Compendium Tinaei Platonis London, 1951.

لين (Lane, E) : Arabic - English Lexicon

مكنّا (Makkenna) : ترجمة نوامبس . Plotinus. Enneads, 4 vols.

المقري ، أحمد : نفح الطيب ، أربعة أجزاء .

مولر (Muller, A) : عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ، كونكسبرك وقاهرة .

والسر (Walzer) : انظر « كراوس » .

محمد صغير حسن المعصومي

البِنّيس

وألفاظ أخرى

في سنة ١٩٢٢ نشرت كتاب المنتخب من شعر ابن زاكور ، وهو منتخب عملته من ديوان هذا الشاعر الرقيق المسمى بالروض الأريض في بديع التوشيح ومنتقى القريض والذي لا يزال مخطوطاً . وقد قدّمت له بمقدمة عرفت فيها بابن زاكور وأدبه ، وبينت لماذا عملت هذا المنتخب من شعره ولم أنشر ديوانه كله . كما بينت طريقته في الاختيار والترتيب ، وعنونت القصائد وضبطت الأشعار كلها بالشكل وفسرت الألفاظ الغريبة التي توقفت فيها أو قدّرت أن القارئ قد يتوقف فيها وعملت له فهرساً على المواضيع وآخر على الحروف . وذلك غاية ما أمكنني عمله اذ ذاك في خدمة هذا الشاعر وتقديمه للناشئة المغربية والأدباء على العموم في بلادنا العربية .

واعترافاً بالحق أقول انني لما مررت بقول الشاعر في أحد موشحاته :

بنت كرم حييت كرمتها   لأبي بلقيس
وسقاها فبدت نضرتها   ارسطاطاليس
خلتها لما غشت سورتها   في حشا (البنيس)
زجل الرهبان يوم المهرجان   في حِمَى عبدون
أو فؤادي اذا علاه الخفقان   فهو كالمجنون

وقفت طويلاً عند هذا البنيس اذ لم أعرف مدلوله ، وراجعت ما يسدي من كتب اللغة فلم أجد له ذكراً ، بل راجعت كتباً أخرى حسبتها مظنة لذكره

كحلية الكميت وخاصة هذا الباب الذي عقده النواجي لوصف ما يشتمل عليه مجلس الأنس من أواني الشراب وكاسات وطاسات وبواطي وظروف وراووق وقناني وأباريق وغير ذلك ، كما استعرضت باب الخمريات في ديوان أبي نواس ، ومجموع الأغاني والألحان الذي يجمع الأشعار المستعملة في نوبات الموسيقى الأندلسية أي أدوارها الأربعة عشر ، نشر ادمون يافيل وهو يشتمل على قصائد وموشحات ومقطوعات غنائية كثيرة ، فلم أعثر في كل ذلك على لفظة البنيس المطلوبة مع العلم بأن ابن زاكور انما يحذو حذو شعراء الأندلس والوشاحين منهم بالخصوص في موشحه هذا وغيره .

وكان هذا البحث ارضاء لحب الاطلاع فقط وإلا فان معاني الشعر لم تكن خافية . وقد تركت اللفظة على ما هي عليه ونسيت البحث عنها فيما بعد . ثم وقفت في دقة بعض المخطوطات على ما يلي :

« من رحلة ابن رُشَيْد » : أنشدني ابن حيان ، أنشدني أبو عبد الله بن حنيني ، أنشدني أبو الحجاج يوسف بن حكم لنفسه ، وقد رغبت منه في شيء من المداد :

جاءتك تشكو بالظما ، إذ لم تجد ريّاً ، وقد سقّيتها تدريجا
وسألت (بنيس المداد) فقال لي من أين لي أن أملأ الصهريجا
ورأيت أن الود ليس بخالص إن كان ما ألقى به ممزوجا »

وأظن أن اسم ابن حيان هنا محرف عن أبي حيان ، وهو النحوي الأندلسي المشهور ، لقيه ابن رُشَيْد صاحب الرحلة المنقول منها هذا الإنشاد في ثغر الاسكندرية عند إيابه . وقد رجعت الى مخطوطة الاسكوريال الوحيدة من هذه الرحلة للتحقق من هذه الأبيات فلم أجدها فيما أنشَدَهُ أبو حيان ابنَ رُشَيْد من شعره أو شعر غيره في الجزء الخامس منها ، ولا في غيره من الأجزاء الخمسة الموجودة في مكتبة الاسكوريال ، فلعلها كانت في الجزء المفقود من هذه الرحلة .

والمقصود من هذا كله أن لفظة البنبس وردت في هذه الأبيات مضافة الى المداد ، فتفيد أنها وعاء يستعمل للخمر وغيرها .

وفيما كنت أتذاكر قبل بضع سنوات مع الصديق المرحوم قاضي طنجة سابقاً السيد محمد بن رحمون ، أنشدني عفواً هذا البيت للشيخ المشرفي :

وما البنبس إلا إناء خمر وبالتحقيق قد وجب انكساره

فتلقفت منه هذا البيت بلهفة ، إذ حدد فيه معنى البنيس وشرحه شرحاً لغوياً معجمياً كما لو كان يعرف ما في نفسي من أمر هذه اللفظة فشفى غلتي وأزال حيرتي . على أن البيت لم يقصد لشرح المعنى اللغوي لكلمة البنيس وانما هو هجاء لشخص من أولاد بنيس ، وهم أسرة مغربية معروفة اشتهرت بهذا الاسم وأصلها من مدينة فاس . فاغتنم قائله هذا الاشتراك اللفظي بين اسمه وبين البنيس بمعنى إناء الخمر فورّى به وحكم حكماً شرعياً بوجوب كسره فبلغ قصده من الهجاء وأفادنا رحمه الله[1] هذه الفائدة الجلّى .

وفي هذه الأيام بينما كنت أطالع كتاب المدارك للقاضي عياض ، نسخة خطية خاصة ، إذ وقفت في ترجمته للقاضي أحمد بن بَقِيّ بن مخلد على هذه الحكاية :

« وذكر أنه كان في مجلس نظره ، وقد غص بالفقهاء والعدول والخصم ، حتى دخل عليه المتوه المعروف بابن شمس الضحى ، وكان من ذوي البيوتات والثروة . فقال يا قاضي المسلمين أريد أن تأمر وكيل فلان[2] يزرع لي بقريتي

(١) الشيخ محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي صاحب البيت المذكور من علماء المغرب في الثلث الأول من هذا القرن ، اشتهر بكتابه الدر المكنون في ترجمة الشيخ محمد كنون وهو مطبوع على الحجر بفاس وبكتابه اظهار الشقوق في منع التوسل بالنبي والولي الصدوق ، طبع بمصر . وكان يتعاطى الأدب وولي القضاء بفاس الجديدة مدة .

(٢) كذا بالأصل ولعلها وكيلي فلاناً .

(بنانيس) فتنبت لي خوابي فأحصل على رجحي . فما بقي أحد في المجلس إلا ضحك سوى القاضي ، فانه وجم واستعبر وقال : يا بني : لقد ظلك من ألقى هذا على لسانك . ثم قال لأهل مجلسه : وا أسفا عن تخريشكم وضحككم منه . انا لله وانا اليه راجعون على قلة التحصيل وعزوب العقول . فان البكاء على هذا أولى وأليق ، فما بيننا وبين زوال العافية إلا الذهول عن شكرها . اللهم اسدل علينا سترها[1] واحفظ عقولنا لمعرفتك ، وارزقنا ذرية طيبة صالحة زكيـة تقر أعيننا بها . فاستحيي من حضر .

فاستفدت منها زيادة على مغزاها الخلقي الذي أشار له القاضي ابن مخلد ولأجله أورد الحكاية ، أن البنيس اناء من فخار ولذلك جعله المعتوه صاحب الحكاية بزرة للخابية . والخابية من الفخار معروفة ، كما استفدت أنهم كانوا يجمعونه على بنانيس ولم يبق حينئذ حول هذه اللفظة أدنى شيء من الإبهام . فهي تطلق على إناء صغير يصنع من الفخار كالجرة والحب والخابية ، ويغلب استعماله للخمر وان كان قد يستعمل لغيرها من المائعات كالمداد على ما رأيت . وكانت هذه اللفظة من الدارج على ألسنة أهل الأندلس ولا نعرف ما إذا كان أصلها اسبانيا ، على أننا بحثنا عنها فيما عندنا من المعاجم الاسبانية فلم نجدها . أما في المغرب فلم تجر الا على ألسنة أهل الأدب مما يدل على اقتباسها من الأشعار الأندلسية .

وبخلاف البنيس ، لفظ الشرجب وجمعه شراجب ، وقد يقولون شرجم بالميم كما يقولون في رجب رجم ، وهي لغة ، فهذا اللفظ مما يجري على الألسنة هنا في المغرب كثيراً كما كان جاريا على ألسنة أهل الأندلس وربما ورد في أشعارهم . وهو يعني ما يسمى الآن في هندسة المباني بالنافذة Le guichet, La fenêtre وفي نظري هو أدل منها على المعنى المراد فان النافذة أعمّ من الشرجب والطاقة

(١) لعل الصواب سترك .

والكوة وحتى الباب وغيرها مما يقع منه النفوذ ، ولولا أن الاستعمال خصصها حديثاً بما ذكر لما فهم المراد منها . وذكري للطاقة هنا إنما هو باعتبار الاستعمال المغربي لها في معنى النافذة ، وربما كان استعمالاً أندلسياً أيضاً وهم يجمعونها على طيقان وطاقات . ومعلوم أن مدلول الطاق وجمعه الطيقان في اللغة : هو ما عُقِد من الأبنية باباً أو نافذة أو غيرهما فلعلهم بعد ما استعملوه في النافذة خصوه بها ثم أنثوه بالتاء وإن اشتبه بالطاقة بمعنى القُدْرة لكن السياق يُعيِّنُه . ومع هذا يبقى لفظ الشرجب متمكناً في معناه الذي يدل على الإنافة والسعة ويستصحب أيضاً الدلالة على فخامة البناء وأناقته ، ولا كذلك دلالة الطاقة في العرف المغربي فأحرى الكوة ..

وجاء في نفح الطيب تعريف للشرجب يكتنفه بعض الإبهام فربما ظهر غير منسجم مع ما ذكرنا من أن معناه هو النافذة . وذلك في الجزء الثاني في ترجمة أبي جعفر بن سعيد ، أثناء حكاية وقعت له مع بعض المُجّان وهو في نزهة بنهر اشبيلية .. ونص المقصود منها : « ولما وصل صحبة والده الى اشبيلية افتتن بواديها ، واعتكف على الخلاعة فيها ، مصعداً ومنحدراً بين بساتينه ومنازهه . فمر ليلة بطريانة ، فمال نحو منزه فيه طَرَب سمعه فاستوقفه هنالك . وهو في الزورق متكئ ، وأصحابه وأصحاب أبيه مظهرون انحطاطهم عنه في المرتبة . فأخرج رأسَه أحدُ الأنذال المتادين بالنادر من (شرجب) والشرجب هو الدرابزين من خشب فيه طاقات .. وطريانة مقابلة اشبيلية وبها المنازه والأبنية الحسنة ... الخ » فتفسيره للشرجب بالدرابزين غير متوافق مع المعنى الذي ذكرناه له ، ولكن ببعض الايضاح يتطابق التفسير والمعنى المذكور ولا يبقى بينهما خلاف .

فابن سعيد الذي كان في نزهة على متن الوادي الكبير وبشاطئه الذي يلي حَيَّيْ طريانة خاصة ، لما سمع الطرب توقف تحت المنزه الذي كان يوجد فيه

المطربون ، « والمنزه في المتعارف مكان مرتفع كالعِلّية يُشرف على البحر أو على الخلاء ونحوهما من المناظر الطبيعية الجميلة » فأخرج أحد الأنذال رأسه من شرجب في المنزه وجعل يتعاطى مع ابن سعيد فحش القول كما يفيده آخر الحكاية ، فالمهم أنه أطل عليه من شرجب بل أخرج رأسه منه ولا يكون ذلك إلا من نافذة .. ولما كانت هذه النافذة ذات شبّاك يمتنع معه بروز الرأس حينما يطل الإنسان منه ، وقال ان فيه طاقات ، والطاقة هنا بالمعنى المستعمل عند المغاربة على حسب ما أشرنا اليه آنفاً أي النافذة . فيخرج من ذلك أن الشرجب نافذة ركّب عليها شبّاك قد يكون بحيث يصح اخراج الرأس منه والنظر الى الخارج بالأحرى . ففي عبارة النفح اقتصار ، وهو الحذف من غير دليل أو اختصار وهو الحذف مع الدليل المعلم من السياق .

والواقع اننا كذلك نستعمل لفظ الشرجب في النافذة ذات الشباك ، ويكون من حديد كما يكون من خشب . ولكن ذلك ليس بلازم إذ قد يكون الشرجب خالياً من الشباك بل هو الأكثر .

ومن لطيف الأدب الوارد في الشباك قول عبد المومن بن علي أول خليفة للموحدين وكان هو ووزيره أبو جعفر بن عطية مارين ببعض طرق مراكش فأطلت عليهما جارية بديعة الجمال من شباك فقال : قدت فؤادي[1] من الشباك إذ نظرت

فأجاز وزيره أبو جعفر : حوراء ترنو الى العشاق بالمقل

ثم قال عبد المومن : كأنما لحظها في قلب عاشقها

وأجاز أبو جعفر : سيف المؤيد عبد المومن بن علي

ومما ورد في الشرجب من جميل الشعر قول المعتمد بن عباد ، يخاطب الوزير ابن عمار :

(١) كذا ، ولعل (قلبي) بدل فؤادي ليستقيم الوزن . (لجنة المجلة)

ألا حيِّ أوطاني بِشِلْبَ ، أبابكر وسلهنّ هل عهد الوصال كما أدري
وسلّم على (قصر الشراجيب) من فتىً له أبداً شوقٌ إلى ذلك القصر

قال الفتح في القلائد عقب هذين البيتين : « وقصر الشراجيب هذا متناه في البهاء والاشراق ، مباهٍ لزوراء العراق ركضت فيه جياد باحاته ، وأومضت بروق أمانيه في ساحاته ، وجرى الدهر مطيعاً بين بكوره وروحاته ، أيام لم تُحَلّ عنه تمائمه ، ولا خلت من أزاهر الشباب كمائمه الخ » .

ولفظ آخر هو الزَّلّيج بكسر اللام مع تشديدها ويعني الفسيفساء والقاشاني ، هذين اللفظين اللذين يستعملان في الشرق العربي ولا نعرفهما في المغرب . والأول ليس بعربي والثاني لعله منسوب الى قاشان لصنعه فيها . أما لفظنا فله أصل في المادة اللغوية (زلج) ولعله أُخذ منها . وفي القاموس : « والزُّلُج بضمتين الصخور المُلْس » والمهم ان هذه الصنعة الدقيقة قديمة في المغرب والأندلس ، ولا تزال حية ونشيطة فيه ، ولا اسم لها عندنا الا الزليج ، ويقال لصاحبها الزلايجي وجمعه الزلايجية ، ويستعمل منها فعل زَلَّج الرباعي المضعف وتصاريفه ، فهل آن الأوان لتأخذ هذه الكلمة طريقها الى المعجم العربي وتحل فيه محل الفسيفساء والقاشاني[1] أو تقوم الى جانبها على الأقل اسماً لهذا النوع المغربي الممتاز من مدلول تينك الكلمتين ؟ . .

ومما ورد فيه كلمة الزليج نثراً هذه الفقرة من وصف الافراني لقصر (البديع) الذي بناه المنصور الذهبي في مدينة مراكش بين سنتي ٩٩٦ هـ — ١٠٠٢ ، وذلك في كتابه نزهة الحادي ، ص ٩٤ طبع فاس ونصها : « وفيه من الرخام المجزّع والمرمر الأبيض المفضّض والأسود ، وكل رخامة طُلي رأسها بالذهب

(١) الفسيفساء غير القاشاني ، وكلمة زليج تنطبق على القاشاني الشرقي وحده وهي خليقة بدخول معاجمنا العربية . (لجنة المجلة)

الذائب ، وموّه بالنضار الصافي ، وفُرشت أرضه بالرخام العجيب النحت الصافي البشَرة ، وجُعل في أضعاف ذلك (الزليج) المتنوع التلوين حتى كأنه خمائل الزهر ، أو برد موشى من عمل صنعاء أو تُستُر » ، وفقرة أخرى من نفس الصفحة في وصف الكتابة والنقوش التي كانت على جدران القصر وستوره وهي هذه : « وفيه من الأشعار المرقومة في الأستار والأبيات المنقوشة في الخشب والزليج : والجبس ما يسر الناظر ويروق المتأمل ويبهر العقول » ونقل الناصري في الاستقصاء نفس العبارات وأصلها للكاتب الفشتالي في تاريخه : مناهل الصفا .

أما في الشعر فقد جاء لفظ الزليج في عدة قصائد وأبيات ، ونختار منها المقطعة الآتية للأديب ادريس بن علي السناني التي قالها في وصف روض لأحد الأكابر بفاس وهي تنشر لأول مرة :

روضٌ يروق الناظرين بهيجُ ... سيان فيه الزهر والزّليجُ
فكلاهما في بهجة وتنـوعٍ ... يحيي النفوس بحسنه ويَهيـج
إن جئته تبغي انتشاق أريجه ... وافاك دون الباب منه أريجُ
قد عربدت أشجاره بمدامة ... شبه اللجين يديرها الصهريجُ
والطير تشدو في الغصون بنغمة ... في شدوها التفريح والتفريجُ
نلنا به عنـد الصباح مسرةً ... والغصن غصن والخليج خليجُ
أبقاه ربي زاهراً في نضرة ... ماعم الحرم الشريف حجيج

ونسجل هنا ورود كلمة (الصهريج) في هذه القطعة والأبيات الثلاثة السابقة التي ورد فيها ذكر البنيس ، ملاحظين كثرة استعمالها في المغرب ودورانها على ألسنة العموم وتسمية أحواض مائية شهيرة بها كصهريج المنارة بمراكش الذي بناه عبد المومن الموحدي وكان يمرن فيه الجنود على العوم والتجديف ، وكمدرسة الصهريج بفاس وغيرهما ، في حين اننا قلما نعثر على استعمالها في الآثار الأدبية الشرقية ، وفي الكتابات الوصفية التي يحررها أدباء الشرق ماعدا أثر واحد

هو كتاب صهاريج اللؤلؤ للسيد توفيق البكري فهو الوحيد الذي استعمل هذه الكلمة من الكتاب الشرقيين فيما علمنا .

وما دمت قد ذكرت هذين اللفظين أو المصطلحين المستعملين في البناء وما اليه وهما الشرجب والزليج فيحلو لي أن أشير هنا الى اني قرأت في كتاب المؤتمر الأول للمجامع اللغوية العلمية المنعقد في دمشق سنة ١٩٥٦ نشر الإدارة الثقافية التابعة للجامعة العربية بحثاً قيماً للدكتور مصطفى جواد في وسائل النهوض باللغة العربية وتيسير قواعدها وكتابتها ، ومما جاء فيه عند الكلام على مصطلحات البناء نقله عن أساس البلاغة كلمة الحضرة لمصطلح المسمى بالفرنسية matériaux أي مواد البناء من آجر وجير وغيرهما ملاحظاً أن المجامع العربية لم تضع له مقابلاً ، ونقله لمصطلح المذكور عن الزمخشري في محله ، وانما أريد أن أقول اننا هنا في المغرب نستعمل في هذا المعنى كلمة الأنقاض فتأتي في ألفاظ المُوثّقين وحسابات المُقاولين وهي كلمة لا غبار عليها لأنها تسمية للشيء بما يؤول اليه على طريقة المجاز المرسل[1] كقوله تعالى «اني أراني أعصر خمراً» في تسمية العصير .

وفي هذا البحث العظيم الفائدة استشهد صاحبه الدكتور جواد على استعمال استلم بمعنى تسلم بنص لابن بدرون في شرحه لقصيدة ابن عبدون الشهيرة قائلاً : «فهو مستعمل عند أدباء الأندلس منذ المائة السادسة من الهجرة في أقل اعتبار» وأضيف الى هذا الشاهد شاهداً آخر يدل على أن أدباء المشرق قد عرفوا هذا المعنى لفعل استلم واستعملوه في تاريخ قريب لتاريخ ابن بدرون وهو قول البوصيري في قصيدته المعروفة بالبُرْدة :

ما سامني الدهر ضيماً واستجرت به   الا ونلتُ جواراً منه لم يُضَم
ولا التمستُ غنى الدارين من يده   الا (استلمتُ) الندى من خير (مُستلَم)

---

(١) المسمى بمجاز الأول .

كذلك في الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين من مجلتنا هذه قرأت للدكتور حسني سبح في مقاله المعنون بنظرة في معجم المصطلحات الطبية ما علّق به على كلمة سلابة التي وضعها المعجم المذكور لكلمة Abats الافرنجية وفسرها بعُفاشة الأحشاء ، وانى بعد اعلان إعجابي بتحقيق الدكتور سبح وتدقيقه في مطابقة الألفاظ لمعانيها المرادة ، أذكر أن هذا المصطلح يستعمل له في المغرب لفظ السقط ويقال لبائعه السقاط وللمكان بيعه السقاطين ، وأظن أنهم في الأندلس كانوا يستعملونه أيضاً لهذا المعنى . وكل من زار غرناطة فلا بد انه مر على المكان المعروف بالسقاطين الى يومنا هذا وهو مكان ضيق يشتمل على دكاكين صغيرة متقابلة مما يكون عليه وضع دكاكين الجزّارة ، وان كان في الوقت الراهن يباع فيه بضائع تجارية متنوعة . وكلمة (سقط) في اللغة تطلق على الولد لغير تمام كما أنها بالفتح تطلق على رديء المتاع وكلا الدلالتين قريب مما نطلقها عليه من حشا الحيوان المأكول (الذي يشمل الكوارع والكبد والطحال والدماغ والقلب والرئة فضلاً عن الكرش والمصارين خلا الاهاب . والواقع أن نطقَ الكلمة عند العموم يختلف باختلاف الجهات ، ففي فاس مثلاً يقولون السقط بسكون القاف ، وفي طنجة يقولون السقط بفتحها مع تسكين السين في النطقين معاً على عادة العامة في الابتداء بالساكن خلافاً للقاعدة العربية . ومهما يكن الأمر فان الاستعمال القائم للكلمة لا يقع على رديء المتاع بل على حشا الحيوان ، فهل يصح لي أن أقترح الكلمة للمصطلح المذكور لا سيما والدكتور سبح ترك المكان فارغا فلم يأت بمقترح جديد بعد نقد مصطلح المعجم ؟

عبد الله كنون

التعريف والنقد

محاضرات عن القومية العربية

(تاريخها وقوامها ومراميها)

ألقاها الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي على طلاب معهد الدراسات العربية العالية
في القاهرة سنة ١٩٥٨ / ١٩٥٩ وهي تقع في ٣٦٤ ص من القطع الوسط

ألقى رئيس مجمعنا الأمير مصطفى الشهابي سلسلة من المحاضرات على طلاب معهد الدراسات العربية العالية ضمنها آراءه « في كنه عقيدتنا القومية ، وتاريخها الحديث ، والعوامل المكونة لها ، والأهداف التي ترمي اليها ، والفلسفة المثالية التي تحدد أغراضها ، وعلاقتها بالقوميات السائرة وبالبشرية جميعاً »[1] . فجاءت محاضراته هذه متممة لما كتبه الأساتذة ساطع الحصري وعزة دروزة وأمين سعيد ، وعلال الفاسي وغيرهم عن نشوء الفكرة القومية ، والحركة العربية الحديثة ، والثورة العربية الكبرى والحركات الاستقلالية العربية .

وأحسن ما تتميز به هذه المحاضرات دقة البحث الموضوعي ، ورصانة الأسلوب العلمي وجمال التعبير الأدبي ونظم عناصر الموضوع في سلك واحد يجمع بين التحقيق التاريخي والتحليل الفلسفي .

أما دقة البحث الموضوعي فتظهر في كلام المؤلف على الحركات القومية السرية والعلنية ، وفي حديثه عن العرب والعروبة في القديم والحديث ، وفي وصفه ليقظة

(١) من مقدمة الكتاب .

الأقطار العربية ونضالها في سبيل التحرر ، وفي كلامه على أثر اللغة والدين والاقتصاد والتربية والثقافة وغيرها في نشوء القومية العربية الحديثة وفي كشفه النقاب عن المراحل التي اجتزناها في الماضي والاتجاهات التي تتوزعنا في الحاضر .

وأما رصانة الأسلوب العلمي فتظهر في وصف المؤلف حوادث زمانه وصفاً موضوعياً دقيقاً ووقوفه منها موقف العالم المدقق الذي ينظر الى الأشياء نظرة خالية من الهوى ، لا بل نظرة علية تكشف عن كنه الأمور ومراميها القريبة والبعيدة .

وأما جمال التعبير الأدبي فيظهر في الأسلوب السهل الممتنع الذي اختاره المؤلف للإفصاح عن رأيه فلا يوقع ألفاظه إلا في مواقع الحقيقة ولا يكلمك إلا بكلام مرسل سمح يستهوي عقلك ويأخذ بمجامع قلبك لارتباطه بقوة المنطق ولتأديته المعنى الجميل في القالب الجميل .

لقد أتيح للمؤلف أن يرى بنفسه كثيراً من الحوادث وأن يتصل بحكم عمله بكثير من رجال السياسة في سورية ومصر والعراق وغيرها ، وأن يبقى مع ذلك مستقلاً عن التيارات السريعة التي كانت تجرف المندفعين فيها وتحرمهم دقة الملاحظة وهدوء التفكير وتماسك العاطفة فهيأ له ذلك أسباب الاطلاع على خفايا الأمور والحكم عليها حكماً صادقا ، فلم يفصل القول في ناحية واحدة بعينها كما فعل بعض الكتاب قبله بل اقتصر منها على القدر اللازم للغرض الذي يرمي اليه ، وهو ربط نتائج الأحداث بعضها ببعض لاستخراج المقومات الأساسية لعقيدتنا القومية .

وانه ليسرنا أن نلتقي وصديقنا الأمير الشهابي على صعيد واحد ، فنحن نرى معه أن للعقيدة القومية من حيث هي فكرة مثالية أساسين الأول هو

التصور والايمان بأن الشعوب العربية في جميع أقطارها أمة عربية واحدة وبأن أوطان تلك الشعوب أجزاء من وطن كبير واحد هو وطن الأمة العربية ، والثاني ارادة السعي لتحقيق الأهداف السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية لهذه الأمة .

وفي رأيه أن البواعث العملية لتحقيق هذه الفكرة المثالية تتلخص بالأمور التالية وهي :

(١) الاشتراك في اللغة العربية الفصحى .

(٢) الاشتراك في التاريخ .

(٣) الاشتراك في المصالح السياسية والاقتصادية في الحاضر والمستقبل .

فالقوميــة العربية لا تقوم في نظره على عامل العنصرية ولا على عامل الدين بل العربي من تكلم بالعربية وأراد أن يكون عربياً مها يكن دينه ، ومها تكن السلالة البشرية التي ينتمي اليها . والمؤلف يتكلم على الوسائل المؤدية الى تحقيق فكرة القومية كالاستقلال ومكافحة الاستعمار ، والوحدة العربية ، وإقامة الحكم على أساس ديمقراطي برلماني ، والاشتراكية التعاونية ، ورفع مستوى الشعب خلقياً وثقافياً واجتماعياً واقتصادياً ، واحترام القوميات التي تحترم القومية العربية ، ومشاركة العالم المتمدن في تقدم البشر روحياً وعقلياً ، وتجنب مصائب الحروب باتباع سياسة الحياد الايجابي والتعايش السلمي .

يتضح من ذلك كله أن الوسائل التي أشار اليها المؤلف هي الوسائل التي أخذت بها الجمهورية العربية المتحدة لتحقيق فكرة القومية فليس في استقصاء هذه الوسائل إذن شيء جديد ، ولكن الجديد الذي ضمه المؤلف الى استقصائه هو ربطه وسائل التحقيق بفكرة فلسفية عامة مبنية على دقة الملاحظة وصدق

المشاهدة وهو يلخص هذه الفكرة الفلسفية بقوله : ليست القومية العربية فلسفة قومية ضيقة ولا مذهباً اجتماعياً محدوداً قوامه الأثرة أو التعصب أو البغضاء ، بل هي فلسفة اجتماعية مثالية بنّاءة تقدمية تدعو كل عربي الى محبة أمته العربية ووطنه العربي ، والى الاعتزاز بماضي هذه الأمة والى العمل التقدمي لحاضرها ومستقبلها كما تدعو الى محبة الإنسانية والى خير البشرية والى حق كل شعب في تقرير مصيره (راجع مقالنا عن الاتجاه القومي في التربية العربية في مجلة المجمع العلمي العربي ، المجلد ٣٣ الجزء ٢ صفحة ٢٣٨) .

وخلاصة القول ان كتاب القومية العربية سفر جليل بعمق تحليله ودقة بحثه ورصانة أسلوبه وفائدته ووضوح أهدافه . أهداه المؤلف الى أخيه الأمير عارف الشهابي الذي وقف حياته القصيرة على نشر عقيدة القومية العربية وقضى شهيداً في سبيلها وعلّمه أن يحب العروبة وأن يبذل جهده في خدمتها .

وفي هذا الإهداء اعتراف كريم بفضل الشهداء النبلاء وتذكير بما بذلوه من جهد لبلوغ الأمة العربية حريتها واستقلالها ووحدتها .

جميل صليبا



المبادئ الشرعية والقانونية
في الحجر والنفقات والمواريث والوصية ،
في المذهب الحنفي والتشريع اللبناني
تأليف الدكتور المحامي : صبحي محمصاني
الطبعة الثانية بيروت ١٩٥٩ م

كنا وصفنا هذا الكتاب الجامع لمبادئ الشرعية في طبعته الأولى في المجلد الثلاثين من مجلة المجمع العلمي العربي وقلنا هو مجموعة من المحاضرات التي أعدّها العلامة الدكتور المحمصاني سابقاً لطلاب السنتين الثالثة والرابعة من معهد الحقوق الفرنسي في بيروت والتي لا تزال تلقى على تلامذة السنة الرابعة من كلية الحقوق وفق منهاجها الجديد . وقد قسم مباحث هذا الكتاب إلى الأقسام الأربعة التي جعلها عنواناً له . وكل قسم منها قد اشتمل على عدة أبواب من فروع هذه الأقسام . (فمن الأول) الحجر والولاية ، والصغر والجنون إلى آخر الأبواب السبعة وأسباب أخرى للحجر . (والثاني) أحكام عامة ، ومنها شروط الوصية وآثارها . (والثالث) نفقة الزوجة والفروع والأصول وذوي الأرحام ، وقواعد عامة في النفقات (والقسم الرابع) يشتمل على ثمانية أبواب كموانع الإرث ، وأصحاب الفروض والعصبات والعوْل والردّ ، وذوي الأرحام وأحكام عامة ومسائل متنوعة ، ووراء كل باب فصول وفروع منسقة ومستوفاة .

وهذه الطبعة الجديدة منقحة من كتاب المبادئ الشرعية ، وقد سميت (المبادئ الشرعية والقانونية) ، وتناول التنقيح بوجه خاص ـ كما قال الدكتور المؤلف ـ الامور الآتية :

(١) توضيح بعض المسائل التي أظهر الاختبار حاجتها للتفسير والشرح .

(٢) زيادة بعض المقارنات المستمدّة من القوانين اللبنانية وبعض القوانين العربية الجديدة .

(٣) زيادة بعض الاجتهادات القضائية اللبنانية الجديدة لتسهيل فهم المبادئ النظرية على ضوء القضايا العملية .

(٤) ادخال بعض التعديلات على القانون اللبناني ، وبوجه خاص بحث قانون الإرث والوصية اللبناني لغير المحمديين الصادر عام ١٩٥٩ م .

قال : وعلى أساس هذه التغييرات الجذرية أبدل بعنوان الكتاب السابق عنوان جديد هو (المبادئ الشرعية والقانونية) للتنويه بالأحكام القانونية الجديدة ، التي صدرت في لبنان في المسائل التي عُنيَ بها هذا الكتاب .

وانك لتجد فيما تخطه يراعة الأستاذ الحمصاني ، ما امتاز به الفقه الإسلامي على الفقه الغربي من دقة التعبير ، وجمال التصوير ، وموافقة قواعده وشواهده لكل أمة ، على اختلاف الزمن وارتقاء الأمم ، وتنوع المطالب .

وكنا نرجو أن نرى المقدمة مبدوءة باسم الله تعالى كما هي عادة الكتاب الشرقيين ، وأن نرى التاريخ الهجري إلى جانب التاريخ الميلادي . أخذ الله بيد الدكتور وزاده إحساناً وتوفيقا .

كتاب الحوادث والبدع

تأليف أبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي

المتوفى بمصر سنة ٥٢٠ — ٥٢٥ هـ

طبعة تونس سنة ١٩٥٩ م

كنا نجلس في حلقة محدث الشام الأستاذ الشيخ بدر الدين الحسني الشهير ، وكان مما نتلقاه عنه رواية ودراية منتخب كنز العمال من كتب الحديث الجامعة ، ولما بلغنا باب الاعتصام بالكتاب والسنة ، سأله بعض الفضلاء : أوَ بقرآن للعمل بها أم للتبرك قال أستاذنا : إذا قصدتم العمل بها كنتم من المتعصمين .

وكتاب الإمام الطرطوشي هذا يهدي إلى العمل ، ويبعد عن الحوادث والبدع ، وينهى عن كلّ ما تخترعه القلوب ، وما تنطق به الألسنة ، وما تفعله الجوارح ، مما يظنه بعضهم عبادات وقربات وطاعات ، والطاعة في الاتباع ، لا في الابتداع ، وقد أكمل الله لنا الدين ، وأتمّ علينا النّعمة ، ورضي لنا الإسلام دينا .

وقد حققه الأستاذ الطالبي ، وأشار الى اختلاف نسخه بدقة وعناية وأنشأ عليه تعليقات مفيدة ، ووضع له في آخره فهارس عديدة ، وترجم لمن ورد ذكرهم في الكتاب ، فبلغ (٢٢٣) صفحة بالقطع المتوسط ، وطبع على أجود الورق ، فجزى المولى المؤلف والمحقق والناشرين أفضل الجزاء .

خطب حمدي عُبيد

في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أنشأها واستمدها من الكتاب والسنة والمجتمع

ص ٣٠٩ طبع ١٣٧٩ هـ = ١٩٥٩ م

الأمر الذي بعث الله به رسوله هو الأمر بالمعروف ، والنهي الذي بعثه به هو النهي عن المنكر ، وهذا نعت النبي والمؤمنين ، قال تعالى في وصف النبي (ﷺ) : « يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرّم عليهم الخبائث » . وقال في وصف الأمة : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » هذا وإن بني العروبة والإسلام لا تتم مصلحتهم إلاّ بالاجتماع والتعاون والتناصر ، فالتعاون لجلب المصالح لهم ، والتناصر لدفع المضار عنهم ، وتكون الطاعة للآمر بتلك المقاصد ، والناهي عن تلك المفاسد ، « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » وفي هذه الخطب المفيدة للأستاذ حمدي عبيد العقائد والأوامر ، والزواجر الإلهية والنبوية ، كقواعد الإسلام الخمس ، وكالمحبة والصحبة والتوبة ، وشذرات من نفحات النبوة ، وكقول الحق والصدق ، وكالنهي عن الموبقات السبع ، وهي الشرك ، والسحر ، وقتل النفس بغير حق ، وأكل الربا ، ومال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات ، وكل ذلك بأدلة ثابتة من الكتاب والسنة ، وأعمال المجتمع ، وبأسلوب عصري واضح ، وهذا الديوان مشكول شكلاً تاماً ، ومن الخطبة السابعة التي حثّ فيها الأستاذ عبيد على تحصيل العلم النافع قوله :

« من العلوم النافعة التي تؤمّن لنا كلّ ما قدّمنا العلومُ الرياضيّة ، والتاريخية ، والأدبية والاجتماعية ، والجغرافية والاقتصادية ، والسياسية والحربيـة ، والأخلاقية والتربوية ، وسائر العلوم الكونية ، وكلّها حثّ على تحصيلها القرآن الكريم ، وأمر بها الرسول العظيم ، ﷺ » .

ثم إن من سهو القلم أو الطبع وضع فتحتين على الألف الساكنة في مثـل (منبرًا ودفاعًا ومحمودًا) ، لأن التنوين عبارة عن تكرير الحركة في الحرف المتحرك ، والألف اللينة ساكنة ، والفتحة الثانية من حقها أن توضع فوق الراء والعين والدال من هذه الكلمات المفتوحة الآخر ، ويقاس عليها غيرها كما لا يخفى .

ولعله يشار في الطبعة الثانية إن شاء الله الى أرقام الآيات وسورها ليسهل الرجوع اليها ، وتعزى الأحاديث إلى مخرّجيها من أصحاب الكتب الستة وغيرهم ليكون القراء على بصيرة منها ومن شرحها .

هذا مثال من هذه الخطب النافعة الرافعة ، فجزى الله تعالى مؤلفهـا خير الجزاء .

محمد بهجة البيطار

حرب صليبية في أوروبا

تأليف دوايت ايزنهاور وترجمة ابراهيم عبود

السنة الخامسة من عيون التاريخ العالمي التي تنشرها دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر . طبع بدمشق سنة ١٩٥٩ في مجلد واحد يشتمل على (٢٧٠) صفحة من قطع الوسط ، يتخللها بعض الصور

وهو ترجمة كتاب (Crusade in Europ) لداوي ايزنهاور القائد العام لجيوش الحلفاء في الجبهة الغربيه أثناء المرحلة الأخيرة من الحرب الكونية الثانية والرئيس الحالي للولايات المتحدة الأميركية . وقد دون المؤلف فيه مذكراته عن مراحل الغزوة التي قادها ضد جيوش المحور في افريقية الشمالية وايطالية وفرنسة .

وهو سجل رائع لسير المعارك في هذه الميادين وللأحداث السياسية التي رافقتها . وكيف انتزع الظفر من جيوش المحور وأرغمها على الاستسلام من دون قيد أو شرط ، فبدد بانتصاراته أوهام الزاعمين بأن جيش المانية لا يقهر .

وكان المؤلف صريحاً في آرائه ، مهذباً بحق أعدائه ، ولم يكتم تخلف بلاده عسكرياً بالنسبة لاستعداد قوى المحور المائلة . وانتقد بعنف اهمال القيادة الامركية وضعف جهازها الحربي ، وفشل دوائر استعلاماتها عن مجرى الأحداث في الدول الأوربية ، مما كلف الحكومة لتدارك ما فاتها جهداً جباراً ، وأعباء مالية ثقيلة حتى ضمنت لنفسها التفوق العسكري وحققت الظفر لها ولحلفائها .

ويحار الفكر بتعليل عنوان هذا الكتاب : (حرب صليبية في أوروبا) ومغزاه ، فلا تنعت الحروب بالصليبية إلا إذا وقعت بين المسيحية وغيرها من الملل ، كما هو شأن الجهاد عند المسلمين . فأين هي الصليبية في هذه الحرب ، والخصمان من دين واحد ؟ هل اعتبر المؤلف النازية الألمانية والفاشستية الإيطالية في عداد الملاحدة حتى يبرر تتالهم ؟ فإن صح هذا الزعم فكيف له أن يفسر تآخي مسيحية الحلفاء وشيوعية السوفيات الملحدة . قاتل الله السياسة وتلونها ، فانها تدني البعيد ، وتقصي القريب وتجعل من الهدى ضلالاً ومن الباطل حقاً .

نشكر دار اليقظة على حسن انتقاء ما تنشره من عيون التاريخ العالمي ونتمنى لها المزيد من التوفيق ، ونخص الأستاذ المترجم بأطيب الثناء والتقدير لإصابته حسن الاداء ، ودقة التعبير ، وأمانة النقل .

جعفر الحسني



آراء وأنباء

انتخاب رئيس المجمع العلمي العربي

عقد المجمع العلمي العربي جلسة في ١٥ تشرين الأول سنة ١٩٥٩ لانتخاب رئيس خلفاً للمرحوم الأستاذ الرئيس خليل مردم بك .

وحضر هذه الجلسة أكثرية الأعضاء العاملين وجرى الانتخاب بطريقة الاقتراع السري ففاز الأمير مصطفى الشهابي بإجماع الأصوات وعلى هذا صدر القرار التالي .

قرار نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة

رقم (٤٠) سنة ١٩٥٩

بتعيين رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق

نائب رئيس الجمهورية

بعد الاطلاع على القرار رقم (١٩٥٧) لعام ١٩٥٩

وبناء على المرسوم التشريعي رقم (٩٠) تاريخ ١٩٤٧/٦/٣٠ المتضمن ملاك المجمع العلمي العربي ودار الكتب الظاهرية وتعديلاته .

وبناء على ضبط الجلسة التي عقدها المجمع العلمي العربي في ١٩٥٩/١٠/١٥ التي جرى فيها انتخاب رئيس المجمع العلمي العربي خلفاً للرئيس الراحل .

« يقـــرر ما يلي »

١ ـ يعين الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي عضو المجمع العلمي العربي العامل رئيساً للمجمع العلمي العربي لمدة أربع سنوات .

٢ ـ يتقاضى الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي من موازنة المجمع العلمي العربي الباب (١) البند (١) تعويضاً ثابتاً معادلاً لراتب موظفي الدرجة الثالثة من المرتبة الممتازة .

دمشق في ١٥ / ١٢ / ١٩٥٩

محمد عبد الحكيم علي عامر

نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة

أعضاء المجمع العلمي العربي في سنة ١٣٧٩ هـ — ١٩٦٠ م

ا) الأعضاء العاملون

١ — الرئيس : الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي

٢ الدكتور اسعد الحكيم
٣ الأمير جعفر الحسني (أمين السر العام)
٤ الدكتور جميل صليبا
٥ 〃 حسني سبح
٦ 〃 حكمة هاشم
٧ 〃 سامي الدهان
٨ الاستاذ شفيق جبري
٩ الاستاذ عارف النكدي
١٠ 〃 عز الدين التنوخي
١١ 〃 فارس الخوري
١٢ الشيخ محمد بهجة البيطار
١٣ الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي
١٤ 〃 محمد كامل عياد
١٥ 〃 مرشد خاطر

ب) الأعضاء المراسلون

(الجمهورية العربية المتحدة)
الاقليم الشمالي

١ الدكتور عبد الرحمن الكيالي
٢ الاستاذ عمر ابو ريشة
٣ 〃 محمد سليمان الأحمد
٤ الدكتور قسطنطين زريق

(ج.ع.م. الاقليم الجنوبي)

٥ الاستاذ احمد حسن الزيات
٦ الدكتور احمد زكي
٧ الاستاذ احمد لطفي السيد
٨ 〃 خليل ثابت
٩ الدكتور طه حسين

(ج.ع.م. الاقليم الجنوبي)

١٠ الاستاذ عباس محمود العقاد
١١ الأمير يوسف كمال
١٢ الاستاذ أنيس المقدسي — لبنان
١٣ 〃 بشارة الخوري — 〃
١٤ الشيخ سليمان ظاهر — 〃
١٥ الدكتور صبحي المحمصاني — 〃
١٦ 〃 عمر فروخ — 〃
١٧ الأستاذ مارون عبود — 〃
١٨ الأب ا.س. مرمرجي الدومنكي — فلسطين

١٩	الاستاذ قدري حافظ طوقان	فلسطين
٢٠	〃 محمد الشريقي	المملكة الاردنية الهاشمية
٢١	〃 احمد حامد الصراف	العراق
٢٢	الدكتور داود الجلبي	〃
٢٣	الاستاذ ساطع الحصري	〃
٢٤	〃 طه الهاشمي	〃
٢٥	〃 عباس العزاوي	〃
٢٦	الشيخ كاظم الدجيلي	〃
٢٧	الاستاذ كوركيس عواد	〃
٢٨	الشيخ محمد بهجة الاثري	〃
٢٩	الاستاذ محمد رضا الشبيبي	〃
٣٠	الدكتور مصطفى جواد	〃
٣١	الاستاذ منير القاضي	〃
٣٢	الشيخ محمد نور الحسن	السودان
٣٣	الأستاذ حمد الجاسر	المملكة العربية السعودية
٣٤	〃 خير الدين الزركلي	〃
٣٥	〃 علي الفقيه حسن	ليبية
٣٦	〃 حسن حسني عبد الوهاب	تونس
٣٧	〃 محمد الطاهر بن عاشور	〃
٣٨	〃 محمد البشير الابراهيمي	الجزائر
٣٩	〃 عبد الحي الكتاني	المغرب
٤٠	〃 عبد الله كنون	〃
٤١	〃 علال الفاسي	〃
٤٢	〃 احمد آتش	تركية
٤٣	الدكتور علي أصغر حكمت	ايران
٤٤	الاستاذ آصف علي أصغر فيضي	الهند
٤٥	〃 أبو الحسن علي الحسني الندوي	〃
٤٦	〃 عبد العزيز الميمني	باكستان
٤٧	〃 يوسف البنوري	〃
٤٨	الدكتور بلاشير (رجيس)	فرنسة
٤٩	〃 كولان (جورج)	〃
٥٠	〃 لاوست (هنري)	〃
٥١	〃 ماسه (هنري)	〃
٥٢	〃 ماسينيون (لويس)	〃
٥٣	〃 أربري (أ٠ ج٠)	بريطانية
٥٤	〃 جب (هـ٠ ا٠ ر٠)	〃
٥٥	〃 غليوم (الفرد)	〃
٥٦	〃 ريتر (هلموت)	المانية
٥٧	〃 هارتمان (ريشارد)	〃
٥٨	〃 ديدرنغ (س٠)	السويد
٥٩	الدكتور ضودج (بيارد)	الولايات المتحدة
٦٠	الاستاذ فيليب حتي	〃
٦١	〃 غومز (اميليو غارسيا)	اسبانية
٦٢	الدكتور اشتولز (كارل)	النمسة
٦٣	الاستاذ موجيك (هانز)	〃
٦٤	〃 ماهلر (ادوارد)	المجر
٦٥	〃 جبرايلي (فرنشيسكو)	ايطالية
٦٦	الدكتور شخت (يوسف)	هولاندة
٦٧	الاستاذ بدرسن (جون)	الدانيمرك
٦٨	〃 كرسيكو (يوحنا هنن)	فنلاندة
٦٩	〃 رشيد سليم الخوري	البرازيل

أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون

(ج.ع.م. الاقليم الشمالي)

١ الشيخ طاهر الجزائري
٢ 〃 سليم البخاري
٣ 〃 مسعود الكواكبي
٤ الاستاذ الياس قدسي
٥ 〃 أنيس سلوم
٦ 〃 جميل العظم
٧ 〃 سليم عنحوري
٨ 〃 عبد الله رعد
٩ 〃 رشيد بقدونس
١٠ 〃 اديب التقي
١١ الشيخ عبد القادر المبارك
١٢ الاستاذ معروف الأرناءوط
١٣ السيد محسن الأمين
١٤ الاستاذ الرئيس محمد كرد علي
١٥ 〃 محمد البزم
١٦ 〃 سليم الجندي
١٧ الشيخ عبد القادر المغربي
١٨ الأستاذ الرئيس خليل مردم بك
١٩ الأب جرجس شلحت
٢٠ 〃 جرجس منش
٢١ الاستاذ قسطاكي الحمصي
٢٢ الشيخ كامل الغزي

(ج.ع.م. الاقليم الشمالي)

٢٣ الاستاذ ميخائيل الصقال
٢٤ الشيخ بدر الدين النعساني
٢٥ 〃 راغب الطباخ
٢٦ 〃 عبد الحميد الجابري
٢٧ 〃 عبد الحميد الكيالي
٢٨ 〃 محمد زين العابدين
٢٩ الدكتور صالح قنباز
٣٠ الشيخ سليمان الأحمد
٣١ الاستاذ ادوار مرقص
٣٢ الشيخ سعيد الغرفي
٣٣ البطريرك مار اغناطيوس افرام

(ج.ع.م. الاقليم الجنوبي)

٣٤ الاستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي
٣٥ 〃 رفيق العظم
٣٦ 〃 احمد كمال
٣٧ 〃 احمد تيمور
٣٨ 〃 احمد زكي باشا
٣٩ الدكتور يعقوب صروف
٤٠ السيد محمد رشيد رضا
٤١ الاستاذ حافظ ابراهيم
٤٢ 〃 احمد شوقي
٤٣ الشيخ احمد الاسكندري
٤٤ الاستاذ اسعد خليل داغر

(ج.ع م. الاقليم الجنوبي)

٤٥ الاستاذ داود بركات
٤٦ الدكتور امين المعلوف
٤٧ الاستاذ مصطفى صادق الرافعي
٤٨ الشيخ عبد العزيز البشري
٤٩ الدكتور احمد عيسى
٥٠ الأمير عمر طوسون
٥١ الشيخ مصطفى عبد الرازق
٥٢ الاستاذ انطون الجميل
٥٣ ″ خليل مطران
٥٤ ″ ابراهيم عبد القادر المازني
٥٥ ″ محمد لطفي جمعة
٥٦ الدكتور احمد امين
٥٧ الاستاذ عبد الحميد العبادي
٥٨ الشيخ محمد الخضر حسين
٥٩ الدكتور عبد الوهاب عزام
٦٠ ″ منصور فهمي
٦١ الاستاذ حسن بيهم لبنان
٦٢ الأب لويس شيخو ″
٦٣ الشيخ عبد الله البستاني ″
٦٤ الاستاذ جبر ضومط ″
٦٥ ″ عبد الباسط فتح الله ″
٦٦ الشيخ عبد الرحمن سلام ″
٦٧ ″ مصطفى الغلاييني ″
٦٨ الاستاذ عمر الفاخوري ″

٦٩ الاستاذ بولس الخولي لبنان
٧٠ ″ امين الريحاني ″
٧١ الامير شكيب ارسلان ″
٧٢ الشيخ ابراهيم المنذر ″
٧٣ الاستاذ جرجي يني ″
٧٤ الشيخ احمد رضا ″
٧٥ الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف ″
٧٦ ″ فيليب طرازي ″
٧٧ الشيخ فؤاد الخطيب ″
٧٨ الدكتور نقولا فياض ″
٧٩ الشيخ سعيد الكرمي فلسطين
٨٠ الاستاذ نخلة زريق ″
٨١ الشيخ خليل الخالدي ″
٨٢ الاستاذ عبد الله مخلص ″
٨٣ ″ محمد اسعاف النشاشيبي ″
٨٤ ″ عادل زعيتر ″
٨٥ ″ محمود شكري الآلوسي العراق
٨٦ ″ جميل صدقي الزهاوي ″
٨٧ ″ معروف الرصافي ″
٨٨ ″ طه الراوي ″
٨٩ الاب انستاس ماري الكرملي ″
٩٠ الشيخ محمد بن ابي شنب الجزائر
٩١ الاستاذ محمد الحجوي مراكش
٩٢ ″ زكي مغامز تركية
٩٣ الشيخ ابو عبد الله الزنجاني ايران

٩٤	الاستاذ عباس إقبال	ايران
٩٥	الحكيم محمد أجمل خان	الهند
٩٦	الاستاذ فران (جبرئيل)	فرنسة
٩٧	〃 هوار (كليمان)	〃
٩٨	〃 بوفا (لوسيان)	〃
٩٩	〃 مالنجو	〃
١٠٠	〃 كي (ارتور)	〃
١٠١	〃 باسه (رينه)	〃
١٠٢	〃 ميشو بلّير	〃
١٠٣	〃 مارسيه (وليم)	〃
١٠٤	〃 دوسو (رينه)	〃
١٠٥	〃 مرجليوث (د · س ·)	بريطانية
١٠٦	〃 بفن	〃
١٠٧	〃 براون (ادوارد)	〃
١٠٨	〃 كرينكو (فريتز)	〃
١٠٩	〃 هومل	المانية
١١٠	〃 ساخاو (ادوارد)	〃
١١١	〃 هوروفيتز (يوسف)	〃
١١٢	〃 هارتمان (مارتين)	〃
١١٣	〃 مينفوخ (اوجين)	〃
١١٤	〃 بروكلن (كارل)	〃
١١٥	الأستاذ غولدصيهر (اغناطيوس)	المجر
١١٦	〃 ماكدونالد (د.ب.)	الولايات المتحدة
١١٧	〃 هرزفلد (ارنست)	〃
١١٨	〃 سارطون (جورج)	〃
١١٩	〃 كراتشكوفسكي (أ)	الاتحاد السوفياتي
١٢٠	〃 برتلز (ايفيكين)	〃
١٢١	〃 آسين بلاسيوس (ميكل)	اسبانية
١٢٢	〃 لوبس (دافيد)	البرتغال
١٢٣	〃 جويدي (اغنازيو)	ايطالية
١٢٤	〃 نالينو (كارلو)	〃
١٢٥	〃 غريفني (اوجينيو)	〃
١٢٦	〃 مونته (ادوارد)	سويسرة
١٢٧	〃 هس (ج · ج ·)	〃
١٢٨	〃 كوفالسكي (ت ·)	بولونية
١٢٩	〃 موزل (الوا)	تشكوسلوفاكية
١٣٠	〃 هورغرنيه (سنوك)	هولاندة
١٣١	〃 اراندونك (ك ·)	〃
١٣٢	〃 هوتسما (م · ت ·)	〃
١٣٣	〃 بوهل (ف · م · ب ·)	الدانيمارك
١٣٤	〃 استروب (ج ·)	〃
١٣٥	〃 سترستين (ك · ف ·)	السويد
١٣٦	〃 سعيد ابو جمرة	البرازيل

« مي »

زرتها في دارها يوم الجمعة في ١٩ آذار سنة ١٩٢٦ قبيل سفري من القاهرة بساعتين ، وكان معي حسين بك الحسيني ، ضغطت على زر الجرس ففتح نافذة من الباب خادم بربري فسألته عن الآنسة فقال هنا فدفعت اليه بطاقتي فذهب بها اليها وما هي إلا كلا ولا حتى عاد مسرعاً وذهب بنا إلى البهو ، واتفق أن كان فوق رأسي بجدار البهو اطار به صورة الآنسة مي تعمدت بها أن تمثل الحداثة الساذجة بنظراتها المرتاعة وإرسال يديها الى خلف كأنها تريد أن تعتمد على شيء ووقفتها المشوشة التي يلتبس على الناظر أمرها: أكانت تريد جلوساً من وقوف أم نهوضاً من جلوس؟ وهكذا فان الآنسة تحاول أن تصور نفسها حدثة مراهقة بل طفلة غريرة في مقالاتها وخطبها وكتبها وحديثها ، ولكن بمعرض التواضع ونكران الذات فيتم لها ما تبتغيه كل امرأة ولكن بلباقة وكياسة .

بعد بضع دقائق من دخولنا إلى البهو ولجت علينا أم الآنسة مي وسلمت علينا مصافحة فذكرت لها اسمي واسم صاحبي ، وشرعنا نتحدث بالأحاديث المعتادة كحالة الجو وجمال البلد ، وما أذكر المناسبة التي جعلتها تنوه بكثرة من يرتاد البهو الذي نحن فيه من علية القوم واستطردت الى ذكر ابنتها الآنسة مي وكثرة شغلها في الإنشاء والخطب فكنت أخفق برأسي وأقول لها : نعم صحيح .

سألتني عن بلدي ، فقلت دمشق قالت وأنا أصلي من حوران وزوجي من لبنان فقلت ما شاء الله ! قالت لكن زوجي موعوك ملازم فراشه قلت خير إن شاء الله ولا بأس عليه .

ولم يطل بنا الحديث حتى حانت مني التفاتة فرأيت الآنسة ميّاً تحبو بخطى خرساء ، وقد بلغت نصف البهو فنهضت على قدمي فوقفت مكانها ولوت جيدها يمنة وعقدت كفيها وقالت والبشر يأتلق على أسرتها (أهلاً وسهلاً شرفت يا بك) فخطوت اليها ماداً كلتا يديّ ودلفت هي نحوي مادة يمناها وصافحتني بقوة مرددة كلمات الترحيب وبعد أن عرفتها بصاحبي جلست مواجهة لي .

كان ثوبها زهري اللون قصير الذيل والكمين مفتوح الجيب الى ما تحت الترقوتين ، وكانت هي في لبسها وزينتها وتصفيف شعرها آخذة بمقتضيات الكياسة والمودة الأوروبية أو — المواءمة — على رأي الكرملي .

كان أمد الزيارة نحو ساعتين وكان مدار الحديث بها على ما يأتي :

الترحيب والمجاملة وشيء من الدعابة المملوءة خفراً .

الثورة السورية .

الرابطة الأدبية .

النهضة المصرية .

التململ من الاستعمار الأوروبي .

فكان من ترحيبها ومجاملتها قولها ان مصر ترحب بي وان أدباءها حريصون على التعرف بي شخصياً ، وإن كانوا لا يجهلونني وانها سعيدة بلقائي وأطرت رسالتي شعراء الشام وقصيدتي في شوقي وقالت أكل هذا توحي اليك زيارة شوقي

لدمشق الى غير ذلك من أساليب الخاملة التي تحسن ايرادها النساء أكثر من الرجال .

وكان من دعابتها أن قدمت لي لفافة وأرادت أن تقدح عود ثقاب فبادرت اليه قبلها فقالت : دعني أقبسك النار ولا تخف هي نار باردة قلت أنا أحرق نفسي .

ثم سألتني عن كارثة دمشق فقالت بصوت مملوء حنواً وبكاء : (ان كان لا يؤلمك أن تقصّ عليَّ كيف وقعت الواقعة فحدثني) قالت ذلك وهي مقبلة نحوي بوجهها تفرك كفها بكفها ويقطع مجرى نظرها عني غضها طرفها كأنما تريد أن تغيض عبرة .

ذاك القول وهذا المشهد بعثا في قلبي من الشجن والأسى والذكريات المحزنة ما فاضت له مقلتاي رغم أنفي .

قلت نعم يا سيدتي من الألم ما قد يفيد ، وأخذت أقص عليها ما شهدته بعيني في الواقعة فكانت تظهر ألماً وحزناً وحناناً واستياء وتصعد أنفاسها وتقول لا أقدر أن أتصور دمشق خربة محروقة تلك المدينة التي يتمثل بها جمال الشرق وجلاله ، وتبعث في نفس الرائي الحرمة والروعة .... وتمنت انفراج أزمة الثورة .

ثم أتت على ذكر الرابطة الأدبية وقرظتها وأسفت لتقوضها وتساءلت عما إذا كان بالإمكان إعادتها سيرتها الأولى وقالت : ما رأيت جمعية توثقت رابطة المحبة والولاء بين أعضائها كالرابطة الأدبية .

ثم تناولت حديث النهضة المصرية من وجهتها السياسية والأدبية وأظهرت

إعجابها بها وتطرقت الى اليقظة الشرقيـة العامة وقالت انها موجة ما زالت تعظم وتتعالى ، ولا بد من أن تفيض على جوانب الشرق فتعم أقطاره كافة وتململت من قسوة الاستعمار الغربي .

وهناك كان ميعاد السفر قد دنا فاستأذنتها بالانصراف فخرجت هي وأمهـا معنا خارج باب الدار ولا أكتمك أنني برحت القاهرة وركبت القطـار ووصلت الى الاسكندرية وحديثها في سمعي وشخصها ماثل أمام عيني وما أعلم أن آنسة استدعت احترامي لها وإعجابي بها كالآنسة مي .

خليل مردم بك



ديوان ابن عنين

تعليق على استدراك

عثر الأستاذ عبد العزيز الميمني على نسخة خطية من ديوان ابن عنين ؛ « فيها مقاطع وقصائد وبعض أخبار وروايات » خلت منها الطبعة التي أخرجها الرئيس السابق الأستاذ خليل مردم بك رحمه الله .

قال الأستاذ الميمني : « فصحت عزيمتي على تعليقها : ـ يريد هذه المقاطع والقصائد والأخبار والروايات ـ ولم شعثهـا ، وضبط شواردها ، وعرض فرائدها » .

وقد رأينا في بعض هذه القصائد التي نشرها الأستاذ عبد العزيز : استدراكاً وتعليقاً ، مما أحببنا أن نلفت نظره الدقيق اليها خدمة لهذا الديوان .

جاء في القصيدة التي مدح بها صلاح الدين : الصفحة الـ ٥٨٩ ، المجلد ٣٤ من مجلة المجمع :

ياطالبي العارفات دونكـمو   ندى مليك الزمان فاعترفوا!

(فاعترفوا) بالعين المهملة ، وهي وإن يكن لها وجه ، فقد تكون (اغترفوا) بالغين المعجمة أوجه .

وبعد هذا :

فما الخضم الطامي غواربه   ولولا الغيوث الهواطل النطُفُ

والواو في (ولولا) زائدة خطأ في النسخ أو الطبع .

وبعـده :

عليكمُ منه بابن مكرمةٍ   تنـدح أمواله وتنترفُ

وقد تكون (تنداح) هنا أولى من تندح[1] . وتفترق هنا تؤكد (فاغترفوا) التي سبق أن أشرنا اليها .

وبعد هذا البيت :

ما دونهـا ذائد ولا حرسٌ الى حَراها الآمال تختلفُ

وفسَّر الناسخ أو راوي هذه القصيدة ، لفظة (حراها) بـ (نواحيهـا) . والنواحي من معاني (الحرا) كما ان من معانيها (الساحة)[2] والساحة هنا أدق معنى من الناحية) .

كما أن (الوَكَف) في قوله :

أبقى على الدهر من حوداثه محوطة لا ينالهـا الوَكَفُ

فسَّره بـ (العيب) وهو من معانيه ، كما ان من معانيه أيضاً الشدة ، وقد تكون (الشدة) هنا أطبق في سياق المعنى من (العيب) .

ويلي ذلك قصيدة في مدح صلاح الدين أيضاً مطلعها :

حلومك أرسى من شمام وأرسخ ومجدك أعلى من (جبال) وأشمخُ

وعلى ما في هذا البيت من ضعف تزيده هذه (الحلوم) ، جمعاً لـ (حلم) التي تصدّرت في رأس هذا المطلع . مع هذا ، لا نظن أن ابن عنين يقول : مجدك أعلى من جبال ، يفضّل مجد صلاح الدين على (جبال) وهي نكرة لا يصح معها تفضيل . فأي جبال هذه التي مجد صلاح الدين أعلى منها ؟

وقد يكون أصل الكلمة جبل معروف ، يفاضل بينه وبين مجد صلاح الدين ، كما فاضل في صدر البيت بين حلمه أو (حلومه) وبين (شمام) وهو جبل لباهلة معروف .

(١) يقال : ندح الشيء ، أي وسّعه . واندداح الشيء انبسط متسعاً .
(٢) تقول : نزلت بحراه : أي في ساحته . وهي الحراة والحرا .

كأن تكون تِعار أو فِعار[1] أو مثلها للموازنة مع شمام ·

وبعد هـذا

بقيت صلاح الدين فينا مخلداً فانك معها دمت فالردع مفرخ

و (أفراخ الردع) تحتاج في تفسيرها الى تأويل بعيد ، أقرب منه أن تكون (فالروع مفرخ) وأفراخ الروع وتفريخه معروف مشهور ·

وقد يكون ابدال (الواو) بـ (الدال) من غلط النسخ أو الطبع ·

ثم

إذا الحرب حشتها الكماة كأنها طهاة قدير في الشتاء وطُبَّخ

وأولى من حشّها حشتها بالشين ·

« وحشّ النار : جمع اليها ما تفرق من الحطب ، وقيل أوقدها ، وحشّ الحرب اذا أسعرها قال الشاعر :

تالله لولا أن تحشّ الطُبَّخ بي في الجحيم حين لا مُستصرَخ

والطُبَّخ : « الملائكة الموكَّلون بالعذاب · واحدها طابخ » وقد تكون (كأنهم) أفضل من (كأنها) ·

وفي الصفحة الـ ٥٣٢

ضبطت العَطف بالضم · وهي أيضاً من غلط الطبع ·

وفي الصفحة الـ ٥٢٩ يصف روضة فيقول :

(١) تِعار (بالعين المهملة) ، وقيل تِغار (بالغين المعجمة) والأول أصح . جبل عالٍ . قال لبيد :

عشت دهراً ولا يعيش مع الأيام الا يَرمرَمٌ وتِعارُ

والفَعَار : جبل أيضاً . قال أبو صخر الهذلي :

يميل فَعاراً لم يلكه السيل قبله اضربها لها حباب الثعالبِ

في روضة بالنيربين أريضة ... موشية ببدائع الإبداع
مخاضة (كذا) وشائع بردها ... كف الخضيب وأي كف صناع

وقد وضع الأستاذ بعد كلمة (مخاضة) كذا ارتياباً بصحتها . وقد أصاب ، فالكلمة مغلوطة ، والبيت مكسور ، ولو رددنا (مخاضة) الى ما يجب أن تكون أي (مخضلة) فتصح اللفظة ولا يستقيم البيت إلا اذا أضيف اليه (نسجت) أو (حاكت) أو ما هو بوزنها ومعناهما .. فيصبح البيت :

مخضلة نسجت وشائع بردها ... كفُّ الخضيبِ وأي كف صناع

يبقى كف الخضيب على الإضافة والمعروف أنه الكف الخضيب على النعت . وهو النجم شبه به . وكأن ابن عنين جاء به على الإضافة توسعاً منه وتجوزاً .

والبيت الثاني ورد في طبعة الأستاذ المردمي رحمه الله هكذا :

في روضة نسجت وشائع بردها ... كف السحاب وأي كف صناع

وهي رواية أفضل من الرواية المستدركة .

وفي الصفحة الـ ٥٩٥

لم أكُ في ظني مسيئاً به ... بل أرهُ في الفعل بي محسنا

بجزم أره . وعندئذ يجب عطفها على (أك) في صدر البيت فيستحيل المعنى الى ضده فلعل الأصل :

(بل كنت في الفعل به محسنا) أو (في الظن) أو (في ظني) أو

(إن أك في ظني مسيئاً به ... فانه في الفعل بي محسنا)

أو ما أشبه ذلك .

وفي الصفحة الـ ٥٩٨

فالملك عين خاطبته كأن بها ... رمداً فكان لها عراها أثمدا

والبيت لا يستقيم وزنه مع (كأن بها) ولا مع (بأن بها) التي أوردها في الحاشية .
ويستقيم الوزن لو قيل :

فالملك عين خاطبته كأنها رمدا فكأن لما عراها أثمدا

أي (رمداء) مؤنث (أرمد) بحذف الهمزة حذفاً جائزاً للضرورة .

وفي الصفحة الـ ٦٠٠

بالكؤوس الملآء حثا اليا لا تجريا (كذا) بالمدام لا عليا

والبيت بصورته هذه مضطرب الوزن مما حمل الأستاذ على وضع (كذا) بعد (لا تجريا) . وهو الى اضطراب وزنه ، قلق المعنى ، بل هو غير مفهوم .
وقد يقرب معناه ، ويستقيم وزنه اذا قيل :

واجريا بالمدام لي لا عليا

على نظر فيه ....

وفي الصفحة الـ ٦٠١

يا أيها المالك المولى الكريم ومن يستحق الملك والدنيا اذا وهبا

والبيت غير صحيح الوزن ، وغريب المعنى ، ان لم نقل لا معنى له . وصوابه :

يستحقر الملك والدنيا اذا وهبا

وفي الصفحة نفسها :

وإني لأعجب من زيزب به بحر (؟) كيف لا يغرق
فمن تحته بحر (؟) واحد ومن فوقه أبحر تدفق
وأعجب من ذا وذا أنه يلامسه وهو لا يرزق

والبيتان الأولان غير موزونين ، لذلك وضع الأستاذ علامة استفهام بعد كلمة بحر . في البيتين . وسياق الكلام يقتضي لفظة بحر وهي علة البيتين ،

ولا يستقيم الوزن الا اذا ضبطت (تَجَر) بالتحريك . وهو غير مسموع وكلمة (يرزق) في البيت الثالث يجب أن تكون (يورق) .

قال المعلق في الحاشية :

هذه الأبيات معروفة للخلوقي الشاعر في طاهر بن الحسين :

والرواية :

عجبت لحراقة ابن الحسين كيف تعوم ولا تغرق

الى آخر الأبيات :

والذي نرويه :

عجبت لحراقة ابن الحسين - لا غرقت - كيف لا تغرق

ولعل هذه الرواية أشهر من تلك .

هذا ما رأيت أن ألفت اليه نظر الأستاذ الميمني . وتبقى الموازنة بين الروايتين ، في النسخة المطبوعة ، وفي النسخة المخطوطة التي استند المعلق عليها . ورأيه بعد ، الموفق الى الصواب .

عارف النكدي

فتاوى لغويّة

- ١ -

ما كانت دور القضاء والفتوى لدى سلفنا الصالح للحياة مقتصرة على أحكام الفقه ، فكثيراً ما استفتي الأئمة من القرّاء والمحدثين والفقهاء في اللغة والأدب وعلوم العربية ، وكان عبد الله بن عباس حبر الأمة يحب الشعر ويحفظه ويرويه ، ويستعين بشعر الجاهلية منه لتفسير غريب القرآن ، وكان محمد بن ادريس الإمام الشافعي يحفظ شعر هُذيل وغيرها من قبائل العرب ، ويفتي الناس في الدين واللغة والشعر الذي يجيد قوله ، وكان عبد الملك بن قريب الأصمعيُّ ، مرجع الناس في لغة العرب وأشعارهم وأخبارهم يحضر في البصرة مجالس حمّاد بن سلمة محدّث عصره ويأخذ عنه الحديث وأسرار العربية .

ولما ذكرناه على سبيل المثال يسرنا أن نرى دار الفتوى الشامية لا تقتصر على الفقه في فتاويها ، وقد سئل مفتي الإقليم الشماليّ الفقيه الحكيم (الدكتور) محمد أبو اليسر عابدين في رسالة إليه أسئلة في الفقه ، وبينها سؤال لغوي عن اسم (سعاد) أهو مذكر أم مؤنث ؟ فأجاب السائلَ بما يلي :

أما الجواب على اسم (سعاد) أهو لمذكر أم لمؤنث ، فقد قال المجدُ اللغويّ في القاموس : وسمّوا سعيداً وسعوداً ومسعدة بالفتح ومساعداً وسعدون وسعدان وأسعد وسعوداً بالضم . والنساء سعاد وسعدى بضمها ، وسعدة وسعيدة بالفتح ، وسعيدة بالضم ومثله في لسان العرب .

وقد اشتهرت قصيدة (بانت سعاد) لسيدنا كعب بن زهير ومراده بها مؤنث قطعاً . مع ما روي أن بُندار الاصبهاني كان يحفظ تسعمائة قصيدة كل

قصيدة منها بانت سعاد ، ذكر السيوطي منها عشرة ، ولم ينقل في واحدة مما قالته العرب اسناد الفعل للفظ سعاد إلاّ مؤنثاً .

وليس في الصحابة من الرجال من اسمه سعاد أصلاً ، وفيهم من النساء اثنتان هما سعاد بنت رافع بن أبي عمر بن عائذ بن ثعلبة الأنصارية تكنى أم سلمة زوجة أسلم من حريش فولدت له سلمة . والثانية سعاد بنت سلمة بن زهير ابن ثعلبة بن عبيد الأنصارية زوجة حبسة بن صخر بن أمية بن خنساء بن عبيد .

ولا بأس لتقرير قاعدة التذكير والتأنيث بذكر حكاية لطيفة ذكرها النسفيّ المفسر في تفسيره وهي أن أبا حنيفة سأل قتادةَ عن صفة نملة سليمان في قوله تعالى : (وقالت نملة) أهي مذكر أم مؤنث ؟ فلم يجبه ، فقال له أبو حنيفة : هي مؤنث لأنها تصلح للمذكر والمؤنث ، فلا بد من فارق كهو وهي ، ولو كانت مذكراً لقيل قال نملة .

وهذه القصة بظاهرها طريفة يقبلها من يأخذها على علاتها ، ولكن اذا طبقناها على ما نذكره من قاعدة التذكير والتأنيث يعلم بوضعها ، وعادة المشغوفين بعالم أو صحابي أن يضعوا على لسانه قصصاً تبين مدحه وفضله ، أو يضعوا أحاديث مكذوبة يقصدون بها رفعة قدره ومنزلته وهو في غنى عنها .

وقد ذكرت في كتابي « أغاليط المؤرخين » كثيراً من هذه القصص الموضوعة التي لا شك في كذبها أمثال هذه الحكاية ونبهت على عدم صحتها ، ولم أتتبع فيه القصص المشكوك في صحتها لأنها أكثر من أن تحصر .

أما القاعدة في التذكير فهو (ان الأصل في الأسماء التذكير ، والتأنيث فرع عنه ، ولذا استغنى الاسم المذكر عن علامة تدل عليه واحتاج الفرع الى العلامة) .

أما العلامات فهي التاء والألف مقصورةً أو ممدودةً ، وأكثرها استعمالاً

هي التاء ، ولم يقولوا الهاء لأن التاء أصل عند البصريين لتشمل تاء الفعل الساكنة ؛ قال ابن مالك :

علامة التأنيث تاء أو ألف   وفي أسام قدروا التا كالكتف

فاذا سمي بالاسم مؤنث حقيقي أنث ، ولو كان اللفظ مذكراً كما لو سمينا امرأة بخالد أو أحمد ، تقول قالت خالد أو أحمد ، وتمنعها من الصرف للعلية والتأنيث ؛ واذا سمي به مذكراً استغنى عنها ولو كان لفظه مؤنثاً ، حيث يقال : قال طلحة وأسامة ، ولا يقال قالت طلحة وأسامة .

وما لا يتميز مذكره من مؤنثه : فان كان خالياً من التاء يجب تذكيره وان أريد به مؤنث كبرغوث تغليباً لجانب المذكر ، وان كان فيه تاء يجب تأنيث فعله وان أريد به مذكر بلا خلاف ترجيحاً لظاهر اللفظ حيث يقال : قالت نملة .

وكذا يجب تأنيث ما يفرق بين جمعه ومفرده بالتاء كثمرة وبقرة ، فيقال هذه ثمرة وبقرة ولا يقال هذا ثمرة وبقرة تغليباً لجانب اللفظ أيضاً .

وعليه فمتى لم يعرف حال المعنى في الواقع يراعى اللفظ ، فعرف ان الاستدلال على أن نملة سليمان كانت أنثى بقوله تعالى قالت نملة وهم لعدم تميزها ، وكل ذلك في الحقيقي .

أما المجازي فذو التاء مؤنث جوازاً كبحرة وسجادة وحصيرة ، والمجرد مذكر وجوباً كحائط وباب وجدار ، الا أن يسمع تأنيثه كأرض وشمس وسماء .

ومن هنا يعلم عدم صحة الحكاية المارة لأنها ما كانت لتخفى هذه القاعدة على قتادة ويعرفها أمثالنا حتى يسكت عنها المسئول ، وما كانت لتخفى على أبي حنيفة حتى يجيبه عنها بجواب خطأ مغلوط ، وكلا الإمامين خالط العرب جنباً الى جنب واشتهرت علومهم في الشرق والغرب ؛ ومن كتاب هذا العصر

وخطبائهم من يتفكهون بأقاصيص المؤرخين المكذوبة ليتحفوا الناس بتلك الملح ، وفيها ما فيها من الدسائس التي قصدها الواضع ، دون أن يتحروا مصدرها ورواتها .

أما سؤالكم عن واقعة هل تجمع على وقائع أم وقوعات وأن أيها أصح لغة ؟

فأقول : قال في لسان العرب «الواقعة الداهية والواقعة النازلة من صروف الدهر» والواقعة اسم من أسماء يوم القيامة .

والواقعة والوقيعة الحرب والقتال ، وقيل المعركة والجمع الوقائع ، ووقائع العرب أيام حروبها .

والوقائع المناقع ، وعليه قول الفرزدق :

(رشيف الغُرَيريّات ماء الوقائعِ) [١]

والوقيع مناقع الماء ، والوقيعة مكان صلب يمسك الماء ، والوقيعة نقرة في متن حجر في سهل أو جبل يستنقع فيها الماء وهي تصغر وتعظم حتى تجاوز حد الوقيعة فتكون وقيطا ، قال ابن أحمر :

الزاجر العيس في الأملس أعينها مثل الوقائع في انصافها السمل

ومما ذكر يعلم أن علماء اللغة استعملوا لفظ الوقائع جمعاً ، ولا مناسبة لجمع الواقعة بوقوعات لأن وقوعاً مصدر ووقوعات جمع له إن صح جمع المصدر كنصرات وضربات ، وفيما ذكر كفاية والله أعلم .

الدكتور أبو اليسر عابدين
المفتي العام للإقليم الشمالي

---

(١) الغُرَيْر فحل من الإبل ، وهو ترخيم أغرّ ، كقولك في أحمد حُمَيد ، والإبلُ الغُرَيريّة منسوبة اليه .

- ٢ -

أمَطار أم مَطِير
ومَسار أم مَسِير ؟

جاءني من صديق أديب هذا السؤال اللغوي ، ونصه : « ما هو المصدر الميمي أو اسم المكان من العنوان ، وما هي القاعدة في الاشتقاق من الأفعال المعتلة العين ؛ فقد كثر الجدال حول ذلك بيني وبين إخوان لي من الكتّاب يزعمون أنه لا يجوز أن نطلق (المطار) Aérodrome على مكان الطيران أو مينائه الجوّية[1] ، لأنه مصدر كالمطاف والمفاش ؛ وهل تقول لمَحْرك الرصاصة المنطلقة من البندقية الى الهدف : مَسار أم مَسير ؟

وأجبته بالجواب التالي شاكراً له اهتمامه بلغته العربية ، وأي عروبة لمن يجهلها ، وكيف يخدم أمته من لا يتقن لغته ؟ وقد أصبحنا في عصر استعجم - إلا من عصم الله - عربُه ، واستعربَ عجمه ، ثم رغب السائل الى لجنة مجلة المجمع العلمي العربيّ بأن تفتح في المجلة باباً خاصاً للاستفتاء اللغويّ :

إن جوابك هذا لفي حاجة الى مزيد من البيان : فان (المطار والمطير ، والمسار والمسير) مشتقة من الأفعال المعتلة العين بالياء ، وهي التي يجيء منها مَفْعَل ومَفعِل بالفتح والكسر للمصادر الميمية وأسماء المكان والزمان ، فيقال : مطار ومطير ؛

وأما الأفعال المعتلّة العين بالواو كماد ومطاف ومدار ومزار ، فلا يجيء منها شيء من المصادر والأسماء إلا على (مَفْعَل) بفتح العين ، فلا يقال بكسرها :

---

(١) هي بالفرنسية Port aérien وبالانكليزية Air - port .

مَصيد ومَطيف ومَدير ومَزير ، وتزيد في إيضاح ذلك وتوكيده بما بيّنه أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية في كتاب الأفعال [1] في بحث المصادر الميمية قائلاً : « ومنها أسماء مبنية بالزيادة تشبه المصادر في وزنها ، وتخالفها في بعض حركاتها للفصل بين الاسم والمصدر ؛ وتكلّم منها على الأفعال المعتلة بقسميها : المعتلّة بالياء ، والمعتلّة بالواو بقوله : وأمّا المعتلة بالياء في عين الفعل : فإنما يُنتهى في مصادرها والأسماء منها الى الروايات ، لأنهم قالوا : المَخيض والمبيت والمغيب والمزيد وهن مصادر ، وقالوا : المَغيض مَغيض الماء ، والمخيض في الأسماء والمصادر ؛ وقالوا : (المطَار) والمنَال في الأسماء والمصادر . قلتُ : فيكون (المطار) على قوله هذا اسم مكان ومصدرًا ميميًا بمعنى الطيران ؛ ثم قال مؤيّداً ذلك :

ومن العلماء من يجيز الكسر والفتح فيها (أي المعتلّة بالياء) مصادرَ كنّ أو أسماء فيقول : المَال والميل والمَغاب والمغيب ، وفي أشباهها كذلك ؛ قلتُ : أي مثل (المطَار والمطير) فلك أن تجعل كلاً منهما اسم مكان وزمان أو مصدراً ؛ وتنقلب الواو والياء ألفاً في مصادر ذوات الواو والياء كما انقلبت في أفعالها كالمقَام والمَجال والمطَار والمنَال ، والمُقام والمُراح في الرّباعي ، وكان الأصل في مَقام : (مَقْوَمٌ) ، فألقوا حركة الواو على ما قبلها ، ثم انقلبت الواو ألفاً للفتحة التي قبلها : لأن الألف أخف من الواو ، قلت : وهذا في المعتل بالواو ، ومثّل للمعتلّ بالياء بِ (المطار) وكان الأصل فيه (مَطْيَرٌ) ، فألقوا حركة الياء على الطاء ، فصار (مَطَيْر) ، ثم انقلبت الياء ألفاً للفتحة التي قبلها لأن الألف أخف من الياء .

(١) مطبعة مصر ١٩٥٢ (ص ٤ و ٥) .

واليك ما ذكره صاحب المصباح المنير [1] وهو خلاصة الباب، وفصل الخطاب قال : وإن كان معتل العين بالياء، فالمصدر مفتوح، والاسم مكسور كالصحيح نحو : مالَ مَالاً، وهذا مَمِيله، هذا هو الأكثر ؛ وقد يوضع كل واحدٍ موضع الآخر نحو المَعاش والمَعيش، والمَسار والمَسير ؛ قال ابن السكيت : ولو فُتحا جميعاً في الاسم والمصدر، أو كُسِرا معاً فيهما لجازَ لقول العرب : المَعاش والمَعيش، يريدون بكلٍّ واحدٍ المصدرَ والاسم، وكذلك المَعابُ والمَعيبُ قال الشاعر :

أنا الرجلُ الذي قد عِبتموني ... وما فيكم لِعَيّابٍ مَعابُ

وقال :

أزمانَ قومي والجماعة كالذي ... منعَ الرِّحالةَ أن تَميلَ مَمَالا

أي أن تميل ميلاً، والرِّحالة : الرَّحلُ والسرج أيضاً . انتهى .

وجواب سؤالك عن (المطار) في قول أبي يوسف يعقوب بن السكيت الذي قرأته الآن، فان كلاًّ من (المَعاش والمَعيش، والمَعاب والمَعيب، والمَمال والمَميل) يجوز أن تجعله مصدراً واسماً، كذلك الأمر في (المَسار والمَسير)، فلك أن تجعل (المَسار) اسم مكان وتطلقه مثلاً على تحرك الرصاصة Trajectoire، وهو الخطّ الذي ترسمه القذيفة أو الرّصاصة بين البندقية والهدف، أو على مَسار الكهرباء électrode بين مَهبطها ومَصعدها، ثم يجعل (المسير) مصدراً بمعنى السير، وهو أقوم، والله أعلم .

عز الدين التنوخي

---

(١) المطبعة الأميرية ١٩٢٨ (ص ٦٦٣) .

تعليق على مقـال
الساميّون ومهدهم

قرأت مقال الأستاذ غريغوريوس بولس بهنام المعنون بالعلاقات الجوهرية بين اللغتين العربية والآرامية في الجزء الرابع من المجلد الثالث والثلاثين من مجلة المجمع العلمي العربي والذي يذكر الساميين ومهدهم استطراداً ، وقرأت تذييل لجنة المجلة على قول الأستاذ أن الباحثين ليسوا متفقين على مهد الساميين الذين انتشروا في جزيرة العرب وبلاد الشام والعراق ووادي النيل ، وأنا أصوب تذييل اللجنة القائل ان مهد هذه الأرومات هو جزيرة العرب ومنها انتشرت الى الأقطار المجاورة لها شمالاً وجنوباً لأنه مستند الى جمهرة كثيرة من الباحثين ، وأزيد عليه ان من الباحثين الذين يقولون ان الجزيرة العربية ليست مهد الساميين من يجعل هذا القول بالنسبة الى النواة الأولى ، ويقول ان هذه النواة جاءت الى جزيرة العرب ونمت فيها ثم أخذت قبائلها تنساح منها الى الأقطار المجاورة أي ان هذا الفريق يلتقي مع الفريق القائل ان جزيرة العرب هي مهد الساميين على اعتبار أنها منطلق انتشارهم الى خارجها .

وألحظ من جهة أخرى أن بعض الباحثين الذين يتحفظون في الموافقة على هذا الرأي يتجاهلون أو يهملون دليلاً عرف منذ أواسط القرن الأول قبل الميلاد معرفة يقينية لا تحتمل مراء واستمر يتوالى حقبة بعد حقبة الى يومنا هذا وهو انسياح قبائل جزيرة العرب في دور العروبة الصريحة من جنوبها وشمالها وسواحلها الى الأقطار المجاورة وغمرها قبل الإسلام ، بلاد الشام والعراق ريفها وباديتها واقامتها الدول والممالك وتسجيلها نشاطاً عظيماً ثم خروجها منذ الفتح الإسلامي

وفيضانها على هذه البلاد ووادي النيل معاً حقبة بعد حقبة الى يومنا هذا بحيث يجوز القول بشيء من الجزم ان هذا قد كان امتداداً لما كان يجري قبل العروبة الصحيحة بسبب الطبيعة الجغرافية والاجتماعية لجزيرة العرب ومؤيداً لقول القائلين ان جزيرة العرب هي منطلق انتشار الأرومات التي سميت بالسامية والتي كانت تطرأ على الهلال الخصيب ووادي النيل منذ أقدم عصور التاريخ ، وان هذا لم يبق موضوعاً تاريخياً قديماً مضى وانقضى وغدا محل تخمين وظن ونفي واثبات وإعادة وإبداء ، ومهما كان هناك من بعض المباينات فعلماء الساميات متفقون على التشارك العميق بين اللغات السامية والأفكار السامية والتقاليد السامية ؟ ولا يمكن أن يكون هذا إلا في حالة التكون في مكان واحد والانطلاق من مكان واحد ، ويلحظ ان بين اللغة العربية الفصحى وبين اللغات العبرانية والسريانية والبابلية والآشورية والكنعانيــة والمصرية والحبشية خارج الجزيرة ثم بينها وبين اللغات المعنية والسبئية والقتبانية والحضرموتية داخل جزيرة العرب تشاركاً عميقاً في المفردات الأصلية والقواعد ؛ ولا يمكن أن يكون هذا كذلك إلا في حالة الانبثاق من نواة واحدة ومكان واحد مهما كان هناك أيضاً من مباينات ، ولا يتعارض هذا مع احتمال أن تكون النواة الأولى قد جاءت الى جزيرة العرب من أنحاء أخرى آسيوية أو افريقية ، بل ولا يمنع هذا من أن تكون هذه النواة في أصلها القديم ليست عنصراً واحداً وليست من ناحية واحدة .

هذا ؛ ونستطرد الى القول ان التسمية السامية سواء أكانت حديثة لا ترقى الى أكثر من مئة وخمسين سنة ، أم كما يقول صاحب المقال ان السريان استعملوها منذ القرن الثاني عشر بعد الميلاد ، لا سند لها من علم صحيح ولا آثار قديمة ثابتة ؛ وانما هي مستمدة من انساب سفر التكوين الذي اختلف في تاريخ

كتابه والذي لا يرقى على كل حال الى أبعد من القرن الثاني عشر قبل الميلاد ؛ وهذه الانساب تحمل كثيراً من التوقف والكلام الذي يجعل اعتبارها سنداً صحيحاً للتسمية غير وارد أصلاً في مجال العلم ، وأولى أن يكون بدلها اسم « الجنس العربي » فان جزيرة العرب ، بقطع النظر عما كانت تعنيه كلمة العرب ، عرفت بهذا الاسم قبل الفين وخمسمائة سنة على الأقل ، والأمة العربية عرفت بهذا الاسم كذلك في هذا الظرف أو قبله على ما تدل عليه النقوش والمدونات القديمة ، فهذا القدم في التسمية للموطن الذي كان منطلق انتشار الأرومات (السامية) في خارج جزيرة العرب ، وللأمة التي تمثل التشارك في اللغة والخصائص بين هذه الأرومات ، بل وتمثل صفة الأم لأنها ظلت في هذا الموطن يسوغ تسمية هذه الأرومات بالجنس العربي أكثر مما تسوغه أنساب سفر التكوين كما هو المتبادر ، وقد قال هذا كثيرون من باحثي العرب وجهابذتهم مثل الدكتور جواد علي مؤلف كتاب تاريخ العرب قبل الإسلام ، وعطية الابراشي ورفقاؤه مؤلفو كتاب الأساس للغات والأمم السامية ، والرفاعي ورفقاؤه مؤلفو كتاب معالم الحضارات في الشرق والغرب الخ[1] .

(دمشق) محمد عزة دروزه

(١) انظر تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي ج ١ ص ١٤٨ وما بعدها و ج ٢ ص ٢٨٧ وتاريخ اللغات السامية لإسرائيل ولفنسون والأساس للأمم واللغات السامية لعطية الابراشي ورفقائه ، ومحاضرات في تاريخ العرب لصالح العلي ومقدمة في الحضارات القديمة لطه باقر والقرون القديمة لبريستيد مثلاً .

المصادر

التي اعتمدنا عليها

١ — ابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١ ه	تاريخ دمشق
٢ — ابو زرعة المتوفى سنة ٢٨٠ ه	تاريخ دمشق (مخطوط)
٣ — المسعودي المتوفى ٣٤٦	مروج الذهب
٤ — ابن جبير القرن السادس	الرحلة
٥ — ابن خلكان المتوفى ٦٨١	وفيات الأعيان
٦ — الهروي المتوفى ٦١١	الزيارات
٧ — عمر كحالة	أعلام النساء
٨ — ابن عبد الهادي المتوفى ٩٠٩ وطلس	المساجد وذيله
٩ — البلاذري المتوفى ٢٧٩	فتوح البلدان
١٠ — ابن حجر المتوفى ٨٥٢	الإصابة في معرفة الصحابة
١١ — أمين البصروي (القرن العاشر)	تحفة الأنام في فضائل الشام (مخطوط)
١٢ — ابن الأثير المتوفى ٦٣٠	أسد الغابة في معرفة الصحابة
١٣ — ابن بطوطة (القرن الثامن)	الرحلة
١٤ — عز الدين بن شداد المتوفى ٦٨٤	الأعلاق الخطيرة
١٥ — الحسن المهلبي المتوفى ٣٨٠ ه	المسالك والممالك (مخطوط)
١٦ — العمري المتوفى ٧٤٩	مسالك الأبصار

١٧ — ابن كثير المتوفى ٧٧٤	البداية والنهاية
١٨ — أبو شامة المتوفى ٦٦٥	الروضتين في أخبار الدولتين النورية والأيوبية ، وذيله
١٩ — ابن تغري بردي المتوفى ٨٧٤	النجوم الزاهرة
٢٠ — ابن القلانسي (القرن السادس)	تاريخ دمشق
٢١ — ابن العماد المتوفى ١٠٨٩	شذرات الذهب
٢٢ — ابن طولون المتوفى ٩٥٣	الشمعة المضيئة في تاريخ القلعة الدمشقية
٢٣ — النعيمي المتوفى ٩٥٣ هـ	الدارس في تاريخ المدارس
٢٤ — الذهبي المتوفى ٧٤٨	تاريخ الإسلام



الفصحى
في اليمن والحجاز

لقد صان القرآن الكريم والحديث الشريف اللغة العربية وحفظاها من عبث العابثين ، وارتقيا بأساليبها الى القمة من الفصاحة والبيان ، ولولا ذلك لم تخلد وقد درج أقرانها ، ولم تأتنف ، وقد استخذى سلطانها .

غير أنه فشت في كل قطر عامية باعدت بينها وبين الأصل ، حتى لكأنا نعلم لغة ثانية لا نستعملها دون لغتنا الأصلية ، وتباعد ما بينها حتى كدنا نحتاج في بعض ذلك الى ترجمان ، كما قال القالي عن الأندلس إذ رأى ابتعاد اللسان ، وقد بلغ القيروان ، وان الأمر ليسير وقد انتشر العلم إذا صدقت النية ، وان الفصحى لمن أولى مقومات الوحدة ، وقد تبدت باكورتها في الجمهورية العربية المتحدة التي نرجو أن تكون جامعة لشمل العرب والمسلمين .

وانها لغة القرآن الكريم ولسان الدين الحنيف ، وان الأعاجم من المسلمين ليتمنون أن تكون لسانهم ، واذا حادثونا فانما يحادثونا بها ، واذا ناطقونا فانما يناطقونا بمحاسنها ، قران بينها وبين الدين متين .

ولقد كان العرب أمة أمية وكانوا أولي اللسن والفصاحة قديماً ، ولا تزال منهم في الأزمنة المتأخرة طائفة تفصح لنا عن ذلك الرأي وتثبته أيما إثبات : لقد قرأت في ذيل الخصائص لابن جني (طبع دار الكتب المصرية بالقاهرة ٢/٥) أن صاحب القاموس ذكر في (عكد) أن باليمن قرب زَبِيدَ جبلاً يسمى عَكَاداً (وزان سحاب) أهله باقون على اللغة الفصيحة ، قال محققه الأستاذ محمد علي النجار الأستاذ بكلية اللغة العربية بالأزهر الشريف : ويقول

السيد مرتضى الزبيدي شارح القاموس انهم لا يزالون على ذلك الى زمنه ، وانهم لا يأذنون للغريب أن يقيم عندهم أكثر من ثلاث ليال خوفاً على لسانهم ، وكانت وفاة الزبيدي سنة ١٢٠٥ هـ وله ترجمة واسعة في تاريخ الجبرتي ، وقال ياقوت في معجم البلدان في ترجمة (عُكُوتان) : وجبلا عكاد فوق مدينة الزرائب ، وأهلها باقون على اللغة العربية من الجاهلية الى اليوم لم تتغير لغتهم ، إذ لم يختلطوا بغيرهم في مناكحة ، وهم أهل قرار لا يظعنون ولا يخرجون .

ولقد سألت القاضي العَمْري وكيل خارجية اليمن ، لما قدم سمو الأمير البدر ولي عهدها قبيل محادثات الاتحاد بينها وبين الجمهورية العربية المتحدة ، إن كان أهل عَكَاد لا يزالون على الفصحى وقد مضى على موت الزبيدي (١٧٣) عام ، فقال : انه استولى السعوديون في حربهم مع اليمن عليها منذ أكثر من عشرين عاماً ، وانه كان يعرف عنها قبل ذلك أن جل كلام أهلها (٩٠٪ منه) فصيح معرب ، وان غريباً دخل وعلى عينيه نظارتان فقال بعض أهلها لصاحبه على البداهة وهو لا يعرف ما تسميان : انظر ، على عينيه نظارتان . وذكر لنا في اليمن راويتين كعاد الراوية يحفظان عشرات الألوف من أشعار القبائل بهنواتها ، مات أحدهما وبقي صاحبه ، وكان الدكتور شكري فيصل حاضراً ذلك المجلس ، فرغبنا اليه جميعاً أن يسجل محفوظه فانه إن مات مات علمه معه ، فوعدنا يبذل الجهد في هذا السبيل .

ونقل لي الدكتور أديب الحبال عن الدكتور أحمد الطباع وكانا طبيبين في الحجاز : ان اعرابياً من بني فهم قرب الطائف قدم يشكو البواسير ، فقال : إني أنزف دماً قَرَاحاً ، قال : وما القراح ؟ قال : الذي لا خِلْطة به ، قال الطبيب : فكأنه المعجم في التعبير ، وليس في الباسور قيح .

ولقد قال لي الأستاذ الشيخ علي الطنطاوي : إن سائقي السيارات في بغداد لا يزال في لسانهم من بعض الفصحى ، فهم يقولون للمرأة : تروحين ،

والجمع : يرحن ، وضم تاء المتكلم فاشٍ في شمالي العراق ، وأعراب باديتها وبادية نجد لا يزال ما يتعلق لديهم بالبادية فصيحاً معرباً ، وان أخذ غير ذلك من التركية والفارسية ، فهم يقولون : الجرة تَدِي (وفي المصباح : وَدَى الشيءُ إذا سال) ، وكثير من غريب ليس لديهم بغريب .

وفي كتاب له صدر مؤخراً اسمه (صور وخواطر) مقال بعنوان (الاعرابي والشعر) كان نشر عام ١٩٣٩ ، فيه : ان قبيلة يقال لها (السوالم) كانت تسكن دمشق ففارقتها يوم قتل الوليد بن يزيد الخليفة الأموي ، واكتشف أمرها في بعض رمال (عالج) عبد العزيز بن سعود الملك السعودي السابق رحمه الله ، وان فيها العربية المبرأة من العجمة ، والبلاغة التي ما بعدها بلاغة ، وانه قدم شيخها الى القنصلية السعودية آنذاك فذهب اليه صاحب المقال فاذا لسان مبين ولغة معربة وأجوبة في اللغة والنحو تذكر بما كان بين الأصمعي ومن شافهه من الأعراب ، وانه كان يروي من الشعر ما قالته العرب لا يخرم منه حرفاً ، دون المحدثين وقد فشا فيما بلغه اللحن في الأمصار وعمت العجمة فلا يرضون بروايته إذ أفسد ديوان العرب وجاء بما ينكر في القول ، وان الأستاذ الطنطاوي ذكر له أبياتاً لأبي تمام وغيره من المحدثين والمعاصرين ، فاستحسن بعضاً وانتقد بعضاً ، وأيد ذلك بالحكم من الدليل ، وانه جرى الحديث بعد ذلك فيمن يتلقى العربية اليوم على أهل باريس عاصمة الفرنسيين .

ذلك دليل على امكان العودة الى الفصحى باعرابها وجميع ما فيها إذا عزم الأمر ، أتينا به إبلاغاً للنصح ، فلقد نطق أكراد دمشق بالكردية حيناً من الدهر ولما يعرفها منهم الكثير ، والله المستعان .

محمد وصيد الجباوي

تصوير المخطوطات

تأسس في دار الكتب الوطنية (الظاهرية) شعبة لتصوير المخطوطات مزودة بأحدث الأجهزة وهي مستعدة لتلبية جميع ما يطلب اليها لتصوير المخطوطات الموجودة في دار الكتب المذكورة .



ما ينشر في المجلة

إن جميع الأبحاث والمصطلحات التي تنشر في هذه المجلة هي على عهدة كاتبيها ومسؤوليتهم .



فهرس الجزء الأول من المجلد الخامس والثلاثين

التعريف والنقد

آراء وأنباء

الجزء الثاني — المجلد الخامس والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العربي

١ نيسان سنة ١٩٦٠ م — ٥ شوال سنة ١٣٧٩ هـ

مدى التعريب

في ألفاظ تصنيف المواليد [١]

لعل من أدق الألفاظ الاصطلاحية التي أقرها المجمع في دورة المؤتمر السابقة تلك التي تدل على حلقات التصنيف في النبات والحيوان ، وهي من الأعلى الى الأدنى : الشعبة والطائفة والرتبة والفصيلة والقبيلة والجنس والنوع والسلالة والصنف (أو الضرب) والفرد . وما يقابلها بالفرنسية أو الإنكليزية معروف [٢] ،

---

(١) بحث ألقاه الأمير مصطفى الشهابي رئيس المجمع العلمي العربي في الدورة السادسة والعشرين (١٩٥٩ ـ ١٩٦٠) لمؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة . والمواليد الثلاثة عند الحكماء القدماء المعدن والنبات والحيوان . وقد ورد هذا الاصطلاح في شرح الجغميني للملخص في الهيئة . وفي كشاف اصطلاحات الفنون ، وذكره صاحب محيط المحيط وقطر المحيط ، ونقله عنه دوزي في معجمه ، واقتبسه علماء النهضة الحديثة في مصر ، فكان العالم المشهور أحمد ندى مثلاً يسمى معلم المواليد الثلاثة . وعلم المواليد يقابله تعبير Histoire naturelle عند الفرنسيين .

(٢) يقرأ من اليمين إلى الشمال : Embranchement . Classe . Ordre . Famille . Tribu . Genre . Espèce . Race . Variété . Individu

وقد أزالت هذه الأسماء المتفق عليها حيرة كانت شائعة لدى مؤلفي كتب المواليد ، وأصبح اليوم كل اسم عربي يدل اصطلاحياً على حلقة واحدة معلومة من حلقات التصنيف ، على غرار الأسماء الأعجمية المماثلة لها .

ومن الواضح أن أسماء حلقات التصنيف هذه تعد من أسماء المعاني ، وأنها ترجمت بالعربية كأشباهها من الأسماء . ولم يكن هنالك صعوبة في ترجمتها ، وإنما كانت الصعوبة في تخصيص كل حلقة باسم عربي واحد راجح ، وهـذا ما حصلنا عليه في قرار المجمع الملع اليه ، وهو قرار حكيم جدير بأن يتّبع ، وفيه الخلاص من فوضى تعدد الأسماء لكل حلقة واحدة من حلقات تصنيف المواليد .

واذا انتقلنا في حديثنا هذا الى الألفاظ الأعجمية والعربية الدالة على الشُّعَب والطوائف والرُّتَب في الحيوان والنبات نجد أن تلك الألفاظ على قسمين : قسم له في لغاتهم وفي لغتنا أسماء مشهورة كالطوائف الخمس في شعبة الفقاريّات مثلاً وهي السَّمَك والضفدعيات والزّحّافات والطير والثدييات .

وقسم وضعوا له في اللغة العلمية أسماء تدل على أم صفات فيه كقولهم في طوَيشفات السمك أو في رتبها مثلاً ما ترجمته غضروفيات الزعانف ، ولينات الزعانف ، وشائكات الزعانف ، ومزدوجات التنفس ، والعظميات أو كاملات العظام الخ .

وكقولهم في رتب طائفة الحشرات ما ترجمته رتبة مغمدات الأجنحـة ، وغشائيات الأجنحة ، وحرشفيات الأجنحة ، ومستقيمات الأجنحة ، وذوات الجناحين ونصفيات الجناح وغيرها .

ومثل ذلك في شعب النبات وطوائفها ، كقولنا مثلاً شعبة الزهريات ، وشعبة اللازهريات . وفي الشعبة الأولى كاسيات البزور ، وعاريات البزور . وفي كاسيات البزور أحاديات الفلقة وذوات الفلقتين . وفي عاريات البزور رتبة السيكاسيات ورتبة الصنوبريات وغيرهما .

وواضح من هذه الأمثلة القليلة في الحلقات العليا من تصنيف الحيوان وتصنيف النبات أنه لا مجال بذكر للتعريب ، وأن ترجمة الألفاظ بمعانيها هو المجال الأوسع . فأنا لا أتصور أستاذاً يلقي الدروس بلغتنا العربية ويقول لطلابه مثلاً :

« تقسم طائفة السمك طويئفات ورتباً منها : الكُنْدُرُوبتارِيجيان ، والالاكوبتاريجيان ، والأكتنوبتاريجيان ، بدلاً من غضروفيات الزعانف ، ولينات الزعانف ، وشائكات الزعانف .

أو يقول لهم مثلاً :

« من رتب الحشرات : الكوليوبتيرات ، والنفروبتيرات والأرطوبتيرات ، بدلاً من مُغْمَدات الأجنحة ، وعَصَبِيات الأجنحة ، ومستقيمات الأجنحة وهكذا .

ولا أتصور في علم النبات أستاذاً يقول لطلابه مثلاً :

« تقسم الأنجيوسبرمات قسمين : المونوكوتيلودونات ، والديكوتيلودونات ، بدلاً من قوله تقسم كاسيات البزور قسمين ، أحاديات الفلقة ، وذوات الفلقتين .

من الطبيعي أن توضع في التعليم العالي الألفاظ العلمية الأعجمية بين قوسين الى جانب الألفاظ العربية . أما الاكتفاء بالألفاظ الأعجمية المعربة وحدها فمعناه عجز العربية عن أن تتسع لألفاظ الحلقات العليا من تصنيف المواليد . وهذا العجز في الحقيقة لا وجود له . وايجاد الألفاظ العربية هو في هذا الباب ضرورة لا غنى عنها . وهذه الألفاظ العربية لا تحول دون ذكر الألفاظ العلمية في التعليم العالي وفي كتب المواليد المسهبة .

ومن الطبيعي أيضاً أنه لا مجال للنحت ولا للتركيب المزجي في ألفاظ تصنيف المواليد . فالمستجنيات أو المسجناحيات بدلاً من مستقيمات الأجنحة ، وغُضْرَعْنفيات بدلاً من غضروفيات الزعانف ، وأشباه هذه الرطانات المستهجنة التي يلجأ اليها بعض المؤلفين ، لا حاجة اليها البتة . وكلمتان هنا أصلح بكثير من كلمة واحدة نابية تشذ عن

التراكيب العربية ويستغلق فيها المعنى . والنحت اذا لم تدعُ الضرورة اليه شيء قبيح . ولا ضرورة للنحت في أسماء التصنيف . ومن جودة الرأي أن مجمعنا الموقر لا يلجأ الى النحت إلا قليلاً جداً ، وأنه يراعي الذوق والضرورة جميعاً في كل منحوت يضعه أو يقبله .

وإذا هبطنا في سلسلة التصنيف من الرتبة الى الفصيلة نجد أن معظم أسماء الفصائل الحيوانية والنباتية منسوبة الى أسماء حيوانات أو نباتات بارزة أي تبرز فيها أهم صفات الفصيلة . فالحيوانات والنباتات التي لها أسماء عربية قديمة أو حديثة تكون أسماء فصائلها عربية ، أما التي لها أسماء مُعَرَّبة فتكون أسماء فصائلها معربة . فلا مجال إذن لقول بعضهم بتعريب أسماء الفصائل كافةً لأنها على حد قولهم جزء من تصنيف عالمي عام . فنحن نقول مثلاً : في رتبة اللواحم الفصيلة الكَلْبِيّة والسَّنّورية والضبعية والزَّبادية والسُّمّورية والدبية . ونقول: في رتبة القوارض الفصيلة الفأرية والسنجابية والخلدية والقُنْفُذية واليربوعية والأرنبية والشيهمية الخ . ولا يخطر في بال أحد منا تسمية هذه الفصائل بأسماء أعجمية ما دام لها أسماء عربية .

ومثل ذلك في النبات فنحن نقول مثلاً : إن من فصائل أحاديات الفلقة الفصيلة النجيلية والنخلية والزنبقية والقلقاسية والسحلبية وهلم جرا . أما في الفصائل المنسوبة الى أسماء معربة فنقول : الفصيلة السَّيْكاسية والصقلابية والقرَنْقسية والفارِيقُونية وأشباهها من المعربات .

وهنا أيضاً يفيد في التعليم العالي وضع الأسماء الأعجمية للفصائل الى جانب أسمائها العربية أو المعربة ولا يجوز الاقتصار على الأسماء الأعجمية .

وحكم القبائل الحيوانية والنباتية كحكم الفصائل .

أما موضوع الأجناس والأنواع فلعله بيت القصيد في هذا البحث الموجز .

فمن المعروف أن أجدادنا العرب جهلوا عدداً كبيراً من النباتات ، وأن الأسماء العلمية للأجناس النباتية هي من حيث أصولها قسمان : قسم سمي بأسماء أعلام كأسماء علماء أو ملوك أو أمراء أو حكام أو آلهة من آلهة القدماء أو مُدُن أو كُوَر أو أقطار من الأرض . فمن الأمور التي لا اختلاف فيها أن هذه الأسماء تعرّب اذا لم يكن لها اسم عربي . أما اذا كان لأحدها اسم عربي صحيح أو مولد أو عامي سائغ مشهور فهو يسمى به . فالزهرة المبذولة في القاهرة والتي تسمى دَهْلية Dahlia مثلاً قد وُضع اسمها على اسم عالم نباتي سويدي اسمه دهل . وقد أطلق عليها هذا الاسم تنويهاً بفضل هذا النباتي وتخليداً لاسمه . وليس عندنا اسم عربي لهذا الجنس النباتي . فقصارانا إذن تعريبه .

أما مثل الجنس النباتي المسمى علمياً غُنْدَاليا Gundelia ، فهو على اسم أحد العلماء . وقد كان من الواجب الاكتفاء بتعريبه . ولكن لهذا الجنس النباتي اسماً عربياً مشهوراً (في الشام) ومذكوراً في التاج وفي المفردات وهو العكّوب . فلا يجوز أن نهمل حتى في الكتب المسهبة الاسم العربي لهذا البقل الشائع ، اكتفاء بالاسم العلمي المعرّب ، كما لا يجوز في الكتب المطولة إلا ذكر الاسم المعرب الى جانب الاسم العربي .

ومثل ذلك يقال في الجنبة التي تسميها العامة في مصر والشام « الجَهَنَّمِيَّة » وهي على ما تعلمون مبذولة في حدائق بيوت القاهرة . فاسم الجنس العلمي لهذا النبات هو بُوغَنفيلية Bougainvillea وهو من اسم مدينة في أسترالية . وقد أطلقت العامة عليه اسم الجهنمية للون الزهر الناري المتأجج في أنواعه . وذوق العامة في هذه التسمية سليم وإن لم يرَ أحد منا نار جهنم !

أما القسم الثاني من الأسماء العلمية للأجناس النباتية ــ وهو الأكثر عدداً ــ فهو يشتمل على أسماء اشتُقّت أو اقتُبست من اليونانية أو اللاتينية ودلت على صفات بارزة لأجناس تلك النباتات .

فأجناس هذا القسم التي لها أسماء عربية يكون من الطبيعي أن نسميها بتلك الأسماء في جميع كتبنا ، سواء أكان الاسم العربي كلمة واحدة كالقمح والشعير والخردل والحُمّاض والخُزامى والزنبق والورد وغيرها ، أم كان الاسم مؤلفاً من كلمتين كلسان الثور وآذان العنز وجوز الطيب وأشباه ذلك .

أما الأجناس النباتية لهذا القسم التي لم يعرفها القدماء منا وليس لها أسماء عربية ، فالقاعدة التي أرى اتباعها في وضع أسماء عربية أو معربة لها تتلخص بما يلي :

أولاً : اذا كان لاسم الجنس العلمي معنى قابل للترجمة في كلمة عربية واحدة تُرجم بمعناه مثل جنس الزهر المسمى فُلُوكْس Flox فترجمته بالعربية القَبَس ؛ وجنس النبات المسمى كَمْبَانُولا Campanula فهو الجُرَيس ؛ والجنس المسمى آرِناريا Arenaria فهو الرَّمْلِيَّة وهكذا .

وهذه الأسماء العربية أقرب الى أفهامنا من الأسماء الأعجمية . ومع هذا يمكن في التعليم العالي خاصةً إضافة الاسم الأعجمي الى جانب الاسم العربي .

ثانياً : اذا لم يكن من المستطاع ترجمة اسم الجنس العلمي بكلمة عربية واحدة أرجح تعريب ذلك الاسم . فالشجر الذي سموا جنسه لِبْتُسْبَرْمُون Leptospermum مثلاً إذا تُرجم اسمه الى العربية وجب أن يكون ذلك الاسم العربي « رقيقة البزور » . ومثل ذلك اسم شجر التزيين المسمى متروسيداروس Metrosideros فمعناه « القلب الحديدي » . وأعتقد أن التعريب في مثل هذه الأسماء الكثيرة أصلح من الترجمة إجمالاً .

وإذا هبطنا في حديثنا من الألفاظ العلمية للأجناس النباتية الى الألفاظ الدالة على الأنواع النباتية نجد أن ألفاظ الأنواع هذه لا تحتمل التعريب بتاتاً ، لأن معظمها (إن لم أقل كلها تقريباً) نعوت وصفات قابلة للترجمة . وكلها

تترجَم ترجمة باللغات الأوربية . ومن واجبنا مجاراة الأوربيين في ترجمتها . والعربية تتسع لها جميعاً من دون أن يكون في ذلك انحراف عما هو متَّبع في مختلف اللغات .

فالفرنسي مثلاً يترجم اللفظ اللاتيني الدال على النوع وهو ألبا Alba في Rosa alba فيقول Rosier blanc أي الورد الأبيض ، ولا يقول Rosier alba . ويقول في نوع الورد الأصفر Rosier à fleurs jaunes ولا يقول Rosier lutea . ويقول في نوع الزنبق الزعفراني Lis safrané ولا يقول Lis croceum . واذا ذكر أنواع الخزامى مثلاً يسمي نوع الخزامى العطرة بقوله Lavande odorante لا L. fragrans ويسمي الخزامى الهجينة بقوله L. bâtarde لا L. hybrida .

وهكذا يترجم الفرنسي بلسانه جميع الألفاظ اللاتينية الدالة على الأنواع النباتية مثلما نترجمها نحن بمثل قولنا الأبيض في نوع الورد الأبيض ، والعَطِرة في نوع الخزامى العطرة الخ .

ومن الواضح أنه لا مجال في هذا الباب للتعريب ، خلافاً لما يذهب اليه بعضهم . فأنا لا أتصور كيف يمكن تعريب الألفاظ العلمية الدالة على الأنواع النباتية وكلها كما قلت نعوت أو صفات . أنقول في نوع القمح القاسي مثلاً القمح الدُّورُم ، أم نقول في حدود المنطق القمح القاسي ترجمةً لدورم اللاتينية ؟ وهل يجوز أن نذهب إلى أبعد من ذلك فنعرب اللفظ الدال على الجنس واللفظ الدال على النوع جميعاً فنقول تريتيكوم دُورُم بدلاً من القمح القاسي ؟ وعندئذ لا تبقى لنا لغة عربية ، وما على مدارسنا وجامعاتنا في هذه الحال الا أن تعلّم أبناءنا علوم المواليد الثلاثة بلغات أعجمية ! وما علينا نحن في هذا المجمع أو في مجمع دمشق الا أن نستريح من عناء العمل على جعل لغتنا تتسع للتعليم العالي في علوم المواليد

على الأقل! وعلى زميلنا الدكتور المنتصر [1] أن يعد نفسه رجلاً خيالياً مذ بدأ يدرّس علم النبات بالعربية في كلية العلوم!

وأدنى حلقة من حلقات تصنيف المواليد هي حلقة السلالات والأصناف (الضروب). فألفاظها مختلفة قد تكون نعوتاً أو أسماء أعلام أو أرقاماً أو حروفاً أو غير ذلك. فالنعوت والأرقام كثيراً ما تترجم. أما البقية فهي تستعمل في مختلف اللغات على حالها أي كما ينطق بها في لسان البلد الذي نشأت فيه تلك السلالات وتلك الأصناف. فالفرنسي مثلاً ينقل الى لسانه أصناف القطن المصرية كما وردت بلساننا فيقول: أشموني Achmouni ومعرض وكرنك وجيزة الخ. ومثل ذلك يقول في أصناف المشمش الشامية: حموي Hamoui وبلدي وكلابي وعجمي ولوزي وتدمري وهكذا. ويقول في سلالات الحمير عندنا: حمار بلدي وحصاوي وقبرصي الخ. ولا ضرر أن نحذو حذو الغربيين في تسمية الأصناف والهجن النباتية والسلالات الحيوانية في العالم مما نحتاج الى ذكره في كتبنا العلمية.

وخلافاً لما يظن بعض الأساتيذ لا يوجد في تصنيف المواليد تباعد أو تغاير بين اللغة العلمية وما يسمونه لغة عامة أو لغة أدبية. فعندما كشف النقاب عن القارة الأميركية مثلاً ونقل البطاطس منها الى أوربة سماه الفرنسيون Pomme de terre أي تفاح الأرض. وما برحوا يستعملون هذا الاسم في جميع كتبهم الموجزة والمسهبة على السواء. ولا يضمون الى جانبه الاسم العلمي وهو: Solanum tuberosum الا في كتب التعليم العالي. وهم في هذا الاسم الفرنسي وفي عدد كبير من أمثاله لا يميزون في التسمية لغة علمية من لغة عامة أو أدبية، ولا يهملون ألفاظهم الفرنسية حتى العامية منها مهما يكن بينها وبين الألفاظ العلمية من تباين في النطق أو في المعنى اللغوي.

---

(١) هو الدكتور عبد الحليم منتصر من أساتذة النبات البارزين ومن أعضاء مجمع اللغة العربية.

وأرى أن نقتدي بهم وبسائر الشعوب المتحضرة الحريصة على لغاتها ، فنلخص حديثنا هذا في ألفاظ تصنيف المواليد الثلاثة بالقواعد الآتية ، وهي الراجحة في نظري :

الأولى : ترجمة الألفاظ العلمية بمعانيها هو المجال الأوسع في حلقات التصنيف العليا وهي الشُّعَب والطوائف والرُّتَب .

الثانية : أسماء الفصائل والقبائل النباتية تكون عربية أو معرَّبة على حسب اسم النبات الذي تُنسب اليه .

الثالثة : أجناس المواليد التي ليس لها أسماء عربية تعرّب أسماؤها العلمية اذا كانت منسوبة الى أعلام ، وتترجم بمعانيها اذا أمكنت ترجمتها في كلمة عربية واحدة سائغة ، وإن لم يكن ذلك ممكناً رُجع تعريبها .

الرابعة : لا مجال للتعريب في الألفاظ العلمية الدالة على أنواع النبات لأن جميع هذه الألفاظ أو معظمها نعوت أو صفات تترجَم ترجمة في جميع اللغات الحية .

الخامسة : يوجد مجال للترجمة والتعريب جميعاً في الألفاظ الدالة على السلالات وعلى الأصناف (الضروب) .

السادسة : لا مجال للنحت ولا للتركيب المزجي في تصنيف المواليد ولا حاجة اليها . وفي رأيي أن اللجوء اليها في هذا الباب تشويه للغة العربية .

ومن الواضح أن هذه القواعد الخاصة لا تتعارض هي والقواعد العامة الصائبة التي أقرها المجمع منذ تأسيسه الى الآن .

هذا ما رأيت عرضه على الزملاء الأفاضل . ورأيهم الموفّق للصواب . ثبت الله أقدامنا جميعاً في خدمة لغة القرآن العزيز ولغة قوميتنا العربية[1] .

مصطفى الشهابي

---

(١) ذكرنا في باب الآراء والأنباء القرار الذي اتخذته لجنة الأحياء والزراعة في مجمع اللغة العربية ، وأقره المجمع في دورته السادسة والعشرين .

الشعر العربي

والمذاهب الأدبية في الغَرْب[1]

نظم الشعر في اللغة العربية فن مستقل بذاته بين الفنون التي عُرفت في العصر الحديث باسم الفنون الجميلة ، وتلك مزية نادرة جداً بين أشعار الأمم الشرقية والغربية ، خلافاً لما يبدر الى الخاطر لأول وهلة . فان كثيراً من أشعار الأمم تكسب صفتها الفنية بمصاحبة فن آخر ، كالغناء أو الرقص أو الحركة على الإيقاع . ولكن النظم العربي فن معروف المقاييس والأقسام بعد استقلاله عن الغناء والرقص والحركة الموقعة ، فلا يصعب تمييزه شطرةً شطرة بمقياسه الفني من البحور والأعاريض الى الأوتاد والأسباب .

وليست هذه خاصة من خواص اللغات السامية أخوات العربية . فاننا اذا أخذنا سطراً على حدة من قصيدة عبرية لم نستطع ان ننسبه الى وزن محدود أو مقياس متفق عليه ، ولا بد من اقترانه بسطور أخرى يتم بها الإيقاع ولا تطرد في قول كل شاعر ولا في سطور كل قصيدة ، فهو والفاصلة النثرية التي يمكن أداؤها بالغناء أو بالإيقاع على حركة الرقص ، متساويان .

ومن الشعر الغربي ما يعرف كل سطر منه بعدد من المقاطع والنبرات ولكنه بغير قافية تنتهي اليها هذه السطور .

---

(١) بحث ألقاه الاستاذ المشهور عباس محمود العقاد في الدورة السادسة والعشرين (١٩٥٩ ـ ١٩٦٠) لمؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ووافق على نشره في مجلة المجمع العلمي العربي . والاستاذ العقاد ، في مجمع القاهرة ، من قدماء الاعضاء العاملين ، وفي مجمع دمشق ، من قدماء الاعضاء المراسلين .

أما ضروب النظم التي تُلتزم فيها القافية فكلها في نشأتها كانت تغنّى أو تُنشد على إيقاع الرقص ، ثم استقلت بأوزانها المحدودة على نحو مشابه للأوزان العربية ، وهي الموشحات التي اشتهرت عندهم باسم « استانزا » أو اسم « سونيت » ويدل كلا الاسمين على أصلها من الرقص والغناء . . . فان استانز كلمة ايطالية بمعنى الوقوف تقابلها ستاند Stand بالإنجليزية ، وسونيت Sonnet من كلمة سونج Song بمعنى الغناء .

فالشعر الذي لا يُضبط بالوزن أو بالقافية موجود في اللغات السامية واللغات الآرية ، وبعضه لا يزيد الإيقاع فيه على الموازاة بين السطور بغير ضابط متفق عليه ، وبعضه يُضبط فيه الإيقاع بعدد المقاطع والنبرات ، ولا ينتهي الى قافية ملتزَمة في القصيدة أو المقطوعة الصغيرة .

إنما الوزن المقسم بالأسباب والأوتاد والتفاعيل والبحور خاصةٌ عربية نادرة المثال في لغات العالم . وكذلك القافية التي تصاحب هذه الأوزان .

ومرجع ذلك الى أسباب خاصة لم تتكرر في غير البيئة العربية الأولى : أهمها سببان : هما الغناء المنفرد ، وبناء اللغة نفسها على الأوزان .

فالأمم التي ينفرد فيها الشاعر بالإنشاد تظهر القافية في شعرها ، لأن السامعين يحتاجون الى الشعور بمواضع الوقوف والترديد ؛ ولكن الجماعة اذا اشتركت في الغناء لم تكن بها حاجة الى هذا التنبيه ، لأن المغنين جميعاً يحفظون الغناء بفواصله ولوازمه ومواضع النبر والترديد في كلماته وفقراته ، فينساقون مع الإيقاع بغير حاجة الى القوافي عند نهاية السطور ، وانما تنشأ الحاجة الى القافية ، أو وقفة تشبه القافية عند تفاوُت السطور وانقسام القوم الى منشدين ومستمعين .

يقول العلامة جلبرت موري ـ وهو من ثقات البحث في الأوزان والأعاريض ـ « إن إحدى نتائج هذا الاختلاف زيادة الاعتماد على القافية في اللغات الحديثة .

ففي اللغتين اللاتينية واليونانية ينظمون بغير قافية لأن الأوزان فيها واضحة، وإنما تدعو الحاجة الى القافية لتقرير نهاية السطر وتزويد الأذن بعلامة ثابتة للوقوف، وبغير هذه العلامة تثقل الأوزان وتغمض ولا تستبين للسامع مواضع الانتقال والانفصال، بل لا يستبين له هل هو مستمع لكلام منظوم أو كلام منثور. وقد اختلف الطابعون عند طبع الكتب هذا الاختلاف في بعض المناظر المرسلة من كلام شكسبير، فحسبها بعضهم من المنثور وحسبها الآخرون من المنظوم. ومما يلاحظ أن اللاتين اعتمدوا على القافية حين فقدوا الانتباه الى النسبة العددية ... وأن الصينيين يحرصون على القافية لأنهم يلتزمون الأوزان، وأن انتشار القافية في أغاني الريف الانجليزية يقترن بالترخص في أوزان الأعاريض».

ويستطرد الأستاذ موري الى الشعر الفرنسي فيقول: «إن اللغة الفرنسية حين رجع فيها الوزن الى مجرد إحصاء المقاطع، وأصبحت المقاطع بين مطولة وصامتة ... نشأت فيها من أجل ذلك حاجة ماسة الى القافية، فصارت في شعرها ضرورة لا محيص عنها، ودعا الأمر الى تقطيع البيت أجزاء صغيرة ليفهم معناه».

ومن أسباب الاكتفاء بالوزن دون القافية في أشعار الغربيين سبب لم يذكره الأستاذ موري وهو غناء الجماعة للشعر المحفوظ كما تقدم.

فحيث شاعت أناشيد الجماعة قل الاعتماد على القافية وكثر الاعتماد على حركات الإيقاع ولو لم تكن متناسقة الوزن على نمط محدود، لأن الغناء بالكلام المنثور ممكن مع توازن الفواصل وموازاة السطور.

وأناشيد الجماعة قد شاعت بين العبريين لأنهم قبيلة متنقلة تحمل تابوتها في رحلتها وتنشد الدعوات معاً في صلواتها الجامعة، وفي هذه الدعوات ترانيم على وقع الدفوف كما جاء في الإصحاح الخامس عشر من سفر الخروج:

«أخذت مريم النبية الدف بيدها وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص . وأجابتهم مريم : رنموا للرب فانه قد تعظم ...» .

وكذلك شاعت بين اليونان أغاني المسرح التي ترجع في نشأتها الى الشعائر الدينية ، ثم انتقلت منها الى الأمم الأوربية .

ومما يؤيد الصلة بين غناء الفرد والتزام القافية أن شعراء الأمم الغربية الذين ينشدون قصائدهم للمستمعين قد لجأوا الى القافية والتزموا في مراعاتها أحياناً ما يلتزمه عندنا شعراء الموشحات .

أما البيئة العربية فلم تكن فيها قبل الإسلام صلوات جامعة منتظمة بمواعيدها ومحفوظاتها . وإنما كان الحداء هو الغناء الذي يصاحب إنشاد الشعر على بساطة كأنها بساطة الترتيل ، ينشده الحادي على انفراد ، وتصغي اليه القافلة أحياناً في هدأة الليل ، إذ يعتمد الحس كله على السمع في متابعة النغم الى مواضع الوقوف والترديد ، فتقفو النغمة النغمة على وتيرتها ، ويصدق عليها اسم القافية بجملة معانيه .

لهذا استقلّ النظم بحقه في الصنعة ، لأن هذه الصنعة لازمة لتمييزه مع الغناء ومع غير الغناء . فانتظمت قوافيه وانتظم ترتيله انتظاماً لا بد منه لكفايته ، مع بساطة أفانين الغناء .

وإذا التمسنا مدخلاً لفن الحركة الموقعة مع الحداء فهناك إيقاع واحد تتابعه في خطوات الإبل وفي خطوات الهرولة التي تصاحبها على القدم . والى هذا الإيقاع يرجع وزن الرجز على قصد وعلى غير قصد ، ومجيئه على غير قصد أدل على تمكن العادة وعلى أصالتها في الحياة البدوية .

أنا النبي لا كذب   أنا ابن عبد المطلب

* * *

هل أنت إلا إصبع دميتْ وفي سبيل الله ما لقيتْ

* * *

وقد تكون حركة المرونة في الطواف بالكعبة ملحوظة في كل دعاء مروي كيفما اختلف المختلفون في صحة الرواية ، كما قيل عن امرأة آخزم بن العاص حين نذرت ولدها للكعبة فقالت :

إني جعلت رب من بنيّه ربيطة بمكة العليه
فباركنْ ليَ بها اليّه واجعله لي من صالح البريه

فهكذا يفهم الناظم كيف تكون حركة الدعاء مع المرونة ، أيا كان صاحب النظم أو من ينسب اليه .

هذه المردّدات الفردية هي التي ميزت النظم العربي باستقلال فنه ووضوح قافيته وترتيله ، ولو وُجدت في الجاهلية العربية صلوات جامعة تُنشد فيها الدعوات المحفوظة لوُجدت فيها القصائد التي تمثل لنا حياتهم الدينية وحياتهم الاجتماعية ، أما من أناشيد الصلاة كما عرفها العبرانيون ، أو من أناشيد المسرح كما عرفها اليونان . ولكننا نعرف العرب من قصائدهم الفردية كما نعرف الأمم الأخرى من أمثال تلك القصائد ، فلا يفوتنا منها غاية ما تدل عليه .

هذا سبب من أسباب تلك الظاهرة النادرة التي ظهرت لنا في القصيدة العربية ، وكانت نادرة بين الأمم السامية والأمم الآرية على السواء .

أما السبب الآخر فهو أصالة الوزن في تركيب اللغة ، فالمصادر فيها أوزان ، والمشتقات أوزان ، وأبواب الفعل أوزان ، وقوام الاختلاف بين المعنى والمعنى حركة على حرف من حروف الكلمة تتبدل بها دلالة الفعل ، بل يتبدل بها الفعل فيحسب من الأسماء أو يحتفظ بدلالته على الحدث حسب الوزن الذي ينتقل اليه .

هذه أصالة في موضع الوزن من المفردات والتراكيب لا يستغرب معها أن يكون للوزن شأنه في شعر هذه اللغة ، وأن يكون شأنها في نظم أشعارها على خلاف المعهود من منظومات الأمم الأخرى ، ولو صرفنا النظر عن أثر الإنشاد الفردي في تثبيت القافية واستقلال فن العروض عن فن الغناء في القصائد العربية .

نعم إن اللغات السامية تجري على قواعد الاشتقاق وتوليد الأسماء من الأفعال ، ولكن المقابلة بين هذه اللغات في أقسام مشتقاتها وتفريع الكلمات من جذورها تدل على تمام التطور في قواعد الأوزان العربية وعلى نقص هذه القواعد أو التباسها في أخواتها السامية ، بل تدل في باب الإعراب خاصة على تفصيل في العربية يقابله الإجمال أو الإهمال في أخواتها ، وفي غيرها من اللغات الآرية التي دخلها شيء من الإعراب .

* * *

وواضح مما تقدم أننا قصرنا القول على النظم من حيث هو أوزان عروضية أو قوالب تحتوي الكلم المنظوم فيها .

فهذه القوالب هي التي تطورت في اللغة العربية فأصبحت فناً مستقلاً بمقاييسه عن فن الغناء أو فن الحركة الموقعة ، أما الكلام المنظوم في تلك القوالب فهو عمل يمتد مع الزمن يأتي فيه كل عصر بما هو أهله من الإبداع أو الزيادة أو المحاكاة ، وإنما نعود الى القوالب والأوزان في كل عصر لنسأل : هل هي صالحة لأداء المقاصد الشعرية ومجاراة الأمم في تطورها الذي يمتد مع الزمن على حسب حالاتها من الشعور والفهم والقدرة على الأداء ؟ وهل تتسع للتعديل اذا وجب التعديل للوفاء بمطلب جديد من مطالب التعبير ؟

إن تجاوب العصور الماضية تجلى عن صلاح القوالب العروضية لمجاراة أغراض

الشعر في أحوال كثيرة ؛ ويبدو منها أن أساس العروض العربي قابل للبناء عليه بغير حاجة الى نقضه وإلغائه . فقد كانت بضعة بحور من أوزان الشعر كافية لأغراض الشعراء في الجاهلية ، أشهرها الطويل والكامل والوافر والخفيف ، ثم نشأت من أوزانها مجزوءات ومختصرات صالحة للغناء حين استحدثت الحاجة اليه في الحواضر العربية التي عرفت الغناء على إيقاع الآلات ، ثم اتخذت من هذه البحور أسماط وموشحات وأهازيج تتعدد قوافيها مع اختلاف مواقعها وتطول فيها الأشطر أو تقصر مع التزام قواعد الترديد فيها . واختار بعض الشعراء نظم المثاني أو المزدوجات ، وبعضهم نظم المقطوعات التي تجتمع في قصيد واحد متعدد القوافي ، أو تتفرق وتتعدد بأوزانها مع توحيد الموضوع ، ولما نقلت الألياذة اليونانية الى النظم العربي لم تضق بها أوزانه ، ولم يظهر سياق الترجمة أن هذه الأوزان قاصرة على التنويع فيها على نمط غير هذا النمط لمن يشاء التنويع ؛ واستجابت الأوزان لمطالب المسرح ، كما استجابت للملحمة المترجمة ولما يشبهها من القصائد التاريخية المطولة .

وقد أفرد الموسيقار المصري الأستاذ خليل الله ويردي فصلاً وافياً في كتابه فلسفة الموسيقى الشرقية لبحث التوزين والإيقاع وتطبيق العروض العربي على الضوابط الموسيقية فانتهى من بحثه الى إمكان التنويع في الأوزان العروضية واستطاعة الموسيقي والشاعر أن « يفتتح أشكالاً غير محدودة من أشكال الموازين ، واعتمد في تجاربه على الجهاز الفني المسمى بالمترونوم وهو « صندوق صغير من الخشب هرمي الشكل يفتح من إحدى جهاته الأربع فينكشف عن قضيب معدني مقسم بخطوط ، وعليه ثقل متنقل يحدث حركة متساوية . . . فيقسم الدقيقة الواحدة من الزمن الى نقرات بين أربعين ومائتين وثمان ، فيمثل الحد الأدنى النقرات المتناهية في البطء ، ويمثل الحد الأعلى النقرات المتناهية في السرعة » . . . ولم يلجأ الموسيقار الى وحدات النغمات غير وحدات الفواصل

والأوتاد والأسباب التي يستخدمها العروضيون ، ولم يجعل لها أقساماً غير أقسامهم المعروفة كالسبب الخفيف والسبب الثقيل ، والوتد المقرون والوتد المفروق ، والفاصلة الصغرى والفاصلة الكبرى . وإنما استخدم الضوابط الموسيقية لبحث الموضوع بمصطلحات فنه ، وترك مجال بحثه للعروضيين يتفاهمون فيه بمصطلحاتهم التي لا تحتاج الى التخصص أو التوسع في فنون الألحان . فخلص من بحوثه الموسيقية والعروضية معاً الى نتيجة محققة خلاصتها — كما قال — أن أشكال الموازين الشعرية غير محدودة أو أن حدودها — على ما نرى — أشبه بحدود الكلمات التي تتألف من الحروف الأبجدية ، على حين أن الحروف الأبجدية قلما تزيد على الثلاثين .

فاذا نظرنا الى ما تم من أشكال العروض ، وما يتأتى أن يتم منها مع التنويع والتوزين ، ثبت لنا أنها قائمة على أساس صالح للبناء عليه وتجديد الأنماط والأشكال فيه ، على نحو يتسع لأغراض الشعر ولا يلجئنا الى نقض ذلك الأساس .

وهذا كله مع التسليم بداهةً بالتفرقة بين الكلام المنثور والكلام المنظوم في السهولة أو الصعوبة ، فان التسهيل المطلوب لفن من الفنون كائناً ما كان ينبغي أن ينتهي عند بقاء الفن فناً مقرر القواعد والمقاييس ، وما جهل الناس قط أن الكلام أسهل من الغناء ، وأن المشي أسهل من الرقص ، وأن الحركة المرسلة أسهل من الحركة الرياضية ، ولم يكن ذلك قط مسوّغاً للاستغناء بالكلام عن فن الغناء ، أو بالمشي عن فن الرقص ، أو بتحريك الأعضاء بغير هدى عن أصول الحركة الرياضية أو الحركة في ألعاب الفروسية ، فمهما يكن من تيسير الأوزان بالتنويع والتوفيق فلا مناص في النهاية من التفرقة بينها وبين الكلام المرسل في سهولة الأداء ، وإنما المطلوب أن تكون فناً سهلاً وليس المطلوب مجرد السهولة التي تخرجها من عداد الفنون .

ولا بد في هذا السياق من تفرقة أخرى هي التفرقة بين القواعد والقيود في كل فن من الفنون ، فلا سبيل الى الاستغناء عن القواعد في عمل له صفة فنية ، ولا ضرر من الاستغناء عن القيود التي تعوق حرية الفن ولا يتوقف عليها قوامه الذي يسلكه في عداد الفنون .

ومن تجاربنا في تاريخ الشعر العربي يتبين لنا أن قواعد النظم عندنا مؤاتية للشاعر في كل تصرف يلجئه اليه تطور المعاني والتعبيرات في مختلف البيئات والأزمنة . فلا موجب للفصل بين قواعد النظم وأغراض الشعر في تجربة من التجارب العربية التي وعيناها منذ نشأت أوائل الأوزان الى أن بلغت ما بلغته في منتصف هذا القرن العشرين .

ذلك شأن التجارب العربية ، فما بال التجارب في أمم الحضارة التي تتصل بنا وتصل بها وتبادلنا مطالب الفنون والآداب كما يحدث الآن بيننا وبين أمم الحضارة الغربية ؟ ماذا تفرض علينا هذه الثقافة المتبادلة في ميدان النظم والشعر على اتصال بينهما أو على انفراد ؟

أما في النظم فلا خفاء بالأمر من أيسر نظرة الى آدابنا وآداب الأمم الغربية التي تتصل بها في العصر الحديث .

فما لا تردد فيه أن هذه الأمم لم تبدع في موازين النظم بدعاً نستفيده منها ، ولم نكن قد سبقناها اليه في عصر من عصورنا ، فاذا التزموا الأعاريض معتدلين أو مبالغين فليس عندهم ما هو أدق وأجمل من الموشحة في أوزانها التي تقبل التنويع والتشجير الى غير نهاية ، والتي يعتبر تعدد القافية فيهـا تدحة وزينة في وقت واحد . فان اطلاق الحرية للشاعر في توزيع القوافي حيث شاء يوشك أن يعفيه من قيودها كما يزيد الايقاع جمالاً على جمال .

ولم يبدع الأوربيون — حتى في شعر المسرحيات الملحنة — فناً من الأناشيد أتم من الموشحة وأصلح منها للتلحين وحركة الايقاع .

فإذا ترخص الشاعر الغربي في القواعد فأسقط القافية واختار الوزن الذي يسمونه بالنظم الحر أو النظم الأبيض فجهد ما بلغوا اليه أنهم عادوا الى الأسطر المتوازية أو الى الاكتفاء بالمقاطع التي لا تبلغ في دقتها مبلغ الأسباب والأوتاد والفواصل ، وكل أولئك طور من الأطوار التي تخطاها الشعر العربي في الأزمنة الماضية أو سبقتهم اليه أمة من الأمم الشرقية وتوقف بهما التطور عنده ، لارتباطه بالتقاليد الدينية .

فليس عند الغرب من فنون النظم جديد نأخذه منه في أبواب التوزين والتنويع .

ليس في فن النظم جديد نأخذه من الأعاريض الغربية لم تكن عندنا أصوله العريقة ، ولم تكن عندنا أصوله وفروعه أو جذوره وأغصانه على حد تعبير « الموشحين » .

لكن الأمر يختلف كثيراً في الكلام على « الشعر » أو الكلام على الأدب ومدارسه ومذاهبه ودعواته التي تجيش بها الحياة الغربية في كل حقبة ، ولا تتميز منها دعوة واحدة دون أن يتميز لها حكم خاص بالشعر يتناوله قبل أن يتناول غيره من الفنون الجميلة ولا سيما فنون التعبير .

هذه المذاهب الشعرية تعنينا كما تعنيهم وتمتد بآثارها الى أقوالهم وأفعالهم كما تمتد الى أقوالنا وأفعالنا . لأنها من أطوار الحياة التي لا تنحصر في دوائر الفن ولا في أدوار الثقافة على إطلاقها ، وإن يكن مظهرها الثقافي هو الجانب الذي يشتغل به النقاد والمؤرخون في ميادين الفنون .

هذه الدعوات أوسع نطاقاً من أن يحاط بها في مقال . ولكنها تقترب من الحصر المستطاع اذا جمعناها في أدوارها الإنسانية العامة التي توشك أن تكون أمواجاً دورية في هذا المحيط الزاخر إذ هي عالقة بطبيعة الإنسان في جملتها ، وطبيعة الإنسان واحدة كما قيل في كل زمان ومكان .

ونحن نعلم أن أبقراط حصر الطبائع الجسدية في أربعة أمزجة ، وهي المزاج الدموي والمزاج الصفراوي والمزاج البلغمي والمزاج السوداوي . ثم جاء العلامة بافلوف ـ بعد تقسيم خصائص الأجسام بين المرموقات وعاثلات الدم وودائع الوعي الباطن والوعي الظاهر أقساماً لا تنفد ولا تحصى ـ فعاد الى الأمزجة الابقراطية تيسيراً للفوارق العامة وجعلها أساساً لتجاربه النفسية التي تعد الى هذه الساعة من أحدث تجارب العلماء .

فنحن على هذه الوتيرة نقسم الذوق الفني في الإنسان الى أقسامه الخالدة حين نقول : إن الناس كانوا منذ فطروا واقعيين وخياليين ، ومحافظين على القديم وطلاباً للجديد ، أو إنهم كانوا إذا اكتفينا بقسمتهم الى قسمين اثنين : صنفاً يمشي في وسط القطيع وصنفاً ينزع الى الأطراف ، أمام ووراء وعلى كلا الجناحين من اليمين واليسار ، وقد تفكه بعض العلماء الجادين فأطلق على الصنف الأول اسم فريق الضأن وعلى الصنف الثاني اسم فريق المعز . . .

ونرى من تاريخ الأمم الغربية منذ ملكت حرية التفكير أنها دارت دورتها بين مذاهب الأدب خلال القرون الثلاثة الأخيرة ، وأنها نزعت في دعواتها المتعاقبة كل نزعة طبيعية تستلزمها أطوار الحياة بعد عصر الجمود والتقليد .

ففي فترة اليقظة الأولى كان من الطبيعي أن ينزع الإنسان الى استقلال « الشخصية الإنسانية » في وجه التقاليد المطبقة والقيود العتيقة والأحكام التي تطاع بغير فهم ، بل بغير شعور في أكثر الأحوال . وهذه النزعة هي التي سميت بنزعة الإبداع و « الحرية الشخصية » Romanticism .

ومن الطبيعي أن ينتهي هذا الإبداع من كل جانب على غير هدى متفق عليه ، الى شيء من الفوضى والشرود يستحب معه التوقف الى حين . وهنا ظهرت دعوة العود الى الاتباع والاطراد على نحو جديد يناسب مطالب الزمن ، فنشأت من ثم دعوة الاتباع أو الاطراد الجديد New Classicism .

وإذا حكم اختلاف الطبائع حكمه بين أنصار الواقع وأنصار الخيال فهنا مجال الاختلاف بين الواقعيين Realists والخياليين والمثاليين Idealists .

وقد يظهر هذا الاختلاف في صورة أخرى بين الطبيعيين Naturalists وبين الفنيين أنصار الفن للفن Art for arts Sake .

ونقول إن الواقعيين والطبيعيين متقاربون لأنهم جميعاً من أنصار الواقع ، وإنما ينفرد الواقعيون بمحاربة النزعات الخيالية وينفرد الطبيعيون بمحاربة النزعات الصناعية : نزعات الإغراق في التزويق والتنسيق . واذا اقترقت هذه المذاهب جميعاً في عصر من عصور النهضة العلمية فالانقسام بينها يؤول في هذه الحالة الى قسمين : قسم تغلب عليه الصبغة العلمية وقسم تغلب عليه الصبغة الفنية ، ويتسع كل قسم منها لكثير من الآراء وأشتات من الأساليب .

ولا جدوى من متابعة العناوين التي تنتهي في الغرب بصيغة النسبة المذهبية (Ism) فانها تنطوي جميعاً في هذه الدعوات ويحيط كل منها بعالم من الآراء والأسباب ، ولكننا نجمعها في حدودها الواسعة اذا حجبنا منها الرومانتيزم والنيوكلاسيزم والريالزم والإيديالزم ، فلا يخرج من هذه المذاهب مذهب جاد يناط به عمل من أعمال البناء والإصلاح في عالم الفنون ، ولا تزال حتى اليوم وافية بأغراض البحث والمناقشة بين المختلفين على الفنون فيما يستحق الخلاف .

وعلى تعدد المذاهب والعناوين في الغرب لا نرى هنالك لبساً على الإطلاق بين المذاهب التي أشرنا اليها وبين عشرات المذاهب التي ينتحلها الدعاة على عجل منذ الحرب العالمية الأولى ، ويندر أن تعيش إحداها أو تستقل عن سواها بصفة من الصفات التي يتناولها التطبيق والتمييز .

فلا لبس على الإطلاق بين مذاهب الجد ومذاهب الهزل في الآداب الغربية ، فمذاهب الجد تدعو كلها الى البناء وتقوم بالبناء فعلاً ويعيش ما تبنيه ، ومذاهب الهزل لا تحدث بشيء غير الهدم والإلغاء : فلا لون ولا شبه ولا رسم ولا

قاعدة في التصوير ، ولا لفظ ولا معنى ولا منطق ولا مدلول في الشعر والنثر ، وإنه لمن الحظ الحسن أن تقصر هذه الدعوى عن الفنون التي ترتبط بها ضرورات المعيشة والاجتماع . فإنها لو تناولتها لسمعنا بفن المعمار الذي لا حجرات ولا جدران ولا حجارة ولا طلاء فيه ، وسمعنا بجامع الموسيقى التي لا تميز بين الضوضاء والألحان ، ولا محل فيها للمعازف والآلات !

من هذه المذاهب ما يطلق عليه اسم المستقبلية Futurism أو فوق الواقعية Surrealism أو الذئبية Fauvism ... بل منها ما يسمى بمدرسة التأتأة Dadaism ويقول أصحابه أنهم اختاروا له هذا الاسم من أول تأتآت الطفل Da Da وتطلق أحياناً على حصان الخشب ليسهل النطق به على ألسنة الأطفال . ومؤدى مذهب هؤلاء الدعاة أن التعبير الصحيح عن النفس الإنسانية إنما يرجع به الى صورة الطفولة ورموز الأحلام وخفايا الوعي الباطن كما تبدو للحالم في المنام أو كما يرسلها الناطق عفواً بغير تأمل وبغير انتباه !

ومن هؤلاء الملفقين للمذاهب من يختار اللفظة ويسأل عن معناها فيسخر من السائل لأنه يبحث عن المعنى ولا يكتفي بوقع اللفظة في الأذن أو من منظرها للعين القارئة . فمن عناوين مارينتي Marinetti إمام المستقبلية « Zang-tumb tuum زانج تمب تيام » ... ومن عناوين زميله أرديجوسوفيسي Bif § z + 18 ما لا يفهم ولا يترجم . وإنما هو مقابل عندنا لحرف الباء ثم الياء ثم الفاء ثم علامة موسيقية ثم زاي ثم علامة + ثم رقم ١٨) ...

وقد عقّب صاحب تاريخ الأدب الإيطالي على إمام هذه المدرسة فقال (إنه لم يجاوز حدود السخف في شعره ...) ، ولم يخلُ كلام المؤرخ من مجاملة ، لأن السخف معنى يوصف بالرداءة ، ولا معنى هنا ولا وصف لرديء أو غير رديء . (صفحة ٤٨٠ من كتاب تاريخ الأدب الإيطالي تأليف أرنست هاتش ولكنز Ernest Hatch Wilkins) .

* * *

ولا بد من وضع هذه الدعوات في موضعها من تاريخ الآداب الإنسانية الأوربية التي تظهر بينها . فما هو موضعها الصحيح ؟

موضعها الصحيح أنها تمثل جانب السخافة الذي لا بد أن يتمثل في بيئة يباح فيها القول لكل قائل والقراءة لكل قارئ ، ولا يخجل فيها العاجز عن عجزه ولا صاحب الحاجة من حاجته ، وهم جميعاً في غمرة من محن الحروب والفتن والقلاقل والآفات . فهل تخلو هذه البيئة من جانب سخافة في الأذواق والدعوات ؟ وأين هو هذا الجانب إن لم يكن هذا مظهره الذي يتمثل في صوت القنوت ؟

ولسنا نقول إن هذه السخافة جانب يُهمل ولا يُلتفت اليه ، فانها خليقة أن تُدرس كما تدرس عوارض الأمراض والعلل والنكبات ، ولكن البون بعيد جداً بين دراستها لهذا الغرض ودراستها للاقتداء بها واعتبارها من مدارس الفن والأدب ونماذج الذوق والجمال .

ولا تفوتنا في معرض الكلام على الشطط الفني ملاحظة وثيقة الصلة بموضوع الخلط الذي يقال عنه إنه هو الفن الصحيح أو إنه هو التعبير الصادق دون غيره عن الوعي الباطن والسريرة الإنسانية في أعماقها « اللامنطقية » على حد تعبيرهم المأثور .

فالخلط الماذر مذهب لم يخلقه دعاة « اللامنطقية » في القرن العشرين ، ولكنهم خلقوا شيئاً واحداً فيه لم يسبقهم أحد اليه ، وهو إطلاق العناوين العلمية عليه واستعارتها من دراسات التحليل النفساني أو من دراسات العلوم الطبيعية ، وقديماً وُجد في الشعراء والفنانين من يجنح به هواه أحياناً الى رفع الكلفة واطراح الحشمة والابتذال في اللفظ أو المعنى أو في كليهما ، فيسترسل في المذر واللغط كأنه في إجازة من « نفسه الفُضْلَى » كما يقولون ، ويُنسب الى هذه النزوات شعر المجانة والهزل وشعر الإباحة والجموح ، ويُنسب اليه كذلك ضرب من الشعر الذي يخيل الى الناس أنه محدثهم بالحكم والأمثال وهو في أسلوبه

الهازل ساخر بضروب الحكمة والمثل ، كما صنع ابن سودون اليشبغاوي (٨١٠ — ٨٦٨ هـ) في قصيدته البائية التي يقول فيها :

عجب عجب عجب عجب ... بقر تمشي ولها ذنب
ولها في بزبزها لبن ... يبدو للناس اذا حلبوا
لا تغضب يوماً إن شُتمت ... والناس اذا شُتموا غضبوا
من أعجب ما في مصر يُرى ... الكرم يُرى فيه العنب
والنخل يُرى فيه بلح ... أيضاً ، ويرى فيه رطب
زهر الكتان مع البلسا ... ن هما لونان ولا كذب
كيهود في دير خُلطوا ... بنصارى حركهم طرب

وأدخلُ من هذا في باب « اللامنطقية » مذهب من مذاهب الزجَل في اللغة الدارجة يعاقبون بينه وبين الأدوار المقصودة ، فيبدأون بالدور العاقل ويتبعونه بالدور المجنون الى نهاية الزجل ، ويُحفظ من هذه الأزجال كثير في مجموعات . هذا والأجيال القريبة من أمثلتها في كتاب ترويح النفوس لحسن الآلاتي زجل يقول فيه :

كسرتُ بطيخة رأيتُ العجب ... في وسطها أربع مداين كبار
وفي المداين خلق مثل البقر ... في كل واحدة أربع قواعي خصار
وفي القلاع أقوام طوال الذقون ... ودمعهم يجري شبيه البحار
من دمعهم تزرع نجوم السما ... في خنقة الشمش عديم المثال

وأحياناً يقسمون الأدوار الى دور صاح ودور سكران . أو يصوغون فيها المفارقات على ألسنة الصبيان كما يجري على ألسنة العامة :

ياليل ياعين معرفش أكتب ... والضفدعة شايلة مركب
وأبو قصاده ربها ... والقط الأعور حارسها

الى أشباه هذه « اللامنطقيات » المتواضعة التي يضعها أصحابها في مواضعها ويسمونها بأسمائها ولا تعدو عندهم أن تكون « منفساً » يستبيحونه الى حين ويعرضون به « اللامنطقية » في صورة فنية ، يعلمون ويعلم الناظرون اليها أنها من قبيل الصور الهزلية أو « الكاريكاتور » ولا يطلبون من الانسانية أن تحلها في محل فنونها وأن تنبذ المنطق في سبيلها .

فاذا كان لا بد من هذه اللامنطقية في الآداب العربية فعندها منها ما يغنيها ، ولها فيها مجال لا يخرج بالعقل من دائرة العقل ولا بالجنون من دائرة الجنون .

ومما نحمده من أطوار الشعر العربي الحديث أن هذه المذاهب لم يكن لها تأثير ثابت فيه ، وأنها تعرض له مع عوارض الزمن كما تعرض الأزياء والأفانين ثم تمضي لطيتها الى مصيرها العاجل بعد شهور ، ولا تطول حتى تُحسب بحساب السنين .

أما المذاهب التي كان لها أثرها المحمود فهي مذاهب الجد والبناء . فاننا إذا عرضنا الشعر العربي من أواخر القرن التاسع عشر الى أواسط القرن العشرين لم نخطئ أن نرى فيه أثراً جديداً لكل مذهب من المذاهب الواقعية أو المثالية أو الطبيعية أو الاطرادية الحديثة أو الابتداعية المتحررة . وقد تتراءى هذه المذاهب في أغراض الشعر كما تتراءى في أساليب الشعراء ، ومنها الأغراض التاريخية والاجتماعية والملاحم والمسرحيات والأغاني العاطفية والأناشيد القومية ، وكل مقصد من المقاصد التي ينظم فيها شعراء الغرب ، مع الفارق الذي يُحسب فيه حساب التقدم في الزمان كما يُحسب فيه الحساب لوفرة المحصول وسعة النطاق .

وعلى الجملة يتقدم الشعر عندنا ولا تعتريه النكسة أو الجمود ، إلا أنه يعاني من أطوار العصر ما يعانيه كل شعر في أنحاء العالم ، وذلك هو المشاركة القومية في ميدانه الأول . فهو الآن لا يستأثر وحده بميدان العاطفة والخيال ، بل تشاركه فيه الصور المتحركة والقصص المطولة والنوادر الموجزة ومناظر التمثيل

ومسموعات الإذاعة وأخبار الصحافة ومبدعات الفنون التي تيسرت لها أسباب العرض في الأندية والمنازل ومجامع الناس في كل مكان ، وليس من المنظور أن يُنشر الفن مع هذه المشاركة كما كان يُنشر وحيداً منفرداً بالميدان قبل بضعة قرون .

على أنها مشاركة عارضة يعمل فيها التخصص عمله ويطول الأمد أو يقصر في هذا العمل المتصل بغير قرار . فاذا عاد الشعر الى الاستقلال بمجاله بين الفنون فقد يعود اليه أقوى مما كان ، لأنه يكسب المزية التي لا مشاركة فيها ، ويكسب الأنصار الذين لا يستبدلون به سواه ، ويتلقى المدد منه . ولعله دور من أدوار الشعر تركه الأوائل للأواخر على خلاف ما قيل[1] .

عباس محمود العقاد

(١) جاء في محضر الجلسة التي ألقى فيها الأستاذ العقاد هذا البحث الثمين تعقيبات لبعض أعضاء المؤتمر وردود للأستاذ صاحب البحث على تلك التعقيبات . ومن ذلك سؤال لرئيس بحثنا وهو :

« أريد أن أسأل زميلنا المحترم عما نجده في كثير من مجلاتنا الأدبية من شيء يسمونه شعراً ، لا نرى له قافية ، ولا نرى له وزناً ، ونجد الشطر فيه أحياناً لا يتجاوز كلمة أو كلمتين بعدهما إشارة تعجب أو بضع نقط . فما هي الموسيقى الشعرية في ذلك ؟ وهل هذا الشيء يُسمى شعراً أو يسمى نثراً أو ماذا يجب أن نسميه ؟ ومن المعلوم أن هذا النوع من الكلام له اليوم أنصار ممن يمكن تسميتهم أدباء »

وقد ردّ الأستاذ العقاد على هذا السؤال بما يلي :

« إذا جاءنا شيء من هذا مما لا وزن فيه ولا قافية – في المجلس الأعلى للفنون والآداب – أحلناه الى زميلنا الدكتور مهدي علام رئيس لجنة النثر لينظر فيه إذا شاء أن يعتبره نثراً . وليس لنا ولا نحب أن نحجر على أحد يختار لنفسه منهجاً للكتابة يسميه ما يشاء . إن لهم أن يكتبوا ما يشاءون ، ولكن ليس لهم أن يحكموا على الأوزان أو المعاني الشعرية » .

وعندما ذكر أحد الأعضاء أسماء أدباء ينهجون هذا النهج أجاب بقوله : « الكلام الذي لا تتوافر فيه المعاريض الشعرية لا نسميه شعراً . فقد يكون كلاماً بليغاً أو نثراً شعرياً ، وبهذا نفرق بينه وبين غيره من الفنون » .

الاصطلاحات الفلسفية

-٨-

الإيثار (أو الغيرية)

في الفرنسية Altruisme

في الانكليزية Altruism

آثر فلاناً على نفسه فضّله وقدمه ، وآثره إيثاراً أكرمه ، فمعنى الإيثار إذن أن تقدم غيرك على نفسك في النفع والدفع عنه ، وهو ضد الأثرة (راجع كلمة أنانية) .

والغيرية (Altruisme) لفظ جديد وضعه (أوغوست كومت) للدلالة على معنى الإيثار ، فقال : الغيرية هي أن تريد الخير لغيرك وأن تبذل نفسك مختاراً في سبيل نفعه .

وهذا الميل الى نفع الآخرين أصيل في الإنسان ، إلا أن طائفة من الفلاسفة أنكرت ذلك ، فزعم (لاروشفوكولد) : أن الإنسان لا يحب إلا نفسه ، ولا يفكر إلا في مصلحته الخاصّة ، وزعم (آدم سميث) والفلاسفة النفعيون أن الغيرية مشتقة من الأنانية أو حب الذات بواسطة التعاطف ، وزعم (جيمس ميل) و (استوارت ميل) و (هربرت سبنسر) : أن الأنانية هي الأصل وأن التطور الاجتماعي هو الذي أدّى الى تولد الغيرية منها .

ولكن (أوغوست كومت) و (ليتره) و (دوركهايم) وغيرهم زعموا أن الغيرية أصيلة في الإنسان كالأنانية ، وان كلا الميلين ناشئ عن وظائف

الخليّة الحية ، فالأنانية تنشأ عن وظيفة التغذي ، وهي التي تدفع الكائن الحي الى البحث عما يحتاج اليه من الغذاء في سبيل بقائه ونموه . والغيرية تنشأ عن وظيفة التناسل ، وهي التي تدفع الكائن الحي الى إنسال كائن آخر يحضنه ويربيه حتى يصبح قادراً على الحياة بنفسه . قال دوركهايم : «حيث يوجد الاجتماع توجد الغيرية . . . فلا ينبغي أن يقال إذن أن الغيرية قد تولدت من الأنانية ، لأن هذا التولد لا يمكن أن يتم إلا بابداع الشيء من العدم . والحق ان هذين المحركين الأساسيين لسلوك الإنساني موجودان منذ البدء في جميع النفوس البشرية» .

وقد يطلق لفظ (الغيرية) على كل فعل يهدف الى نفع الآخرين ، حتى لو كان ذلك الفعل خالياً من الميل اليهم . فاذا قلت لك : أحسن الى عدوك لم أطلب اليك بهذا القول أن تحب من يبغضك أو من يسيء اليك فحسب ، بل أردت به أيضاً أن تحسن إلى من تبغضه . إن الغيرية بهذا المعنى لا تدل على ميل من ميول النفس ، بل تدل على نمط من أنماط السلوك .

وقصارى القول ان للإيثار (أو الغيرية) معنيين أحدهما نفسي والآخر خلقي .

فلفظ الإيثار يدل من الناحية النفسية على شعور الإنسان بميله إلى غيره ، وهذا الشعور قد يكون ناشئاً بصورة غريزية عن الروابط الموجودة بين أفراد الجنس الواحد ، وقد يكون ناشئاً عن التأمل أو عن إنكار الذات . وهو يشتمل في نظر (أوغوست كومت) على الحب والاحترام وطيبة النفس .

ويدل من الناحية الخلقية على المذهب المضاد لمذهب اللذة أو مذهب الفردية أو مذهب النفعية . وهو مذهب الخير الذي يجعل غاية سلوكنا الفردي نفع غيرنا ودفع الضر عنهم . وقاعدته كما قال (أوغوست كومت) : أن تحيا في سبيل غيرك وأن تجعل الحب مبدأك ، والنظام دعامتك ، والتقدم هدفك .

الإيحاء

في الفرنسية Suggestion

في الانكليزية Suggestion

الإيحاء في اللغة الإشارة والكلام الخفي ، وكل ما ألقيته الى غيرك . يقال أوحى اليه إيحاء أي كلمه بكلام يخفيه عن غيره ، وأوحى ربك الى النحل أي أمرها (أمر إلهام) ، وأوحى أومأ . وأوحى اليهم أي أشار اليهم ، وأوحت اليه كلمته ، ويوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً ، معناه يسرّ بعضهم الى بعض .

وفي تعريفات الجرجاني : الإيحاء هو إلقاء المعنى في النفس بخفاء وسرعة .

ونحن نستعمل اليوم هذا اللفظ للدلالة على المعاني الآتية :

١) فعل أوحى : أوحى اليه أي ولّد في ذهنه فكرة ، وهذا ينطبق على الأشخاص والأشياء معاً ، فتقول : (أ) أوحى الأستاذ الى تلميذه فكرة أو عملاً أو تجربة ، (ب) والمعاني يوحي بعضها بعضاً .

٢) الإيحاء (مصدر) هو اسم يدل على ما يحدث في الذهن من فكرة أو تصور بتأثير عامل خارجي . فلا إيحاء إذن إلا إذا أثار شخص بكلامه أو فعله في ذهن شخص آخر فكرةً تؤثّر في نفسه وتبدّل مشاعره وسلوكه . ولولا هذه الفكرة التي جيء بها من خارج لما تبدل مجرى تصوراته ولا تغير سياق فعله . ولكلمة إيحاء بهذا المعنى مفهومان مختلفان : الأول ، أن الفكرة الموحى بها تتولد في الذهن بتأثير عامل خارجي (كلمة أو إشارة أو حركة) لا بتأثير عامل داخلي ، والثاني ، ان هذه الفكرة الخارجية تطعّم ذهن الموحى إليه فتحركه وتثير فيه فاعلية نفسية جديدة .

٣) ومع ذلك فان معنى الإيحاء في الفلسفة الحديثة لا يخلو من اللبس والغموض ، فبعض الفلاسفة يشترط في الإيحاء أن يكون الموحى اليه غير شاعر بأسباب

التأثير الذي حدث فيه أو بالفكرة التي أوحي اليه بها ، وبعضهم يقول ان الموحى اليه قد يشعر بالتأثير ولكنه لا يستطيع أن يقاومه بإرادته .

٤) أما في علم الأمراض العقلية فإن معنى الإيحاء واضح جداً . وهو عرض من أعراض مرض اختناق الرحم (الهستيريا أو الهسترة) : وذلك انك اذا أوحيت الى المريض فكرة بالكلام أو بغيره ، فان هذه الفكرة تنقلب عنده الى حادثة حركية ، فتصبح فعلاً أو إدراكاً أو عاطفة مصحوبة بتبدلات عضوية دون أن يكون لإرادته أو شعوره تأثير في هذا الانقلاب ، وكذلك النائم نوماً مغنطيسياً ، فهو لا يستطيع أن يقاوم بارادته ما أوحت اليه الكلمة أو الصورة فيفعل ما يؤمر به ، ويعتقد ما يقال له ، ويحس ما يطلب منه أن يحس به ، وقد ينفذ الفعل بعد اليقظة في الوقت المحدد له حتى لو كان غير ذاكر ما جرى له في حالة النوم ، فلا يعي فعله ، ولا يشعر به إلا من حيث هو واقع تحت مشاهدته الحسية ، كأنما هو فعل غيره ، لا فعله الصادر عنه .

وكما يتلقى الإيحاء في حالة النوم فكذلك يتلقى في حالة اليقظة ، إلا أن تأثر الأشخاص الأسوياء به لا يتصف بالآلية القسرية . وقد أطلق الفلاسفة على هذا الإيحاء الذي لا يفقد الشخص مقاومته اسم الإيحاء غير المعين ، (Suggestion indéterminée) .

٥) والايحاء الذاتي (Auto - Suggestion) هو أن يوحي الانسان الى نفسه بارادته أو بغير إرادته اختناق بعض الحالات ، كالشخص الذي يطالع اعراض مرض في كتب الطب فيتوهم أنه مصاب به .

٦) والايحاء الأجنبي (Suggestion étrangère) هو أن يوحي شخص الى غيره بفكرة أو عاطفة أو فعل .

٧) والايحاء المؤجل (Suggestion à échéance) هو الايحاء الذي ينفذ

في موعد معين ، أو عند اشارة متفق عليها ، أو عند تحقق بعض الشروط .

٨) والايحاء العقلي (Suggestion mentale) هو القول بإمكان انتقال الفكرة أو الأمر أو الادراك انتقالاً مباشراً من شخص الى آخر بدون وسط من كلام الأول أو فعله (راجع كلمة Telépathie) .

٩) وقابلية الايحاء أو التلقن (Suggestibilité) هي استعداد الشخص لقبول الايحاء بسهولة .

١٠) والراحي والموحي (Suggestif) هو كل ما يوحي بالأفكار أو العواطف أو الأفعال . وكثيراً ما يستعمل هذا اللفظ في مقام المدح فتقول : هذا الكتاب موحٍ بمعنى أنه يوقظ الفكر ويبعثه على التأمل .

أيسَ

في اللاتينية	Esse
في الفرنسية	Etre, il est
في الانكليزية	to be

أيسَ لفظ عربي مهجور ، تقول جيء به من أيس وليس ، أي من حيث هو وليس هو . قال الليث أيس كلمة قد أميتَتْ ، إلا أن الخليل ذكر أن العرب تقول جيء به من حيث أيس وليس ، أي من حيث هو موجود وغير موجود ، ولم تستعمل ايس إلا في هذه العبارة ، وإنما معناها كمعنى حيث هو في حال الكينونة والوُجد . وأيس ضد ليس أو لا أيس ، ومعنى لا أيس أي لا وجد ولا وجود .

وقد استعمل الفلاسفة أيس بمعنى الوجود والموجود ، وليس بمعنى العدم والمعدوم .

قال الكندي : « يتضح لك أن الله جل ثناؤه ، وهو الانية الحق التي لم تكن ليس ، ولا تكون ليساً أبداً ، لم يزل ولا يزال أيس أبداً ، وانه هو الحي الواحد

الذي لا يتكثر بتة ، وانه هو العلة الأولى التي لا علة لها ، الفاعلة التي لا فاعل لها ، والمتممة التي لا متمم لها ، والمؤيس الكل عن ليس ، والمصيّر بعضه لبعض أسباباً وعللاً » (كتاب الابانة عن العلة الفاعلة القريبة للكون والفساد ، من رسائل الكندي الفلسفية ، حققه محمد عبد الهادي أبو ريده ص ٢١٥ ، القاهرة ١٩٥٠) . وقال أيضاً : « الفعل الحقي الأول تأييس الأيسات من ليس . وهذا الفعل بيّن أنه خاصة لله تعالى الذي هو غاية كل علة ، فان تأييس الايسات عن ليس ، ليس لغيره » (راجع رسالة الفاعل الحق الأول التام والفاعل الناقص الذي هو بالمجاز ، المصدر نفسه ، ص ١٨٢ — ١٨٣) . وقال ابن سينا : « ومنها مثل أن يكون الشيء عالماً بأن شيئاً ليس ثم يحدث الشيء فيصير عالماً بأن الشيء أيس » (الاشارات ص ١٧٤) . فأنت ترى أن لفظ ايس يدل عندهم على الوجود أو الموجود ، وهو كما قلنا ضد ليس الدال على العدم أو المعدوم .

والمؤيس عندهم هو الموجد ، والتأييس هو التأثير أو الايجاد .

إيساغوجي — Isagoge —

لفظ يوناني معناه المدخل أو المقدمة ، وهو عنوان الكتاب الذي وضعه فرفوريوس الصوري (Porphyre) تلميذ أفلوطين ليكون مدخلاً للمقولات أو للمنطق . نقله من السريانية الى العربية أيوب بن القاسم الرقي ، وأبو عثمان الدمشقي (راجع كتاب الفهرست لابن النديم ، طبعة مصر ص ٣٤١ ، ٣٥٤) ، وفسر معانيه ابن زرعة وابن الخمار وشرحه كثيرون . وهو يبحث في بعض الألفاظ الدالة على المعاني الكلية كالجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام .

وأكثر المنطقيين العرب يضيفون كتاب ايساغوجي الى كتب آرسطو المنطقية ويجعلونه جزءاً من المجموعة المنطقية التي تسمى بالارغانون ، وهي : (١) ايساغوجي

أو المدخل (٢) قاطيغورياس أو المقولات (٣) باري أرمنياس أو العبارة (٤) انالوطيقا الأولى «التحليلات الأولى» أو القياس (٥) أنالوطيقا الثانية «التحليلات الثانية» أو البرهان (٦) طوبيقا أو الجدل (٧) سوفسطيقا أو السفسطة (٨) ريطوريقا أو الخطابة (٩) بويطيقا أو الشعر . (راجع كلمة منطق) .

الإيمان

في اللاتينية	Fides
في الفرنسية	Foi
في الانكليزية	Faith

الإيمان في اللغة التصديق ، يقال : آمن بالشيء صدق ، وضده التكذيب يقال : آمن به قوم ، وكذب به قوم .

والإيمان في الشرع إظهار الخضوع والقبول للشريعة ولما أتى به النبي واعتقاده وتصديقه ، فمن اعتقد وشهد وعمل فهو مؤمن غير شاك ولا مرتاب ، ومن اعتقد وشهد ولم يعمل فهو فاسق ، ومن شهد وعمل ولم يعتقد فهو منافق (راجع تعريفات الجرجاني) .

والأصل في الإيمان الدخول في صدق الأمانة ، وهي هنا النية التي يعتقدها الإنسان فيما يظهره باللسان من الإيمان . ولذلك قيل الإيمان أمانة ، ولا دين لمن لا أمانة له .

والايمان في اصطلاحنا التصديق بالقلب . تقول آمنت بالشيء أي صدقته واعتقدته ،ومعنى الاعتقاد هو القبول والاقتناع ، لا بل هو التصديق الذي يطمئن له القلب دون أن يؤيده أو يكذبه برهان منطقي أو مشاهدة حسية . وهو مغاير للعلم ، لأن العلم مبني على أسباب عقلية كافية ، في حين أن الاعتقاد مبني على بواعث قلبية ، أو على أسباب عقلية غير كافية .

وإذا كان التصديق فعلاً إرادياً كان الاعتقاد المستقل عن الأسباب العقلية الكافية مظهراً من مظاهر حرية الاختيار ، ونحن نطلق عليه اسم الايمان ٠

والايمان هو الثقة المطلقة بشخص أو بقول مضمون الصدق ، تقول آمن بالشخص أو بالقول وثق به ، وآمن بما جاء في العهد اطمأن له ٠ فالايمان بهذا المعنى هو الثقة والطمأنينة معاً ٠

ومن معاني الايمان تسليم النفس بالشيء تسليماً راسخاً لا تقل قوته من الناحية الذاتية عن قوة اليقين ٠ والفرق بينه وبين اليقين أن اليقين مستند الى أسباب موضوعية ، في حين ان الايمان مبني على أسباب شخصية ذاتية ٠ وما كان اقتناعك به مبنياً على أسباب ذاتية فانه من الصعب أن يقتنع به غيرك ٠

والأفعال الايمانية هي الأفعال التي تعبر عن الاعتقاد وهي :

١) الفعل الارادي الذي نوافق به على صحة قضية غير بديهية أو على صدق قول لم يقم عليه برهان ٠

٢) التعبير عن الايمان الديني باللسان أو العبادات أو الطاعات ٠

٣) الاعتراف العلني بقبول رأي أو فكرة أو مبدأ ٠

الأين (المحل)

في اللاتينية	Ubi, locus
في الفرنسية	où, lieu
في الانكليزية	Place

أين سؤال عن مكان ، فاذا قلت أين زيد ، فانما تسأل عن مكانه ، وهو إحدى مقولات آرسطو ، أطلقه الفلاسفة على المحل الذي ينسب اليه الجسم ، فقال ابن سينا الأين : «هو كون الجوهر في مكانه الذي يكون فيه ككون زيد في السوق» (النجاة ص ١٢٨) ٠ وقال الغزالي : من الأين

« ماهو أين بذاته ، ومنه ماهو مضاف ، فالذي هو أين بذاته كقولنا زيد في الدار وفي السوق ، وما هو أين بالاضافة فهو مثل فوق ، وأسفل ، ويمنة ، ويسرة ، وحول ، ووسط ، وما بين ، وما يلي ، وعند ، ومع ، وعلى ، وما أشبه ذلك ولكن لا يكون للجسم أين مضاف مالم يكن له أين بذاته » (الغزالي ، معيار العلم ص ٢٠٧) . وقال ابن رشد : « ومثال ذلك أن الأين كما قيل هو نسبة الجسم الى المكان ، فالمكان مأخوذ في حده الجسم ضرورة ، وليس من ضرورة حد الجسم أن يؤخذ في حده المكان ، ولا هو من المضاف ، فان أخذ من حيث هو متمكن لحقته الاضافة ، وصارت هذه المقولة بجهة ما داخلة تحت مقولة الإضافة » (ابن رشد ، مختصر ما بعد الطبيعة) .

يستنتج من ذلك كله أن الأين هو حصول الجسم في المكان ، أي في الحيز الخاص به ، ويسمى هذا أيناً حقيقياً . وعرّفه الجرجاني بقوله : « هو حالة تعرض للشيء بسبب حصوله في المكان » ، وعرّفه التهانوي بقوله انه « هيئة تحصل للجسم بالنسبة الى مكانه الحقيقي » أي « انه الهيئة المترتبة على الحصول في الحيز » (كشاف اصطلاحات الفنون) . وقد يقال الأين لحصول الجسم فيما ليس مكاناً حقيقياً له مثل الدار والبلد والاقليم والعالم ، فتقول مجازاً زيد في دمشق أو في سورية وتعني بذلك حصوله في مكان غير خاص به وحده .

ونحن نطلق اليوم على الأين لفظ المحل (Lieu) وهو مكان الحلول أعني الحيز الذي يشغله الجسم . يقول (ديكارت) : « أوضح ما يدل عليه المحل الوضع لا المقدار أو الشكل . فاذا قلنا ان الشيء موجود في محل ما عنينا بذلك أن له وضعاً خاصاً بالنسبة الى غيره من الأشياء ، ولكننا إذا زدنا على ذلك انه يشغل مكاناً أو محلاً معيناً عنينا بالاضافة إلى ما تقدم أن له مقداراً أو شكلاً معيناً يستطيع بها ملأه » . ومعنى ذلك ان (ديكارت)

يفرق بين المحل الداخلي والمحل الخارجي . فالمحل الداخلي عنده هو الامتداد الذي يشغله الجسم ، وهو الجسم نفسه . أما المحل الخارجي فهو وضع الجسم بالنسبة الى الأجسام الأخرى المحيطة به . فاذا تحرك الجسم خيل الينا أنه ينقل امتداده معه ، وانه يترك مع ذلك وراءه امتداداً كان يشغله . وهذا ناشئ عن الفرق بين المحل الداخلي والمحل الخارجي . الأول يتحدد بالعلاقات الداخلية ، والثاني يتحدد بالعلاقات الخارجية ، والفرق بين المحل ، والامتداد ، والمكان ، ان المحل يدل على العلاقات الخارجية التي تعين وضع الجسم بالنسبة الى غيره في حين أن الامتداد أو المكان يدل على الفراغ اللانهائي المحيط بالأجسام كلها (راجع كلمتي امتداد ومكان) .

ويطلق اصطلاح المحل الهندسي (Lieu géométrique) على مجموع النقاط المتميزة بخاصة واحدة .

جميل صليبا

ثقافة الأطباء عند العرب

- ٤ -

وبعد ما هو نصيب العرب من تقدم الطب ورقيه ؟

مما لا شك فيه أن العلوم الطبية والمعارف الانسانية كانت أصيبت بجمود وتوقف وضعف بعد ما دالت دولة اليونان والرومان وأوشكت الأخيرة على الزوال ، وبعد ما لحق الدولة البيزنطية الوهن والاضطراب الداخلي والخارجي ، الاجتماعي والأخلاقي من جراء فساد الحكم وسقوط الأخلاق وكثرة الظلم والمفاسد ، وبعد ما استدام الحرب بينها وبين دولة الفرس التي لم تكن أعدل ولا أسلم منها ولا أهدأ من غيرها ، قروناً عديدة أفقرت الشعبين ، وشردت العلماء ، ونشرت ألوية التعصب والجهل في كل الأنحاء .

وفي هذه الآونة من الزمن ظهر العرب في دنيا البشرية ، وبعد أن أتموا فتوحاتهم ونشروا تعاليمهم ، أقبلوا على العلم والفن ، وكان الطب في مقدمة العلوم التي طلبوها ، وشجعهم على ذلك ظمأهم للعلم وحبهم للحرية الفكرية وقول الحديث النبوي : « العلم علمان علم الأبدان وعلم الأديان » ، فبذلوا عنايتهم في تحصيل المعارف وفتح المعاهد العلمية في الشرق والغرب وفي جلب العلماء من كل الأمم للترجمة والتعليم والتطبيب ، وفي جمع المخطوطات الموجودة في مختلف البلدان ، وجعل التعليم في متناول كل فرد في مملكتهم الواسعة الأرجاء .

وكان الحصول على المخطوطات شرطاً من شروط الصلح أحياناً ، وأصبح طلبة الخلفاء والأمراء والأغنياء . ولما فتح هارون الرشيد عمورية وأنقرة حمل الى بغداد كل ما وجد فيها من المخطوطات ، وأرسل المأمون بعثة خاصة الى

بلاد الروم تجمع المخطوطات اليونانية ، وكانت الكتب تهدى الى الخلفاء أحياناً على سبيل الاسترضاء . فامبراطور القسطنطينية أرسل كتباً قيمة الى الخليفة في الأندلس ليكون له عوناً على الخليفة في بغداد . وقد اشتدت الرغبة بالحصول على المخطوطات والكتب ، ليس بين عرب العراق واسبانيا بل بين عرب القاهرة ودمشق والقيروان ، وبين بقية البلاد التي فتحها العرب . وكان من جراء هذه الرغبة أن كل مدينة من البلاد الإسلامية غدت تحتوي على مكتبة عمومية فيها غرف للقراءة والكتابة وقاعات للمحاضرات العلمية ، والدينية ، ومكاتب للترجمة والنسخ والتجليد ، كبيت الحكمة في بغداد ، ودار الحكمة في القاهرة حيث كان يشتغل المترجمون والمؤلفون والناسخون . وكان في قرطبة مكتبة تحوي على ربع مليون مجلد ، وفي بغداد بقيت الكتب المخطوطة التي أغرقها (هلاكو) عندما غزاها وفتحها ورماها في دجلة تمرّ عليها خيوله عشرة أيام وماء النهر أسود قاتم .

وقيل ان ابن المطران طبيب صلاح الدين الأيوبي كان يملك وحده مكتبة تحتوي على عشرة آلاف مجلد ، وكان لأمين الدولة ابن التلميذ مؤلف أحسن اقرباذين في أيامه مكتبة تحتوي على عشرين ألف مجلد بعضها بخط يده . وكانت مكتبة المؤرخ الطبي ابن القفطي الشهير تقدر قيمتها بما يزيد عن خمسين ألف دينار . وكان في كل مستشفى كبير مكتبة لتعليم الطلبة والرجوع اليها عند الحاجة .

وللعرب يعود الفضل وحدهم دون غيرهم في حفظ تراث الطب اليوناني والفارسي والهندي واستخلاص المهم مما جمعوه وترجموه ونقلوه ووضعه في قالب واضح علمي تاركين كل ما كان غير لازم .

ويقول العلماء المنصفون لولا العرب لانقطعت الصلة بين الماضي والحاضر .

وتكفي المقابلة بين كتابات جالينوس وكتابات ابن سينا ، فالأول مبهم والثاني في غاية الوضوح ، والترتيب ظاهر في الثاني ومفقود في الأول .

وكان العرب أمناء في ترجمتهم ونقلهم فلم يشوهوا حقائق ما نقلوا بل صرفوا العناية الفائقة والاهتمام الجدي حتى تم لهم نقل تلك العلوم دون تحريف ولا تشويه ولا تعصب .

ويعود الفضل الأكبر في نجاحهم الى سخاء الخلفاء والملوك والأمراء وسعة صدرهم وتحررهم من التعصب الديني وتقيدهم بحرية الرأي وأخذ العلم من أين كان وممن كان .

ومع هذا فلتقدير مساهمة العرب وأهميتها في حقل الطب والعلوم المتصلة به يجب أن نقارن ذلك بحالة الطب اليوناني والهندي والبزنطي والفارسي في ابتداء العصر العربي وما انتهت اليه في آخر هذا العصر .

يقول الدكتور أمين خير الله (١) : «ولكي نصدر حكماً صحيحاً على مساهمة العرب في الطب أيضاً يجب أن لا تنظر اليها بمنظار خصومهم ولا بمنظار المعلومات الحاضرة ، فالخصوم المتعصبون شوهوا الحقائق وأنكروا فضائل العرب ، والمعلومات الحاضرة هي نتيجة رقي صناعي واجهاد فكري اشتغل فيه معظم الأمم منذ ثلاثة عشر قرناً حتى الآن ، ولكن علينا أن ننظر اليها بالقياس الى المعلومات التي كانت في زمانهم .

« واذا كان بعض العلماء من غير العرب قد اشتركوا في التراث الذي نذكره فعلينا أن لا ننسى بأن الحكم العربي الصحيح انقضى بعد زوال الدولة الأموية في الشرق والغرب وبعد تضعضع الحكم العباسي الأول في بغداد ، وان الحكم بعدهم أصبح إسلامياً لا عربياً بحتاً .

(١) الدكتور أمين خير الله في كتابه الطب العربي .

«ويجب أن نذكر جيداً بأن الدافع الحقيقي للحركة العلمية كان العباسيون في بغداد والأمويون في الأندلس ولذا لا يعاب على العرب اذا كان بعض مؤلفي كتبهم من غير العرب ، كما لا يؤخذ على الأميركيين مثلاً اذا كان بعض المخترعين عندهم من أصل غير أميركي .

«وهكذا يقال عن العلم عند الرومان فأغلب العلماء عندهم كانوا من أصل يوناني ، ولهذا ـ حتى نكون منصفين ـ يجب أن نقارن التمدن العربي بالتمدن الروماني فنرى أن ما أتمه العرب في قرن واحد قضى الرومان عدة قرون في إتمامه . وإذا كان اليونان امتازوا في العلم والفلسفة وامتاز الرومان في التشريع والإدارة فالعرب امتازوا في الاثنين معا . وان المدنية العربية في القاهرة ، واسبانيا ، ومراكش ، ودمشق ، والقدس ، وبغداد لشاهد لامع على مقدار ما يمكن للعرب أن يبلغوه من الرقي متى أتيح لهم ذلك .

«ومن الإنصاف العلمي أن نذكر الأعمال الفردية التي قام بها العرب في الطب وغيره وأن لا ننسى مطاياهم الكبرى فانهم بدون شك حفظوا مشعل العلوم والثقافة في العصور المظلمة لما كانت أوروبا غارقة في ظلمات العصور ، وأنهم حرروا العلم وأنقذوا التمدن من الاضمحلال وأعطوه بعدئذ الى أوروبا بقالب حسن وواضح وكانوا السبب الأصلي في يقظة أوروبا من ديجور أجيالها المظلمة» .

ولاطلاع بعض أطبائنا العلماء على ماهية الطب العربي وما يحويه ، وفهم ما وصل اليه علمهم في ذلك الحين ، ومعرفة مصطلحاتهم الطبية وتشخيصهم للأمراض وتعليلاتهم لها والحاصل للإحاطة بذهنيتهم العلمية ، أرى من المفيد الاشارة الى أشهر كتبهم في شتى العلوم الطبية وهي :

١ — الأول (كتاب الحاوي) وهو لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي المسمى جالينوس العرب والطبيب الأعلى بين أطباء العرب المتوفى سنة ٤٣٠ ه

والكتاب يقع في ٣٠ مجلداً حسب رواية أبي الفداء ، وفي ١٢ مجلداً حسب قول ابن النديم صاحب كتاب الفهرست · ترجمه الى اللاتينية فرج بن سليم ونشر مراراً في البندقية وفي بريشيا في القرون الوسطى ·

٢ — الثاني (كتاب كامل الصناعة) الطبية لابن المجوسي علي بن عباس ويعرف (بالملكي) صنفهُ للملك عضد الدولة فناخسرو بن ركن الدولة أبي علي حسن بن بويه الديلمي · وهو كتاب جليل مشتمل على أجزاء الصناعة الطبية علمها وعملها بما فيها علم الجراحة · ترجم الى اللاتينية وطبع في ليدن عام ١٥٢٣ م وطبع في بولاق في جزئين عام ١٢٩٤ هـ وهو مفيد جداً ·

٣ — الثالث (كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف) لأبي القاسم خلف ابن العباس الزهراوي وكان من أكبر جراحي العرب · ولد في الزهراء بجوار قرطبة ، وكان طبيب الخليفة الحكم ولد عام ٤٠٣ وتوفي عام ٥١٦ هـ وترجم كتابه الى اللاتينية وطبع سنة ١٧٧٨ م وهو أول من استعمل ربط الشريان لمنع النزيف وأثنى عليه كثيرون من علماء أوروبا وشهدوا له بطول الباع والسبق في شؤون كثيرة · (عن دائرة المعارف البريطانية) ·

وكتاب التصريف عبارة عن دائرة معارف طبية يحتوي على ثلاثين فصلاً مبوبة في ثلاثة أقسام : الأول في الطب الداخلي · والثاني في الأقرباذين والكيمياء ، والثالث في الجراحة · وامتاز القسم الثاني بأدويته المفردة ، وامتاز القسم الثالث الجراحي برسومه للآلات الجراحية وآلات خلع الأسنان المستعملة في زمانه وكانت هذه الرسوم وحيدة في بابها ·

وقد ترجم القسم الجراحي (جيرارد كريمونا) الى اللاتينيـة وبقي كتاب التدريس في جامعات أوروبا كجامعة سالرنو ومونبيليه مدة من السنين ·

٤ — (تذكرة الكحالين) لعلي بن عيسى بن الكمال الطبيب النصراني المتوفى بعد الأربعمائة في بغداد ، والكتاب مطبوع وهو من خير ما ألف في طب العيون ، ترجم الى اللاتينية وطبع مراراً وكان من كتب التدريس عند العرب ·

٥ — الخامس (كتاب تنقيح المناظر) لابن الهيثم أبو علي محمد بن الحسن ابن الهيثم البصري توفي في الأربعمائة ، نبغ في علم الهندسة والمرئيات والضوء . جاء الى مصر أيام الحاكم بأمر الله ثم تنسك واشتغل بالتصنيف والإفادة . تعاطى الطب ووصف العين وصفاً دقيقاً ، وبحث قضية البصريات بحثاً وافيا ، وهو أول من قال بأن النور يدخل العين لا يخرج منها ، وأثبت أن شبكية العين هي مركز المرئيات وان هذه المرئيات تنتقل الى الدماغ بواسطة عصب البصر وان وحدة النظر من الباصرتين عائد الى تماثل الصور على الشبكتين .

طبع كتابه مع الترجمة اللاتينية باعتناء الأستاذ هيل في دريدن عام ١٨٤٥ م .

٦ — السادس (كتاب القانون في الطب) للشيخ الرئيس أبو علي بن سينا المتوفى عام ٤٢٨ هـ هو بلا ريب أفضل تراث في الطب العربي ، وأجل كتاب لتدريس الطب في أوروبا وفي البلدان العربية لأكثر من ثمانية قرون . ولا يزال يستعمل ويدرس في بعض بلدان الشرق الأدنى والهند وشمالي أفريقيا . وهو ينقسم الى خمسة أقسام : القسم الأول يشمل خمسة فصول :

١ — الأول في التعاريف ، والعناصر ، والأخلاط ، والأمزجة ، والأرواح .

٢ — الثاني في التشريح ويشمل العظام ، والعضلات ، والأعصاب ، والشرايين ، والأوردة .

٣ — الثالث في الأمراض وأعراضها .

٤ — الرابع في حفظ الصحة ، والوقاية من الأمراض .

٥ — الخامس في العلاج عموماً .

والقسم الثاني يبحث في الأدوية المفردة مرتبة حسب الحروف الهجائية .

القسم الثالث يبحث في أمراض الجسم من الرأس حتى القدمين بما فيه تشريح الأعضاء ، الرأس ، ، الدماغ ، العيون ، الآذان ، الأنف والفم واللسان ، الشفتان ، الأسنان ، واللثة ، الحلقوم ، الثديان ، الصدر ، الرئتان ، المريء

والمعدة ، الكبد والمرارة ، الطحال ، الأمعاء ، والأعضاء التناسلية عند الرجال والنساء .

القسم الرابع يحتوي على سبعة فصول :

الأول — الحميات .

الثاني — الانذار والبحران .

الثالث — الأورام والقروح .

الرابع — الجراحة والعمل باليد .

الخامس — الكسور والخلوع .

السادس — السموم .

السابع — أمراض الجلد .

القسم الخامس في الأدوية المركبة والعلاجات .

٧ — السابع (كتاب الموجز) لابن نفيس القرشي المتوفى سنة ٦٩٨ هـ ، وهو علي بن أبي الحزم القرشي الملقب بابن النفيس . ولد في دمشق وسكن مصر الى أن توفي . والكتاب مختصر لقانون ابن سينا ، والشامل في الطب . وقد طبع في الهند . وابن النفيس هو أول من اكتشف الدورة الدموية .

٨ — الثامن (كتاب التيسير في المداواة والتدبير) لابن زهر [1] أبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء بن زهر ولد في اشبيلية بالأندلس عام ٤٦٤ وتوفي عام ٥٢٥ هـ وهو من عائلة اشتهر أفرادها بالطب منذ أجيال ولكنه كان

(١) ذكر ابن أبي أصيبعة أن معظم أفراد عائلة ابن زهر كانوا أطباء ومنهم صاحب كتاب التيسير أما الآخرون فأورد اسم (أبو مروان عبد الملك الفقيه محمد بن مروان ابن زهر الإيادي) وهو طبيب . ثم اسم (أبو بكر محمد بن أبي مروان بن أبي العلاء ابن زهر) وهو طبيب شهير . ثم اسم (أبو محمد بن عبد الله الحفيد أبو بكر محمد بن أبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء بن زهر بن أبي مروان بن عبد الملك ابن محمد بن مروان بن زهر) وهو أيضاً كآبائه من مشاهير الأطباء في زمانه .

أنبغهم كما انه أحد الأطباء العرب القلائل الذين حصروا جهودهم في الطب فقط . وقد ألّف كتابه هذا وأهداه الى تلميذه الفيلسوف العظيم الطبيب ابن رشد . والكتاب يصف الأمراض وصفاً واضحاً جلياً خال من النظريات الفلسفية .

وابن زهر أول من وصف خراج الحيزوم وصفاً دقيقاً ، ووصف التهاب التامور (غشاء القلب) بنوعيه الناشف والرطب وفرقه عن أمراض الرئة . وفي أثناء وجوده في السجن كتب وصفاً دقيقاً لأعراض سرطان المعدة الذي كان رفيقه في السجن مصاباً به .

وكان يحب التجربة والاختراع . ووجد في أيام الخليفة عبد المؤمن أحد ملوك المرابطين وتقرّب اليه فنال منه الحظوة والإنعام والجاه . وكتابه المذكور ترجم الى اللاتينية وطبع عدة مرات واستعمل للتدريس في جامعات أوروبا .

٩ — التاسع (كتاب المفردات) لابن البيطار وهو في جزئين ومطبوع في مصر ويسمى (الكتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) تأليف الشيخ الفاضل ضياء الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد الأندلسي المالقي العشاب المعروف بابن البيطار ، أمر بجمعه الملك الصالح وطبع ببولاق سنة ١٢٩١ وترجم الى اللاتينية وغيرها .

ولد ابن البيطار في مالقة وساح في اسبانيا والمغرب وشمالي افريقيا ، ومصر ، وسوريا ، وآسيا الصغرى ، وتوفي في دمشق عام ٦٤٦ هـ . وقد ألّف معظم كتبه في مصر حيث كان يشغل مركز المفتش العام للصيدليات واستشهد فيه بأكثر من (١٥٠) مؤلفاً ووصف أكثر من (١٤٠٠) عقاراً من النبات والحيوان والمعدن . منها (٣٠٠) جديدة لم تذكر قبله . وكان الطبيب ابن أبي أصيبعة من تلامذته ، اجتمع فيه بدمشق سنة ٦٣٣ هـ وشاهد معه كثيراً من النبات في مواضعه ، وقرأ عليه تفسيره لأسماء الأدوية الواردة في كتاب ديسقوريدس .

١٠ — العاشر (كتاب المختارات) في أربعة أجزاء وهي في الطب لمهذب الدولة أبي الحسن علي بن أحمد بن علي بن هبل البغدادي المولود عام ٥٤٤ﻫ والمتوفى سنة ٦١٦ ﻫ طبع في حيدر آباد بمطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية عام ١٣٦٣ ﻫ . والكتاب ينقسم الى عدة فصول وأجزاء تتناول ما ورد في القانون ، والحاوي ، والمنصوري وغيرها من كتب الطب . وقد اختار منها ما اطلع عليه وجربه ولذا كان كتاب المختارات ذا فائدة عظيمة لتدريس الطب العربي وفهم اصطلاحات الأولين وآرائهم .

١١ — الحادي عشر (كتاب التذكرة الهادية في الطب) وهو لابراهيم بن محمد المشهور بابن السويدي . ولد عام ٦٠٠ ﻫ وتوفي عام ٦٧٠ ﻫ ويرتقي بنسبه الى ولد سعد بن معاذ الأوسي . تعلم في دمشق وطبب فيها ، ونصب طبيباً في البيمارستان النوري وبيمارستان باب البريد ، وكان أبوه من السويداء في حوران ومن التجار .

هذه أحد عشر كتاباً من أمهات الكتب العربية الطبية التي لا يحصى عددها منها ما طبع ومنها من لم يطبع ، ومنها لا يزال موجوداً في خزائن الكتب ، ومنها ما اندثر مع الزمن بسبب الحريق والتمزيق والتغريق . وكان عليّ أن أذكر غيرها ولكن أوردت هذه الأسماء فقط كنماذج لجهود العرب في خدمة الطب ، ولم أذكر خدماتهم في بقية العلوم .

أما ما يتعلق بأدب المهنة وعلاقات الأطباء بعضهم ببعض فقد ذكرت الوصايا التي أوردها ابن أبي أصيبعة عنهم وهي صورة عن أخلاقهم وتفكيرهم ومباديهم .

والآن ونحن في القرن العشرين والطب قد بلغ من الرقي ما لا يحلم به اليونان ولا الرومان ولا آباؤنا العرب . فماذا نستفيد من هذا البحث ؟

الجواب : ان فائدتنا منه هو معرفة أساليب أطبائنا العرب في تقرير الأمور وفهم المسائل ، وتعليل الأعراض والعلل ، ثم تفكيرهم وما كان لهم من اتجاه

في التمحيص والتحقيق والاستقراء ، والتجربة ، والاستنتاج ، وهي للدلالة على ذهنيتهم العلمية واكتشافاتهم العديدة . ثم لربط ماضينا بحاضرنا . فلا ننسى فضلهم ولا نبتعد عن تطوّر العلم في جميع أنواع الطب والطبابة . ولا عن الاختصاص في فروعها وفروع فروعها ، ولا نهمل الإحاطة بالعلوم الأخرى التي هي من ضرورات العلوم الطبية ، ومقدمات لها ، ولا بالعلوم العامة التي تتعلق بمجتمعنا والبيئة التي نعيش فيها ، وأخيراً لنحافظ على قدسيات هذه المهنة ومستلزماتها لنبقى مثالاً يحتذى به في سيرتنا ومعاملاتنا ، وعلاقاتنا ، وعملنا ، وأخلاقنا ، ولا نفسد المقاييس التي فرضها علينا العلم وفرضتها علينا المهنة وفرضها علينا المجتمع ، ولا نكون ساعين وراء المادة كتجار ، ولا أطباء عاملين كصوفيين يهملون المادة ويستسلمون للمعنويات . فالمادة بها قوام العيش ، والمعنويات بها قوام الروح ، والبحث والتجرد بهما قوام العقل . والخير أن يعمل الطبيب لدنياه كما يعمل لذكراه .

أما ثقافتنا فلها أدوارها ولا يستطيع الطبيب أن ينل حق الممارسة وحمل هذا اللقب قبل المرور بها منذ أن يدخل الى معاهد التعليم وهو في الخامسة من عمره الى أن يخرج منها وهو في الثلاثين منه اذا ساعده الحظ ، ومكنته الفرص ، وسار بالتعلم والتحصيل حسب ذكائه ، واستعداده ، وميله ، ومقدار جهده وانشغاله والى أن يتم ما أوجبه التحصيل الابتدائي ، والتحصيل الثانوي ، والتحصيل العالي ، والتحصيل الجامعي ، ثم التخصص والممارسة تحت إشراف المتخصصين من أساتذة الطب والجراحة وأعلامهم في المستشفيات والمخابر والمعاهد الجراحية والطبية .

ولنعلم نحن العرب أن بيننا وبين الغربيين في علومهم ، وفي تفكيرهم ، وفي أسلوب بحثهم العلمي المجرد فارقاً كبيراً وبوناً شاسعاً نحتاج للوصول اليه بما ينوف عن مئة وخمسين سنة مع الجهد والجد والسعي المستديم ، والإرادة

الجبارة مع العلم بأنه يجب أن لا نحتكر العلم ونجعله وقفاً على فئة أو طبقة ؛ بل يجب أن نتركه مشاعاً بين أهل المواهب وأن نحميه من العبث ونحمي رجاله وطلابه من الحاجة كما فعل آباؤنا وكما تفعل الأمم الراقية في عصرنا . والمهم في مسعانا ليس الحصول على الكميات التي نحتاجها من الطب أو سواه ، ولكن الحصول على المنهاج الصحيح والتفكير الصحيح والكيفية التي تمكننا من اكتشاف الحقيقة ، والتجرد للعلم بروح لا يهمها سوى الحصول على المعرفة واظهار الحقيقة ، وبيان الحق .

* * *

مراجع الرسالة

١ — تاريخ (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) لابن أبي أصيبعة موفق الدين أبو العباس المتوفى في (صرخد) من أعمال حوران عام ٦٨٨ هـ .

٢ — تاريخ (حكماء الإسلام) لظهير الدين البيهقي المولود عام ٤٩٩ هـ والمتوفى عام ٥٦٥ هـ .

٣ — (إخبار العلماء بأخبار الحكماء) لجمال الدين القفطي المتوفى عام ٦٤٦ هـ .

٤ — (البيمارستانات في الإسلام) للدكتور أحمد عيسى بك .

٥ — (الطب عند العرب) لخير الله .

٦ — كتاب (الأعلام) لخير الدين الزركلي .

٧ — (كتاب ابن خلكان) المسمى (وفيات الأعيان) .

٨ — دائرة المعارف البريطانية .

٩ — (تاريخ التمدن الإسلامي) لجرجي زيدان .

١٠ — (الحضارة الإسلامية) لكردعلي .

١١ — (قاموس الأعلام) لشمس الدين .

* * *

« موضوعات البحث عن ثقافة الأطباء عند العرب »

١ — أهمية البحث عن ثقافة الأطباء عند العرب .

٢ — نتيجة البحث عن أطباء العرب كانوا موسوعيين .

٣ — لماذا تعلموا العلوم العديدة مضافة الى علوم الطب ؟ وهل كان بينهم من تعلم الطب ولم يتعاطه ؟

٤ — ما هو أسلوب تحصيلهم ؟

٥ — تأثير المحيط والمجتمع على ثقافة الطبيب ، وماذا كان يرجى أن يكون الطبيب في مهنته ؟

٦ — هل من الضرورة التخلق بهذه الصفات ولماذا ؟ وهل نحن في حاجة للاقتداء بها ؟

٧ — استعراض وجيز لنشأة الطب عند مختلف الأمم (عند المصريين والبابليين واليونان) ، وسبب انحصار المهنة برجال الكهنوت وسدنة المعابد .

٨ — أبقراط أول من ألف في الطب ووضع الميثاق الطبي . ما هو هذا الميثاق ؟ وما هو الناموس الذي وضعه والوصية التي تركها ؟

٩ — ما هو رأي أطباء العرب فيمن يريد أن يكون طبيباً ؟ شروط الطبيب مهذب الدين بن هبل ، وشروط عميد أطباء القاهرة ابن رضوان .

١٠ — ترجمة أفلاطون وأريسطو وجالينوس وما ألفوه في علم الطب من الكتب ، وما قاله جالينوس عن نفسه .

١١ — النسطوريون وفضلهم على الطب والترجمة ، مدارسهم .

١٢ — بدء ارتقاء الطب عند العرب ، المكتبات والبيمارستانات ، والمعاهد الطبية ، والإجازات ، وأصول التدريس .

١٣ — الأدلة على عناية العرب بالصحة العامة وإنشائهم البيمارستانات ، صورة عن أصول الاعتناء بها والتدريس فيها ، وأسباب توقف الحضارة العربية وانهيار صروح العلم في البلاد العربية .

١٤ — ما امتاز به أطباء العرب في العهود الذهبية للدول العربية ؟

١٥ — فضل العرب على الطب ، أبحاثهم ، ومؤلفاتهم ، وتضحياتهم ، الرازي ، وابن سينا ، وابن زهر ،

١٦ — عدد الكتب الطبية التي ترجمها الأطباء السريان .

١٧ — الأطباء المشهورون من العرب : الرازي ، والفارابي ، وابن رشد ، وابن سينا .

١٨ — الفارابي وعقيدته .

١٩ — ابن سينا وتاريخ حياته ، وكتبه ، وما يستنتج من سيرته . شعره ، ووصيته ، والرد على من اتهمه بفرط شهوته .

٢٠ — فضل الأطباء العرب على المدنية :

١ = نشر العلم والتعليم .

٢ = جمع الكتب المخطوطة وترجمتها .

٣ = الدقة والعناية بالترجمة .

٤ = إنشاء دار للترجمة وجلب العلماء لها .

٥ = استخدام الأطباء الغرباء لمكانتهم العلمية .

٦ = إنشاء البيمارستان ومعاهد الطب والمكتبات العامة .

٧ = بذل الأموال للعلم والمنشئات .

٨ = تأليف الكتب بعد البحث والتجربة .

٩ — خدمتهم للكيمياء ، والأقرباذين ، والطبيعيات ، والجراحة ، واكتشافهم الكثير من مسببات المرض والعلل ووصفهم لها .

١٠ — أمانة العرب في الترجمة والحفظ .

٢١ — أهم الكتب الطبية العربية الموجودة والمترجمة :

الحاوي ، والملكي ، والقانون ، كتاب تنقيح المناظر ، تذكرة الكحالين ، كتاب التعريف ، كتاب الموجز ، كتاب البشير في المداواة والتبرير ، كتاب المفردات لابن البيطار ، كتاب المختارات ، كتاب التذكرة الهادية في الطب والأقرباذين .

٢٢ — ما امتاز به أطباء العرب من الصفات والأعمال ، وما نحتاج اليه الآن في نهضتنا .

عبد الرحمن الكيالي

نسخة تاسعة

من ديوان ابن عنين

-٣-

وقال يهجو ابن الخرستاني : لا حرستا ص ١٨٥ س ١

ص ١٨٥ س ٨ : ابن النابلسي وقد صفعوه على طريق المازحة ٠

ص ١٨٦ س ١ : وقد تباطأ عن الاجتماع بهم ٠

ص ١٨٦ س ٤ : أي ان هؤلاء (كذا) الاثنين كانا يأمران بصفعه ٠

ص ١٨٧ س ١١ :

قلت هل ثمّ غير جلد خليع ذي قطوع قد رقّعوه بنعل

وغضب ابن النابلسي من ذلك وبقي مدّة لا يطلع الى مجلس السلطان فأمر السلطان الملك المعظّم به فأحضر وصالحه وخلع عليه وأمر له بمركوب فركب وترك من عنده ٠ فعمل فيه يقول : جالَ على حجرته مدلوية ٠

قال جامع الكتاب محمد بن نبهان التغلبي[1] الدمشقي رحمه الله قلت يوماً لشرف الدين قولك : فلعنة الله على والديه

من أردت بها الرحبيّ أو الرشيدَ بن النابلسي ٠ قال أردتها كليهما ولو خدمتني اللعنة في خمسين من جيرانهم لأردتهم بها فرحمه الله ما كان ألطفه ٠

وقال أيضاً في الرشيد (بأتمه ص ١٨٧) ثم بعدُ (الرشيد ص ١٨٨ وزاد في عنوان البيتين وقال أيضاً فيه ويذكر أبا المرجّى راويته) ٠

وقال يهجو الموفق ابراهيم [بن] جعفر بن علية (كذا) النابلسيّ وكان يدّعي الشعر والخطّ وعلم الحساب والتصرّف (كذا) ٠ (٢٧)

(١) الاصل غير منقوط ٠

قالوا الموفق جعفر متصرّف   فأجبتهم في كل فعل كآخرا
قالوا ويَشْمُر قلت يَشْمُر أنه   من نسل كلب كان من شرّ الوَرَى
قالوا فيكتب قلت كم [من] ليلة   قد تاب فيها مُسرمه[1] متهوّرا
قالوا فيَحْسُب قلت جذْر نسائه[2]   ليبقى (كذا) انهنّ أربعُ مَشْجَرا

(٢٨) وقال يهجو شرفَ الدين يعقوب :

لاشيء أخز[ى] من دمشق وحالها   يعقوبُ سائسُها فبئس الحال
وعجبتُ أنى فاتَ عيسى قتلُهُ   بالسيف وهو الأعور الدجّال

وهو أعور كما ذكر . وعيسى يعني[3] به السلطان الملك المعظّم .

وكان الفصيح العجْلي الحذري (كذا) الشاعر قد تاب عن عمل الشعر وشرب في زمن الخريف مسهلاً فكتب شرف [الدين] بن عنين اليه :

(٢٩) قل للفصيح مقال خلّ وامق   ماملتَ عن سَنَن الوفاء ولا النوى
لو لم تكن عن نظم شعرك تائباً   مااحتجت في فصل الخريف الى الدوا

وكان زين الدين بن فُريج[4] في حماه عند صاحبها الملك المنصور وزيراً

(٣٠) وله خبزامير[5] (كذا) وأجناد وطبلخانات وغير ذلك فقال فيه :

لك يا زينُ منزلٌ فوق كيوا   ن رفيعٌ على الدراري أثيرُ
مثل كعب القمار بابن فريج   فأمير طوراً وطوراً وزير

وهذا مأخوذ من قول ابن الر[ا]وندي في أمين الدولة بن حرب وزير بكيارق[6] الصغير وقد عُزل بعد أن وَلي مدّة يسيرة :

---

(١) الاصل بسرمه .
(٢) الاصل نساه .
(٣) الاصل عى .
(٤) فُريج من أسمائهم سمط اللآلي ٢٧٧ .
(٥) لعله مزامير .
(٦) كذا وهو بركياروق .

حكمت وحكم الله في الخلق نافذ | وسلم الليالي غرة[1] يافتى حرب
فازغت عن زيغ وما زلت عادلاً | عن العدل مختالاً من التيه والعجب
فأصبحت مصروف ابن عمك كارهاً | كأنك[2] [قد] نلت الوزارة بالكسب

وهذا معنى شريف مستخرج من مكان سخيف .

وكقوله في ابني شيخ الشيوخ : (٣١)

ولد الشيخ في الإمارة والفقـــــه حليفي (كذا) مال وعز وجاه
فأمير ولا قتال عليه وفقيه والعلم عند الله

قوله والعلم عند الله يكاد يأخذ بمجامع القلوب ويحل من السامع محل المحبوب .

وفيهم أيضاً :

أولا [د] شيخ الشيوخ [إنا] | ألقابنا كلها محال (٣٢)
لا فخر[3] فينا فلا عماد | ولا معين ولا كمال

وقال فيهم وهو بمصر :

إن بني شيخ الشيوخ الأولى | بعضهم نعم بالكامل (٣٣)
خيل وبرك وشافية[4] | وما ورا ذلك من طائل

وقال لما مات الملك المعظم وتسلم الملك الأشرف دمشق (والبلوي ص ١٣٢) :

وقال في صلاح الدين الملك الناصر يخاطبه عند فتوحه الساحل (بالمساجد ص ٢٣٦) .

---

(١) الاصل مصحفاً غره ، ومختالاً من الية العجب .
(٢) الاصل كأنك قلت الوراة .
(٣) أسماؤهم فخر الدين يوسف وعماد الدين عمر ومعين الدين حسن وكمال الدين احمد بنو شيخ الشيوخ صدر الدين أبي الحسن محمد . البداية وذيل الروضتين سنة ٦١٧ هـ .
(٤) كذا .

وأرى الصواب في ص ١٨٨ س ١٠ تظل تَهذِي .

ص ١٩٠ س ٢ : بسطلوسه . ويتلو الأبيات :

(٣٤) وقال يهجو فخر الدين عثمان أستاذ دار الملك الكامل بالديار المصريّة وكان مدحه فلم يعطه شيئاً ولا قضى له حاجة :

أعثمان مُتْ قتلاً بسيف[1] محمّد وتقرير هذا أنه ابن أبي بكر

مدحناك لا نرجو نداك وإنّما نجحّ لامرئ يرجو الندى من صفا صخر

ولكن تصدّقنا عليك بشكرنا لأن بك الفقرَ المُكِبَّ الى الشكر

وكنّا عهدنا المال تؤتى زكاتُه وفي مصر أدّينا الزكاة عن الشعر

ص ١٩٨ س ٧ : مَنيكا .

١٠ : من ذا الذي يرثيك ـ غير واضح ثم :

ويروى أيضاً : فتمثّل المرء للعين بقوله ـ الحق لا يبكيك بعد ـ

ص ١٩٩ س ٢ : وقال أيضاً يهجو زين الأمناء بن عساكر .

س ٦ : وقال في المرتضى بن عساكر أيضاً وقد ضربه عِلق[2] كان يحبّه على وجهه بمداس فيه مسامير فأثّرت في وجهه وشجّته[3] فاختفى في داره أياماً حتّى برأ وجهه ممّا كان فيه من القروح . والصواب في س ١٠ وقد بَرَحَ الخفا .

ص ٢٠١ س ١٠ و ١١ : لقّبوه الخَرا .

ص ٢٠٢ س ٣ : وأدنى رذالةً .

(١) قتل عثمان (رضي الله عنه) محمد بن أبي بكر (رضي الله عنه) .
(٢) العِلق الساقط المروءة على اقبح وجه - عامّية .
(٣) الاصل وسلخته .

ص ٢٠٤ س ٨ : وبدر الدين حسن وقاضي اليمن . فلقبه جمال الدين كما في الشافعية وطبقات فقهاء اليمن ٢٤٣ وترجم له باخرمة ٢ × ١١٨ وليس القاضي ثالث البدور وإنما هو ثالثها في الصفات .

ص ٢٠٣ س ٨ زيادةٌ : بدمشق يهجوه في سنة ٦١٠ هـ .

ص ٢٠٤ س ٥ : حَبِّة وهو الصواب .

ص ١٣٣ س ٩ : وكان الموفق بن المطران الطبيب يهوى غلاماً اسمه عمر وكان شديد الشغف به وكثرت عليه الشناعة به فلم يجد ما يُنقذه من ذلك إلاّ أنه أسلم . فلما أسلم نَبَزه بالتشيّع والرفض فقال فيه يهجوه :

ص ٢٠٧ س ١٣ : لقد مانَ ـ من المَين وهو الصواب . ويتلو البيتين : سئل الشيخ النجيب نجيب الدين عن هذين البيتين فقال هما لشهاب الدين فتيان الشاغوري . وهو الصادق في نقله العالم بفرع هذا الأمر وأصله .

ص ١٤٣ س ٢ : تراه جُنٌّ .

س ٩ : بعده يشير الى القاضي والخطيب .

ص ١١٤ س ٩ : من أحمد العواقب لي .

ص ١٣٦ س ٤ : مائلاً .

ص ١٣٧ س ٤ : زوراً وتحريفاً وإرزاغاً تلطيخاً بالعيب .

ص ٢١٩ س ٥ : واعتلى فوق قدره .

ص ١٤٧ س ٧ : لا جاهُنا يرَجى ولا سطواتنا تُخشى ولا ترَجى .

ص ٢١١ س ٣ : جرجس أرب .

ص ٢١٥ س ١ : وقال في البكري اخ وكذا في البيت . والثالثُ والرابع :

وقد كفيت الدهر في صرفه من كلّ أمر محقر أو جليلْ
وسوف يضحى رَسْمُها بلقعاً وحسبها أنت وبئس الوكيل

س ٦ : لاجين هو حسام الدين بن ستّ الشام أخت صلاح الدين ترجمته في المرآة سنة ٥٨٧ هـ ٠

ص ١٤٤ س ١٢ : وقال في ذمّ ضيوف نزلوا عليه بمدينة بخارا في الليل ٠ وصواب ما هنا واستضافه ٠

ص ٢٢١ س ١١ و ١٢ : ابن مازة ٠ والصواب خرط القتادة ٠

ص ٢٢٢ س ٨ و ٩ : مني مراماً لم ينله ـ أعيى الكماةَ مرامه ٠

ص ٢٢٣ س ١ : قلتُ اذا التاج ٠

٢ : من قبح فعليها ٠

ص ٢١٠ س ٣ : كما شاؤا وقالوا وجيهي ٠

ص ٢٠٢ س ٦ : وكان لنصير أخ اسمه عباس به أبنة ٠

ص ٢٢٤ س ١٣ : لأنني لا أرى فيكم أخا رَشَد ٠

ص ٢٢٨ س ٥ : وقال في الشريف الكحّال ـ لله درّ الأبيات ٠

ص ٢٢٩ س ١ : وكان الزنكلونيّ متسلّم مصحف عثمان فقال يهجوه ٠

ص ٢٣٠ س ٩ : ولا تَخرِدنّ إذا ما ٠

س ١ : يَبعَ الخرا ويَربَحُ ٠

ص ١٣٩ س ٣ : قلّما سرت ضارباً في بلاد الله إلاّ رأيت كهفاً ٠

ص ١٢٩ س ١ : مارقّت حواشيه ـ ولأبي تمّام :

رقّت حواشي الدهر فهي تَمَرمَرُ

ص ٢٣٢ س ٥ : أنواء الحوايا فأنزلت ـ على متنه الأمشاج من كل منزل ٠

ص ١٤٠ س ٣ : ولما كان ببلاد العجم كتب بعض الوزراء دائرة على العرب وكتب عليه بهـا شيئاً فلزمه صاحبها يطالبه فكتب الى ذلك الوزير تمثلي ٠

س ٧ : يريد قوله تعالى : « ومن يعشُ عن ذكر الرحمن نُقيّض له شيطاناً فهو له قرين » . (الميمني)

ص ٢٣٣ س ١ : وقال في الأمير سليمان .

٣ : بشرى مواهبه .

ص ٢٣٤ س ٤ :

فما زادَ مقداراً يزيدَ بملكه الــــرنانُ ولا حَطَّت حسيناً مصائبُهْ

ص ١٩٤ س ٨ : من دُجنّـة الكفر ـ وهو الوجه لأنه أسلم بعد النصرانيّـة .

١٣ : إن قبلتمو عُذري .

س ١٤ : يستثير ـ وهو الصواب .

ص ١٩٥ س ٣ :

وكان هذا المسكين يمحل في الحمـــام هــذي نهاية الأمر

س ٦ : مثل مَنْسِم البَكر ـ وهو الصواب .

س ٩ : بالمُحال ـ (الميمني) .

ص ١٣٠ س ٤ : والخيل كالحة الثنايا .

س ٥ : بقَرنان قتالا .

ص ٩٤ س ٣ : ما اجترّ جرماً لا ولا سرقا .

ص ٢١٦ س ١١ : سرى بابه .

ص ١٧٨ س ٦ : بالـوُدد . عنى معن بن زائدة . وهذا لُغز نحوي .

تمّ الديوان المبارك بحمد الله في حادي عشري محرّم الحرام سنة خمس [و] سبعين وسبع مائة الخ . وكلمة سبع غير واضحة .

كراتشي عبد العزيز الميمني

الزجّاجي

حياته وآثاره

ومذهبه النحوي من خلال كتابه « الإيضاح »

- ٥ -

عرض مذهبي

رأينا في حديثنا عن مذهب الزجاجي النحوي أنه كان ابن عصره وبيئته في بسط المذهبين النحويين والأخذ من كل منهما بطرف كما رأينا أنه كان أكثر ميلاً الى مذهب البصريين ، وان استعراضنا للمسائل الخلافية التي تعرض لها كتاب الإيضاح ليؤيد فكرتنا السابقة عن مذهب الزجاجي في النحو .

أ) الزجاجي بين البصريين والكوفيين

لقد ذاع أمر الخصومة بين البصريين والكوفيين من النحويين ، حتى أصبح الخلاف بينهم موضوعاً للدرس والتأليف ، فدرست عوامله ونوازعه ، وبحثت مسائله ، وقام العلماء يحكمون بين الطرفين معتمدين سبيل العدل و « الانصاف » .

إلا ان الحق الذي لا مرية فيه أن البصريين كانوا أوفر حظاً من خصومهم ، فكثرت مؤلفاتهم وشاعت ، وعاشت آراؤهم سيدة متبعة الى يوم الناس هذا ، على حين لا نجد للكوفيين مؤلفاً يجمع شتات آرائهم وانما هي أقوال منثورة تقع عليها في تضاعيف كتب البصريين أو هي استدراكات يسيرة تذكر بعقب الأصول ، أما كتبهم التي وضعوها واتضحت فيها أصول مذهبهم ، فلم تكتب

لها الحياة طوال الأعصر السالفة ، وما عاش منها لم يكتب له أن يرى نور الطباعة والنشر إلا في هذا العصر المتأخر[١] .

وانه ليجدر بنا الآن ـ وقد اندثر عهد الخلاف وماتت دوافعه ـ أن نعود الى النحو جميعه كوفيه وبصريه فننشره وتتدارسه ، فقد يكون في نحو الكوفيين المغمور ما هو أكثر ملاءمة للغتنا وتطورها من نحو البصريين ، وحسبنا أن نعود الى كتاب الانصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري ونطالع فيه آراء البصريين والكوفيين لنعلم أن الحق لم يكن دوماً الى جانب البصريين وان نظرة الكوفيين في بعض المسائل كانت أكثر سداداً وتفهماً لواقع اللغة من نظرة البصريين .

ولا شك أن خير المصادر لأقوال الكوفيين تلك الكتب التي وضعها المنصفون من العلماء فأعطوا كل ذي حق حقه ، وذكروا لكل طرف نصيبه من الاحسان والاساءة ، وأبو القاسم الزجاجي واحد من هؤلاء الذين يؤلفون « ذاكرين ما بين البصريين والكوفيين من الخلاف ، ومحتجين للفريقين بأجود ما احتجوا به . . . غير متحاملين على أحد الفريقين[٢] » ثم انه تلقى علم كل من الطرفين من أصحابه مباشرة ، فأخذ عن ابن السراج تلميذ المبرد ، كما أخذ عن أبي موسى الحامض تلميذ ثعلب ، وعن الزجاج تلميذهما جميعاً .

(١) ظهر في هذا العصر من كتب الكوفيين كتاب « مجالس ثعلب » ويطبع الآن كتاب « معاني القرآن » للفراء وفيه الكثير من آراء الكوفيين النحوية ، إذ هو تخريج لأساليب القرآن العزيز من جهة النحو ؛ ومن الكتب التي حاولت أن تضم قواعد الكوفيين في النحو كتاب « الموفي في النحو الكوفي » لعبد القادر الكنغراوي المتوفى سنة ١٣٤٩ هـ ، وقد طبع في دمشق ، (وهذا الكتاب من مطبوعات المجمع العلمي العربي بتحقيق الأستاذ محمد بهجة البيطار) .

(٢) مقدمة كتاب الأيضاح .

ونحن إن كنا نظرنا الى كتاب الإيضاح فيما سبق نظرة عامة استعرضنا فيها مواده ونظرة أخرى تاريخية ، فقد يفيدنا الآن أن ننظر اليه من الوجهة المذهبية ـ إذا صح هذا التعبير ـ لنرى ما سجله من آثار الخلاف بين البصريين والكوفيين .

لقد كان للخلاف بين البصريين والكوفيين نصيب في كتاب الإيضاح ، فكان الزجاجي اذا بحث مسألة من مسائل النحو دار حولها شيء من الخلاف بين النحويين ، يذكر هذا الخلاف ويأتي على الآراء المتباينة شرحاً وتفصيلا ، ورداً أو قبولا ، مع نسبة كل رأي الى صاحبه .

والمسائل التي تناولها الزجاجي بالبحث ، وكانت هي أو عللها مثار الخلاف بين البصريين والكوفيين ، سبع مسائل هي :

١ — الفعل والمصدر أيهما اشتق من صاحبه ؟

٢ — الإعراب أحركة هو أم حرف ؟

٣ — المستحق للإعراب والمستحق للبناء من الأسماء والأفعال والحروف .

٤ — علة دخول التنوين في الكلام .

٥ — علة ثقل الفعل وخفة الاسم .

٦ — علة امتناع الأسماء من الجزم .

٧ — اعراب التثنية والجمع .

كان الزجاجي في بعضها ميالاً الى رأي البصريين ـ كما هو في المسألة الأولى منها إذ يقول « نبدأ بذكر احتجاج البصريين لمذهبهم لأنه عندنا الصحيح » وفي المسألة السابعة أيضاً إذ يقول « نبدأ بذكر احتجاج مذهب مذهب ، وماله وما عليه ، ونختم الكتاب بمذهب سيبويه ، وما احتج به له وعليه ، لأنه عندنا هو الصواب دون غيره . . . » ، وكان في بعضها راوية ينقل عن الطرفين ،

ويسجل ما لها وما عليها دون أن يشير الى رأيه في الموضوع كما هو شأنه في المسألتين الرابعة والخامسة .

وإذا بحثنا عن هذه المسائل في كتاب الإنصاف لابن الأنباري وجدنا فيه مسألتين منها فقط ، هما المسألة الأولى ـ وهي المسألة الثامنة والعشرون من مسائل الإنصاف ـ والمسألة الأخيرة ـ وهي الثالثة من مسائل الإنصاف ـ وأما سائر هذه المسائل فقد تفرد الزجاجي بذكرها على تقدم عهده عن ابن الأنباري .

ويتبين لنا بالموازنة بين ما ذكره كل من الزجاجي وابن الأنباري من هذه المسائل أن الزجاجي كان أقل عناية بالحجج النظرية والعلل الفلسفية من ابن الأنباري ، وان أكبر عنايته كانت موجهة الى ما يجري من هذه الحجج والعلل على أوضاع النحو واللغة ، ومن هنا كان الاختلاف في عرض المسألة الواحدة عند كل منهما وفي الحجج التي يوردها للطرفين .

كما يتبين لنا امتياز الزجاجي بنسبته الرأي الى صاحبه ، أو ذكر من يقول به من العلماء ، فبينما يقدم ابن الأنباري لكل دليل يورده بقوله « ومنهم من تمسك بأن الدليل ... » دون ذكر أحد من أصحاب هذا الدليل نجد الزجاجي يعزو القول الى قائله فيقول قال الفراء أو قال الكسائي ، أو يذكر عالماً أخذ بهذا الرأي فيقول مثلاً « دليل آخر للبصريين وكان شيخنا أبو اسحاق الزجاج رحمه الله يستدل به . »

واذا أحصينا الذين روى الزجاجي عنهم في كتاب الإيضاح من رجال المذهبين وجدناهم متساوين عدداً ، ومتسلسلين زماناً من عصر الخليل الى عصر الزجاجي نفسه وهذا جدول بأسمائهم مرتب حسب مذهبهم النحوي وسني وفاتهم .

الخليل بن أحمد (١٧٥ هـ)

البصريون		الكوفيون	
سيبويه	١٨٠ هـ	الكسائي	١٨٩ هـ
قطرب	٢٠٦ هـ	الفراء	٢٠٧ هـ
سعيد بن مسعدة (الأخفش)	٢١٠ هـ	هشام بن معاوية	٢٠٩ هـ
المازني	٢٤٩ هـ	ثعلب	٢٩١ هـ
المبرد	٢٨٥ هـ	الحامض	٣٠٥ هـ
ابن السراج	٣١٦ هـ	ابن الأنباري	٣٢٧ هـ

وقد روى عن غير هؤلاء ممن خلط بين المذهبين وأخذ عن الطرفين وعدّ بغدادياً كما سنرى وجملة القول إن بحث الزجاجي لبعض مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين يعطينا نماذج من علل كل منهم ، ويطلعنا على منهج تفكيرهم النحوي بل يلفتنا الى أن الكثير مما دار الخلاف حوله لا يعدو كونه أمراً نظرياً جدلياً ، غير ذي قيمة عملية ، وان الكثير من هذا الخلاف تناول العلة في ذاتها أكثر مما تناول المعلول ، إذ كثيراً ما اتفق النحويون على شيء ، ثم فرق بينهم الخلاف في تعليله .

ب ــ مذهب البغداديين والزجاجي

من تمام النظرة التاريخية الى كتاب الايضاح أن نساير حياة النحو وتطور مذاهبه فيه ، وأن نقف فيه حيث وقف صاحبه به ، والزجاجي لم يقف عند الرواية عن البصريين والكوفيين ، وذكر ما اختلفوا فيه ، بل تابع السير فروى عمن جاء على أعقابهم ومزج بين آرائهم جميعاً .

وان بوادر الخلاف في الرأي إذا كانت قد أطلت بين الخليل (١٧٥ هـ) والرؤاسي وتركزت بين سيبويه (١٨٠) والكسائي (١٨٩) وبلغت أشدها بين المبرد (٢٧٥) وثعلب (٢٩١) ، فان أوارها أخذ يخبو فيما بعد بين تلاميذ المبرد وثعلب ، أولئك التلاميذ الذين فتحت لهم بغداد أبوابها وازدحمت بهم مساجدها وامتلأت بهم قصور الخلفاء وغيرهم فيها ، فكانت بيئتهم أرحب من البصرة والكوفة وأوسع ، وكانت أبعد عن حمى التعصب ، وحماسة الجدل ، وعزة التمسك بالرأي ، وكانت بغداد ملتقى علماء البصريين ، فكان فيها بسط للعلم واختيار للآراء وأخذ من كل طرف بقول ، على تفاوت في مدى هذا الأخذ وتفاذه .

وفي هذا العصر « البغدادي » عاش الزجاجي ، وعن هؤلاء العلماء الذين مزجوا نحو البصرة بنحو الكوفة تلقى علومه ، أخذ عن ابن كيسان (٢٩٩) والزجاج (٣١١) والأخفش الصغير (٣١٥) ، وكان كل من هؤلاء الثلاثة تلميذاً للمبرد وثعلب . كما أخذ عن علماء بغداديين آخرين كالطبري وابن الخياط وابن شقير ، وكان عدد الذين روى عنهم من البغداديين لا يقل عمن روى عنهم من بصريين أو كوفيين . وحديث الزجاجي عن هؤلاء يطلعنا كيف حصل التمازج ، وكيف نشأت هذه الطبقة ذات العقلية المعتدلة ، والآراء القائمة على الانتخاب والاختيار .

فبعض هؤلاء كان كوفياً ، بل من أعلام الكوفيين ، ثم أخذ عن البصريين حتى أحاط علماً بالمذهبين ، يقول الزجاجي « ومن علماء الكوفيين الذين أخذت عنهم أبو الحسن بن كيسان ، وأبو بكر بن شقير ، وأبو بكر بن الخياط ، لأن هؤلاء قدوة أعلام في علم الكوفيين ، وكان أول اعتمادهم عليه ، ثم درسوا علم البصريين بعد ذلك فجمعوا بين العلمين » وقصة تحول الزجاج عن ثعلب الى المبرد ليست بعيدة عنا .

وترينا رواية الزجاجي لآراء البغداديين كيف قامت طريقتهم على انتخاب الرأي الموافق، دون النظر الى نزعة صاحبه، وأنهم كانوا أحراراً في اختيارهم. كما ترينا أي النحوين البصري والكوفي كان أكثر نفاذاً وسيرورة بين المعتدلين من العلماء. وإذا كان نحو البصرة هو الذي غلب فيما بعد، وكان حظه من الحياة أوفر، فان هذا لا يعني أن نحو الكوفة أهمل، بل لقد كان من البغداديين من يميل الى رأي الكوفيين في كثير من المسائل ويقول به، ففي بحث المستحق للاعراب من الأسماء والأفعال والحروف كان رأي الخليل وسيبويه وجميع البصريين أن المستحق للإعراب من الكلام هو الأسماء. وأما الأفعال والحروف فمستحقة للبناء. وكان رأي الكوفيين أن الإعراب للأسماء والأفعال وأما البناء فللحروف فقط. وكان من أدلة الكوفيين على صحة رأيهم أن قالوا: اذا كانت الأسماء قد استحقت الإعراب لاختلاف معانيها حتى أنا أعربنا الفعل المضارع لمضارعته الأسماء، فان الأفعال أيضاً تختلف معانيها كما اختلفت معاني الأسماء فتكون ماضية ومستقبلة وموجبة ومنفية ومجازى بها، ومأموراً بها، ومنهياً عنها، وتكون للمخاطب والمتكلم والغائب، وللذكر والأنثى فاذا كان اختلاف المعاني أوجب للأسماء الإعراب عندكم فاختلاف هذه المعاني في الأفعال يوجب إعرابها لأنها مثل ذلك أو أكثر. وإلا فما الفرق؟ يقول الزجاجي «وكان ابن شقير يعتل بمثل هذا الاعتلال ويردده كثيراً، وكان شديد التعصب مع الكوفيين مع اعتقاده مذهب البصريين..»

فابن شقير كان عالماً بغدادياً قال بأكثر آراء البصريين، ولكن هذا لم يمنعه أن يقول برأي الكوفيين استحسنه في مسألة ما. وعلى مثل هذا المزج والاختيار قام مذهب بغداد.

أما الزجاجي نفسه، فكان يعرض أقوال البصريين والكوفيين وحججهم،

وكان الميل الى البصريين هو الغالب عليه . وموقفه من هذين الطرفين ، وآراؤه هو آخر ما نتحدث عنه في تأريخنا لمواد كتاب الإيضاح .

لقد كانت نظرة الزجاجي الى النحو نظرة تقوم على الإجلال والقداسة ، لأن النحو هو العلم الذي تعرف به لغة القرآن الكريم وتدرك به أحاديث النبي .

فما زالت العربية ـ إلى أيام أبي القاسم ـ شديدة الصلة بالدين ، فهي لغة القرآن وآلة علومه ، وهو الباعث على حفظها وخدمتها .

وليس في كتاب الإيضاح ما يدلنا على مفهوم « النحو » عند الزجاجي أو عند أهل عصره سوى ما كان من أمر الإشارة الى أخذ معناه من كلمة أبي الأسود الدؤلي حين وضع شيئاً منه ثم قال : انحوا هذا النحو . وأما حده عند الزجاجي فهو اسم لهذا الجنس من العلم .. بل أن مدلول النحو قد يضيق عنده حتى يصبح قاصراً على الإعراب فيقول « ويسمى النحو إعراباً . والإعراب نحواً ، سماعاً لأن الغرض طلب علم واحد » ولعله يريد بذلك أن يبرز لنا اهتمام النحاة بالإعراب خاصة من بين موضوعات النحو عامة . وعلى كل فإن هـذا الباب الذي تحدث فيه الزجاجي عن حدود النحو واللغة والإعراب والغريب يعطينا فكرة عن وضع المصطلحات واستعمالها في ذلك العصر ، فهي مصطلحات مازالت ملتصقة بالمعنى اللغوي للمصطلح ، لم تبتعد عنه ، فالنحو من « انحوا » أي اقصدوا ، والإعراب من أعرب أي أبان ، ثم سميت الحركات إعراباً لأنها تبين عن المعاني ... وأما اللغة فهي العربية ...

ومثل هذه البداية في التعريف والقرب في التعليل ما نجده عند الزجاجي حين يتحدث عن معنى الرفع والنصب والجر أو الخفض ، فيجعلها مأخوذة من حركة الحنك عند التلفظ بها .

على أن الأمر الذي يجب أن نقف عنده ، ونعظم شأنه ونحن نؤرخ لعمل الزجاجي هو تأليفه في العلل ، وحديثه عنها هذا الحديث النظري المجرد .

فقد دارت العلة على ألسن النحويين منذ القديم ، قبل الزجاجي وبعده ، ولكن لم يتحدث عنها أحد من الذين سبقوه ، نعم لقد كانوا يعلّلون بعض أحكامهم ويلتمسون العلل للظواهر اللغوية أو النحوية التي وجدوها ، ولكنهم لم يتحدثوا عن التعليل نفسه من أين استقوه ؟ وما هي أنواعه ومسالكه ؟ وعمل أبي القاسم الزجاجي هو أول خطوة في هذا السبيل إن صح أنه أول من ألف في العلة كما ذكر هو عن نفسه .

ولست أقصد هنا الى الحديث عن تاريخ العلة في النحو العربي ، ولكني أريد أن أذكر أن خطوة الزجاجي هذه — وان لم تكن الأولى — يمكن اعتبارها بدء التطور في تاريخ العلة ، وفاصلاً بين مرحلتين اثنتين : مرحلة التعليل بأعقاب الأحكام النحوية كما هو الأمر عند سيبويه ومرحلة الحديث عن التعليل ذاته ؛ مصادره وأنواعه ومسالكه كما هو الأمر عند ابن جني . وبعبارة أوضح يمكن اعتبار عمل الزجاجي فاصلاً بين مرحلة التعليل ومرحلة تأريخ التعليل ، كما يمكن اعتبار حديثه عن العلة أول حديث نظري مجرّد وصل الينا .

* * *

مصادر ترجمة الزجاجي

١ — اشارة التعيين الى تراجم النحاة اللغويين لأبي المحاسن عبد الباقي الشافعي . (مخطوط في دار الكتب المصرية بالقاهرة . رقم/ ١٦١٢ تاريخ) الورقة : ٢٦

٢ — الاكمال في رفع الارتياب عن المختلف والمؤتلف من الأسماء والكنى والأنساب لابن ماكولا . (مخطوط في دار الكتب المصرية بالقاهرة . رقم/٨ مصطلح حديث) ج ٢ ورقة : ١١

٣ — إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي ٢ : ١٦٠

٤ — الأنساب للسمعاني : ٢٧٢

٥ — بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : ٢٩٧

٦ — تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١ : ١١٠ والذيل ١ : ١٧٠

٧ — تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر . (مخطوط في المكتبة الظاهرية بدمشق . رقم/ ٨ تاريخ) ج ٩ : ٤٣٢

٨ — الجُمَل للزجاجي . فيه مقدمة لمحققه الشيخ ابن أبي شنب .

٩ — روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات لمحمد باقر الموسوي : ٤٣٥

١٠ — شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ٢ : ٣٥٧

١١ — طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر الزبيدي : ١٣٩

١٢ — طبقات النحاة واللغويين لابن قاضي شهبة (مخطوط في الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية بالقاهرة . رقم/٢١٤٦ تاريخ تيمور .) ٢ : ٦٥

١٣ — عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي . (مخطوط في دار الكتب المصرية بالقاهرة . رقم ١٤٩٧ تاريخ) . وفيات سنة ٣٤٠

١٤ — فهرسة ابن خير الاشبيلي : ٣٤٤

١٥ — فهرسة ابن النديم : ٨٠

١٦ — الكامل لابن الأثير ٨ : ١٩٤

١٧ — مرآة الجنان وعبرة اليقظان لليافعي ٢ : ٣٣٢

١٨ — النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي ٣ : ٣٠٢

١٩ — نزهة الألبا في طبقات الأدباء لابن الأنباري : ٢٧٩

٢٠ — وفيات الأعيان لابن خلكان { طبعة باريس ١ : ٣٨٩
طبعة بولاق ١ : ٣٤٩ }

مازن المبارك

جمال الدين القاسمي

(١٢٨٣ ـ ١٣٣٢ هـ)

ثقافته العامة

روى الإمام القاسمي في ترجمته لنفسه مصادر العلوم الأساسية التي كانت عدة طالب العلم في ذلك العصر ، والتي قرأها على مشايخه . فالمقصد الأصلي عند علماء الدين هو خدمة الشريعة ، بدراسة الكتاب والسنة وفهمها ، والعمل بتعاليمها . فكان طالب العلم يبدأ بحفظ القرآن الكريم ، منذ الطفولة المبكرة . ثم يأخذ بأطراف العلوم الأخرى تباعاً ، وفقاً لتوجيه أستاذه ، ولاستعداده الشخصي . وكان لا بد لفهم الكتاب والسنة من اتقان علوم أخرى ، كاللغة والنحو والصرف والأصول والبلاغة والبديع والبيان وغير ذلك . ولهذا كان كل ما عدا الكتاب والسنة يسمى علوم الآلة ، أي أنها آلات لفهمها .

درج الإمام القاسمي على الطريقة نفسها ، ثم أخذت الملكة الأدبية تنمو لديه بتوجيه من والده رحمه الله ، وباستعداده الشخصي . فأخذ بالاطلاع على أمهات كتب الأدب ودراسة بعضها دراسة تعمق وإتقان . ثم دفعه ولعه بالاطلاع ، وغرامه بالمطالعة الى اقتناء معظم ما أنتجته المطبعة العربية في عصره ، سواء أكان ذلك من مطبعة الجوائب في القسطنطينية أم المطابع المصرية أم المغربية أم الهندية أم الشامية أم غيرها .

ولعل أوضح عنوان لثقافته العامة مؤلفاته ومكتبته الخاصة التي ما زالت محفوظة حتى اليوم ، والتي بدأ بتأسيسها جده المرحوم الشيخ قاسم ، والتي ضمت

كثيراً من المخطوطات ووسعها أبوه ، ثم أضاف اليها هو نفسه ما استطاع اقتناءه من مخطوط ومطبوع .

ولم يكن لرجال الدين في عصره أي اهتمام بغير كتب الفقه والآلة . أما الإمام فقد صرف اهتمامه الى جميع أنواع المعرفة التي أخذت في الانتشار ، وعزم على أن يتعلم في شبابه وكهولته ما فاته تعلمه في صغره .

ففي مكتبته الخاصة كتب شتى ، لم يخل واحد منها من تصحيح أو تعليق أو إشارة الى قراءته على أحد الاختصاصيين . فالى جانب كتب التفسير والحديث والفقه واللغة والتصوف والأدب والتاريخ والأصول وغيرها ، ترى كتب الفلسفة القديمة والحديثة ، وكتب الاجتماع ، وكتب الرياضيات القديمة والحديثة . وقد رأيت في مكتبته أنه قرأ أحدها على المرحوم صادق النقشبندي كما وجدت كتاباً في الرياضيات ، مطبوعاً على الحجر ، اسمه شرح أشكال التأسيس لموسى قاضي زاده ، مصححه على نسخة شيخه الشيخ محمد الخاني والمقروءة على شيخه الشيخ محمد الطندتائي ، وذلك عام ١٣٠٨ ، وكتب الجغرافيا ، وقد قرأ أحدها على المرحوم عبد الوهاب الانكليزي . وكان كل من النقشبندي والانكليزي أصغر منه سناً ، ومن شباب الجيل الذين أخذوا العلم في المدارس الحديثة العالية .

أضف الى ذلك رغبته في الاطلاع على الدراسات القانونية الحديثة ، التي ألفت في مطلع هذا القرن ، وأخرجتها المطابع المصرية ، فترى في مكتبته «مقابلات» وهو أحد الكتب الذي قارن الشريعة الإسلامية بشرائع اليهود ، والقوانين الفرنسية الحديثة .

ولم تخل مكتبته من كتب الفرق الإسلامية ، كالشيعة والزيدية والمعتزلة والظاهرية وغيرها وأخذ عنها في تآليفه ما وجد فيه تأييداً لفكرته ، أو تقوية لطريقته . وورد على بعضها في بعض مؤلفاته .

كما أنها لم تخل من كتب الديانات الأخرى ، كاليهودية والنصرانية [1] .
ففيها مجموعة قاربت مئة كتاب ، قرأها كلها ، ودرس مضامينها ، وانتفع بكثير منها لتأييد آرائه وأفكاره .

ومن الآثار الواضحة لثقافته العامة ، مؤلفاته العديدة . فقد ألف في مواضيع نادرة ومتعددة . ويكفي أن تلقي نظرة على أسماء الكتب التي ألفها ، سواء أكان في صباه أو في كهولته ، لترى من هذه الأسماء ، شغف الإمام بفنون المعرفة وألوانها ، ورغبته الواسعة في تناول العلم والإحاطة فيه ، لو أن الإحاطة ممكنة . فالى جانب مؤلفاته في التفسير والحديث والأصول ، ترى كتاباً في تاريخ دمشق ، ورسالة في الجن ، وكتيباً في الشاي والقهوة والدخان ، ومقالة عن القلب ، وسفراً في دلائل التوحيد ، ومباحث في أحكام الشريعة في الجماعة المتالثة بالواحد ، وكتاباً في الآداب والأخلاق ، الى غير ذلك مما تراه واضحاً في عناوين كتبه وأسمائها .

وترى آثار ثقافته العامة في هذه الكتب نفسها أيضاً ، وتعجب لهذا الشيخ الذي عرف قبل أكثر من نصف قرن ماهي الاشتراكية ، وما مدلولها وما معناها . وكان ذلك في زمان ما أظن أن في البلاد الشامية كلها ، لا بل وفي العالم العربي ، أكثر من أفراد معدودين قد سمعوا بالاشتراكية ووعوا معناها .
اسمعه يقول [2] :

«ان العالم لما أخذ الله عليه الصدع بالحق ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وأن لا يخاف في الله لومة لائم ، كان معرضاً من أعداء أنفسهم ، وعبيد أهوائهم ، للشنآن والنبز بالألقاب ، فتراهم ان وجدوه يميل النظر في

---

(١) في مفكرة عام ١٣٢٤ ـ ٣٠ جمادى الأولى = ١١ تموز ١٩٠٦ : (وأرسل لي في النهار الشيخ طاهر الجازئري عدة كتب من كتب النصارى هدية) .
(٢) الفتوى في الاسلام ص ٦٦ .

الأدلة على الأحكام ، والوقوف على مآخذ المذاهب والأقوال ، وتحري الأقوم والأصلح ، بدون تعصب لإمام ، ولا تحزب لآخر ، نبزوه بالاجتهاد ، وسموه (مجتهداً) تهكماً ، مع أنه بذلك لم يقم إلا بواجبه .

« وان أبصروا ميله لعلوم الحكمة والرياضيات ، وتشويقه لاقتطاف ثماره سموه (طبيعياً) .

« وان رأوا حثه على البذل والانفاق في سبيل الله ، ودعواه الموسرين للعطف على البؤساء ، لقبوه اشتراكياً ...... »

ولو قرأت كتابه « دلائل التوحيد » ، لرأيت فيه حصيلة حسنة من علوم الفلك والجغرافيا والحيوان والنبات والجيولوجيا [1] . وينقل عن الفارابي بحثاً فيرى أنه قد استعمل كلمة (انولوجيا) فيصححها في الهامش ويقول [2] : كذا في الأصل ، وصوابه (تهئولوجيا) ومعناها علم الإلهيات .

ويوم ألف في موضوع الجن رسالته الشهيرة « مذاهب الأعراب وفلاسفة الإسلام في الجن » ، لم تفته الاستعانة بطلابه الذين أتقنوا الفرنسية والانكليزية ، فنقلوا له - على ما يظهر - ما جاء في معجم لاروس وفي دائرة المعارف البريطانية ، ما جاء فيها تحت كلمة « جن » [3] .

ثم يؤلف كتابه « إرشاد الخلق الى العمل بخبر البرق » ، فيجعل خاتمة (في طرف تاريخية ولطائف أدبية) ، يبحث فيها عن « التلغراف » [4] ومعناه ، واشتقاقه من اللغة اليونانية ، وأول من استعمل الكهرباء في المخابرة عن بعد ،

---

(١) ص ٤٨ وغيرها .
(٢) ص ٦٤ .
(٣) ص ٤٧ - ٤٨ .
(٤) ص ٧٥ .

وكذلك «التلفون» ثم يحيل المطالع الى دوائر المعارف والمعاجم . ولا يغيب عن ذهنه أن يشير في بضعة أسطر الى (التلغراف اللاسلكي) الذي كان حديث العهد بالظهور، يوم وضع هذا الكتاب، حيث لم يمض على تجاربه الأولى أكثر من ثلاث سنوات .

ويحدث أن يصاب عام ١٣٢٠ بمرض «البواسير»، فيتألم، ويدفعه ألمه الى البحث عن هذا المرض بحثاً علمياً، ويضع في ذلك رسالة معروفة سماها: «ما قاله الأطباء المشاهير، في علاج البواسير» التي قال عنها الأستاذ الدكتور عزة مريدن عميد كلية الطب وأستاذ علم الأدوية وفن المداواة، بعد أن اطلع عليها: «رسالة جامعة لكل ما يريد الباحث معرفته مما قيل عن هذا المرض قديماً وحديثاً . ولئن كانت الرسالة لم تتضمن من الأدوية ما عرفت تأثيراته في الأيام الأخيرة، فلأن المؤلف رحمه الله لم يلحق عهد المُرْديات، وعهد النهضة الطبية الحديثة . ومع ذلك فان الرسالة تظل تحمل قيمتها العلمية والأثرية، فضلاً عما تحمله بين طياتها من معاني الدأب، والدقة في البحث، والحرص على الاطلاع . . . . . »

ويبدو له أن يؤلف كتاباً في «شرف الأسباط» ليؤكد فيه أن الاتصال من ناحية الأم، هو كالاتصال من ناحية الأب، لا فرق بينهما من الوجهة الشرعية، ويروي أدلته من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين، والأئمة، ثم يضيف الى هذا كله ما قاله علماء (البيولوجيا)[1] ـ علماء الحياة ـ من موافقة الأولاد لوالديهم في بعض الأوضاع الجنسية، والصفات النفسية . . . .

ويعقد في كتابه «تعطير المشام، في مآثر دمشق والشام» فصلاً عن «الزراعة في الشام والذرائع لاصلاحها»، فتراه يشير الى السمادات الكيماوية

---

(١) ص ٤٥ .

وأنواعها : الفسفورية ، والبوتاسية ... والى ضرورة استعمال الآلات الميكانيكية في الحرث والحصاد ، والى الآفات والأمراض والحشرات الزراعيــة وطرق مكافحتها [(١)] ....

ويؤلف كتاباً يسميه «جوامع الآداب» ، فيتحدث فيه عن (أدب النائب في مجلس المبعوثين [(٢)]) . فنرى في هذا البحث من معاني الديمقراطية ، ما لم يكن معروفاً ولا مألوفاً في ذلك الزمان ، فالنائب «لا يطلب بين خزائن النقود ، ولا من وراء مجوف النعمة ورغد العيش ، فان من ترفع عنك لا يهبط اليك» .

ولا يفوته حين يشير الى صفات النائب أن يشترط تضلعه في علم الحقوق ، ومعرفته لحركة المجالس النيابية عند الأمم الراقية ، وإدراكه علائق حكومته بحكومات أوربا ، وما نالته منا من الامتيازات [(٣)] ، وأن يكون قادراً على الاستخراج من كتب السياسة والإدارة والقضاء باحدى اللغات الأجنبية .

ويدرك ببصيرته النافذة ما للمخترعات الحديثة من خطر في تطوير المجتمع ، وما ينتظر لها من تقدم وارتقاء فيعلن أن «ما ظهر من التلغراف هو قطرة من بحر ما سيظهر في العصور التالية من المكتشفات والمخترعات (ويخلق ما لا تعلمون) مما فيه مرتفق للناس ، ومنتفع لهم ، وخدمة لعامة طبقاتهم [(٤)] ...»

ويضيف الى هذا ضرورة الاستفادة منها فيقول : «فاذا لم تطبق أمورها على الأصول المقررة بالاستنباط أو القياس ، فهل نجمد في الدين ، ونخالف طريقة المتقدمين والمتأخرين ، ونضيق ما وسعه الله من الفهم والاستنباط أبد الآبدين [(٣)] .»

(١) تعطير الشام : ج ٣ (مخطوط) .
(٢) ص ١١٢ .
(٣) يلاحظ أن هذا البحث كتب في ظل الحكم العثماني .
(٤) إرشاد الخلق ص ٤ .

ولم يقف رحمه الله عند حدود كتب الشريعة واللغة والأدب والتاريخ ، وإنما تعداها الى كتب القوانين الحديثة وشروحها ، والمبادىء التي أخذت بها ، فيستشهد بقانون التجارة وشروحه ، وقوة المراسلات ـ منها البرق ـ في الاثبات بين الخصوم[1] .

ولا يتردد في تقرير كروية الأرض ، في وقت كان الناس يرون القول بها كفراً[2] .

ويؤلمه جهل المفتين ، فيدعو لا الى ضرورة احاطتهم بعلوم الشريعة فحسب ، بل الى وجوب معرفتهم بالعلوم الرياضية ، فيعقد لذلك فصلاً هاماً في كتابه « الفتوى في الإسلام[3] » .

ومن مشاكل العالم الكبرى في العصر الحديث « التمييز بسبب العنصر أو العرق أو اللون » وقد استأثرت هذه المشكلة بأبحاث الكثيرين من العلماء في الشرق والغرب ، كما كانت وما زالت موضوعاً رئيسياً من مواضيع المؤتمرات والهيآت الدولية[4] . وقد تعجب حين تعلم أن القاسمي قد عالج هذا الموضوع عام ١٣٢١ ـ ١٩٠٤ فقرر أن « منشأ هذه الخرافة استعباد الزنوج ، وأن من أحق قامة الذل والهوان ، نهض يطالب بحقوقه المهضومة ، ويناقش ظُلاَّمَهُ الحساب[5] » .

ويرى أن « السياسة مصابرة المكاره ، ومسايرة الأهوال والمصاعب ،

(١) إرشاد الخلق ص ٥٧ .
(٢) دلائل التوحيد ص ٣٥ .
(٣) ص ٥٠ .
(٤) راجع قرارات مؤتمر الحقوقيين الآسيويين الافريقيين المنعقد في دمشق بين ٧ ـ ١٠ تشرين الثاني ١٩٥٧ ص ١٥٦ وقرارات مؤتمر التضامن الآسيوي الافريقي المنعقد في القاهرة .
(٥) دفتر أواخر شوال ١٣٢١ (مخطوط) الورقة ٣٩ .

وركوب الأسنة ، وتحيّن الفرص والظروف . وأن أصارع القوي وأنا الضعيف ، وأكافح الكمي وأنا الأعزل .[1] »

وقد أولع عام ١٣٢٥ = ١٩٠٧ بفقه اللغات (فيلولوجيا) ، وأخذ يبحث عن أصول بعض الألفاظ المعرّبة من لغاتها الأصلية : اليونانية ، والسريانية ، والعبرية ، والفارسية ، والقبطية ، والألمانية ، والإيطالية والفرنسية وغيرها . وقيد في مفكرته اليومية[2] لذلك العام بعض دراسته في هذا الموضوع الفني ، مشيراً أحياناً الى مصدرها .

وعلى الجملة فقد كان رحمه الله آخذاً بأطراف المعرفة من كل سبب ، لم يمنعه عن ذلك مخالفة في الدين أو المذهب أو العقيدة أو الطريقة . وأتاحت له حريته الفكرية أن يجول في آثار عقول الأمم على اختلاف مللهم ونحلهم ، يحدوه الى ذلك رغبته في خدمة الشريعة ، وهدفه في الإفادة والاستفادة .

ظافر القاسمي



(١) المصدر نفسه الورقة ٤٢ .
(٢) ٢١ ـ ٣٠ ذي الحجة ١٣٤٢ .

متنبي ايران في الشام

سعدي الشيرازي

سعدي الشيرازي ؛ مصلح الدين ، أبو محمد ، عبد الله بن مشرف بن مصلح ابن مشرف ؛ أكبر شعراء ايران ، وإمام الأدب الفارسي في كل العصور .

لقب بالشيخ سعدي[1] ؛ انتساباً الى الأمير الشاهزاده[2] الأتابك ، مظفر الدين (سعد)[3] بن أبي بكر سعد بن زنكي ، حاكم شيراز[4] . فقد تعوّد الشعراء غير العرب ، وبعض الشعراء العرب المتأخرين ـ أيضاً ـ التلقب في شعرهم باسم يختارونه ، ويشتهره الناس ، يسمّى (التخلّص) . وهم يذكرونه عادة في آخر أبيات القصيدة والغزل أو ما قبله[5] .

ولد سعدي في شيراز[6] ـ مدينة البلبل والورد ـ في العشر الأول من القرن السابع الهجري[7] . وذاق ألم اليتم وهو طفل ، وحرم ظل الأبوة

(١) تلخيص مجمع الآداب ص ٥٥١

(٢) الشاهزاده : أي ؛ ابن الملك . تراجع المتنبي وسعدي ص ٥

(٣) تاريخ گزيده ج ١ ص ٨٢٠ ، وتلخيص مجمع الآداب ص ٥٥١

(٤) توفي سنة ٦٥٨ هـ ـ تراجع تاريخ گزيده ج ١ ص ٥٠٨

(٥) لاحظ « التخلص » في : فضولي البغدادي ص ٩ وفرنودسار ج ٢ ص ٨٢٩ ، وفرهنگ نظام ج ٢ ص ٢٢١ ، وتاريخ الشعر العثماني ج ١ ص ١٠٣ ـ ولم يوفق صاحب كتاب « مباحث عراقية » ج ٢ ص ٢٢٣ إلى الصواب في شرح معنى التخلص .

(٦) گلستان ص ١٣٦ : « سألني عن مولدي ؛ قلت : ارض شيراز »

(٧) سعدى نامه ص ٧٩ ـ ٨٠

وهو صبي[١] . وقد كان رجال أسرته كلهم علماء[٢] فشدا مقدمات العلوم في بلدة شيراز[٣] . وفارقها أيام اضطراب بلاد فارس ، قبل سنة ٦٢٣ هـ[٤] ، فأتى العراق ـ[٥] وهو في ريعان شبابه .

وقد كانت بغداد ـ حينئذ ـ دار العلم وينبوع الآداب[٦] . فقرأ في معهدها القرآن والحديث والكلام ، وسمع في مدارسها التفسير والأدب والفقه ، وتعلم في مساجدها الوعظ ، وتلقن في مجالسها الحكمة والشعر[٧] .

وأقام بالمدرسة النظامية[٨] ، ودرس فيها ، وعيّن معيداً بها[٩] واتصل بأساتذتها ، فاغترف من علمهم ، واستفاد من أدبهم ، واجتمع مع كثير من الصوفية والعارفين ، ولا سيما الشيخ شهاب الدين السهروردي[١٠] ، والشيخ جمال الدين ، أبي الفرج ، عبد الرحمن بن محيي الدين أبي محمد يوسف بن جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ، ابن الجوزي[١١] .

(١) قال في بوستان ص ٧٠ : « انا اعرف الم الأيتام ؛ فقد حرمت ظل الوالد وانا طفل »
(٢) قال في غزليات ص ١٨ : « كل اسرتي علماء »
(٣) مقدمة قريب صفحة / ل
(٤) سعدي نامه ص ٧٧
(٥) سعدي نامه ص ٧١
(٦) المتنبي وسعدي ص ٤٠ ـ ٤٧
(٧) المتنبي وسعدي صفحة يز ـ يح
(٨) سعدي نامه ص ٧١
(٩) قال في بوستان ص ١٨٦ : « كنت أعيد الدروس في النظامية ليلاً ونهاراً . وأعطى فيها ادراراً »
(١٠) شد الازار ص ٤٦١ . وقال سعدي في بوستان ص ١٧٥ : « محضني الشيخ العالم المرشد الشهاب نصيحتين . . »
(١١) گلستان ص ٦٥ : « أمرني الشيخ الأجل ابو الفرج ابن الجوزي ـ رحمة الله عليه ـ بترك السماع »

ثم سافر من بغداد إلى الشام ، وأقام بها ، واعتكف في جامعها [١] ، وصادق أفاضلها [٢] ، ولبث فيها سنين ، وجوّب في بلادها . فقد وعظ في جامع بعلبك [٣] ، وأسر مع الافرنج في خندق طرابلس [٤] ، وتزوج ابنة بعض رؤساء حلب [٥] ، ووصف دمشق لمّا أسنتت ، وقحط مطرها ، وأصاب أهلها الجدب [٦] ؛ في عصره ـ في أواسط القرن السابع الهجري .

وذكر تجارة حلب في أيامه ؛ فقد كان تجار جزيرة كيش في الخليج الفارسيّ ـ كما يقول ـ يتسوّقون فيها ، فيأتون بالفولاذ الهندي ، ويحملون الزجاج الحلبي إلى اليمن [٧] وقد ذكر سعدي سورية في ١٦ موضعاً [٨] من (الكليات) ـ عدا ديوان الغزل ـ وتخلل ديوانه منها اسم بعلبك [٩] ، وحلب [١٠] ، ودمشق [١١] ، والشام [١٢] ، وطرابلس [١٣] ، ولبنان [١٤] .

(١) گلستان ص ٢٥
(٢) گلستان ص ٧٤
(٣) گلستان ص ٦٠
(٤) گلستان ص ٧٤
(٥) گلستان ص ٧٤ ـ ٧٥
(٦) بوستان ص ٣٦ ـ ٣٨
(٧) گلستان ص ١٠٠
(٨) سيأتي تبيانها في ختام المقالة
(٩) گلستان ص ٦٠
(١٠) گلستان ص ٧٤ و ٨٨ و ١٠٠
(١١) گلستان ص ٢٥ و ٥٩ و ٧٤ و ١٤٦ ـ وبوستان ص ٣٦ ـ ٣٨
(١٢) گلستان ص ٦٩ و ١٥٥ و ١٦١ ـ ومواعظ ص ٨٤ و ٣٩٥ .
(١٣) گلستان ص ٧٤
(١٤) گلستان ص ٥٩

وغادر الشام فورد أرض الروم (تركية) وسار في الآفاق ، وزار كثيراً من الممالك الاسلامية ؛ فالتقى برجال العلم والثقافة في ذلك العصر [١] .

أدرك سعدي سقوط الخلافة ، فبكى على بني العباس ، ورثى بغداد والمدرسة المستنصرية بقصيدة طويلة [٢] في ٩٣ بيتاً ، وتمنى لو مات قبل أن يرى خراب مدينة السلام ، وشبّه نفسه بالخنساء في كثرة البكاء على بغداد [٣] .

ولم يستطع أن يبقى في العراق بعد داهية المغول ؛ فرجع الى شيراز ـ في أواخر عهد سعد بن زنكي [٤] . ولكنّه ظل وفياً للعراق ؛ يلهج به ، ويثني عليه ، ويحبّه . وقد ذكره في ٧٠ موضعاً من ديوانه [٥] ، وكان يقول :

لم تطب لي الإقامة
في أي مكان
بعد العراق [٦]

وقال :

ضاق صدري في شيراز
فاذكروا لي بغداد [٧]

وهكذا كان شأن الشام ، التي لم تلتق إلاّ بذكراها شفتاه ، ولم ير مثلها دار إقامة ـ إذا ضاق صدره بالحياة في وطنه ، وملّ فارس ، وسئم شيراز .

---

(١) المتنبي وسعدي ص ٦ ، وتراجع منتخبات أدبيات فارسي ص ٢٢١ ، وسعدى نامه ص ٧١ ، ومقدمة قريب صفحة / له
(٢) ديوان « مواعظ » ص ٩١ ـ ٥
(٣) المتنبي وسعدي صفحة / ج ؛ وتراجع ص ٧٣ ـ ٧٧
(٤) سعدي نامه ص ٧٧ ، والمتنبي وسعدي ص ٦
(٥) تراجع ـ المتنبي وسعدي ص ٦٦ ـ ٧٧
(٦) ديوان « غزليات » ص ٣٢٨ ، والمتنبي وسعدي ص ٧١
(٧) ديوان « غزليات » ص ٢٠٤ ، والمتنبي وسعدي ص ٧٠

وكان سلطان شيراز وابنه يحترمان سعدي ، ويعظمانه ، ويستفيدان من أدبه ، ويقتبسان من حكمته [١] .

وأمضى هذا الحكيم النابغة أواخر عمره في الإرشاد ، والموعظة ، وهداية الناس ، والدعوة إلى المثل الإنسانية ، ومكارم الأخلاق [٢] . حتى توفي في سنة ٦٩٤ هـ [٣] ودفن في خانقاهه بشيراز [٤] .

وقد أحاطت به قدسية عريضة بعد موته ، وما زال قبره مزار الناس كافة ، يتيمنون به ويتبركون [٥] .

أحب سعدي العراق ، وأغرم بالمتنبي فيه ، وهنالك تلقى ديوانه ، وأولع به ، وأعجب بشعره [٦] .

ولا يتعجب أحد من عناية سعدي بديوان المتنبي ، فان للمتنبي مكاناً مرموقاً في الأدب الفارسي [٧] ، وأثر أفكاره واضح شديد في كتب المؤلفين ، ورسائل الكتاب ، ودواوين الشعر .

فقد اقتبس منه فحول شعراء ايران ؛ كالمنصري البلخي [٨] والمنوچهري الدامغاني [٩] ، وفخر الدين الگرگاني [١٠] ، والأسدي الطوسي [١١] ، ومسعود

---

(١) منتخبات ادبيات فارسي ص ٢٢١
(٢) المتنبي وسعدي ص ٧
(٣) الحوادث الجامعة ص ٤٨٩
(٤) شد الازار ص ٤٦٢
(٥) المتنبي وسعدي صفحة / يج
(٦) المتنبي وسعدي صفحة / يح
(٧) المتنبي وسعدي ص ١٠ ـ ١٧
(٨) توفي سنة ٤٣١ هـ
(٩) توفي سنة ٤٣٢ هـ
(١٠) توفي بعد سنة ٤٤٢ هـ (ظ ؟)
(١١) توفي بعد سنة ٤٦٨ هـ (ظ ؟)

سعد سلمان [١]، والأمير المعزّي [٢]، والأديب صابر الترمذي [٣]، والانوري [٤]، وجمال الدين الاصفهاني [٥]، وظهير الدين الفاريابي [٦] [٧] وهم أركان الأدب الفارسي . ولا يخلو كتاب فارسي من التمثل بأبياته [٨][٩] .

ترك سعدي كتاب (گلستان) وثلاثة دواوين في ١٣٠٠ صفحة، تشتمل على ١٧٠٠٠ بيت أو أكثر .

---

(١) توفي سنة ٥١٥ هـ
(٢) توفي بين سنة ٥١٨ و ٥٢١ هـ
(٣) توفي سنة ٥٤٦ هـ
(٤) توفي سنة ٥٦٥ هـ
(٥) توفي سنة ٥٨٨ هـ
(٦) توفي سنة ٥٩٨ هـ
(٧) وتراجم المتنبي وسعدي ص ١٨ ـ ٣٢
(٨) ككتاب كشف المحجوب للهجويري ، وتاريخ بيهق لأبي الفضل البيهقي الكاتب ، ومكاتيب فارسي غزالي للغزالي ، وتمهيدات لعين القضاة الهمداني ، وكليله ودمنه الفارسي لنصر الله بن محمد بن عبد الحميد المنشئ ، وچهار مقاله للعروضي السمرقندي ، وعتبة الكتبة لمؤيد الدولة بديع اتابك الجويني ، وتاريخ بيهق لابن فندق ، وسندبادنامه للظهيري السمرقندي ، وحدائق السحر للوطواط ، وعقد العلى لأفضل الدين الكرماني ، والتوسل إلى الترسل لبهاء الدين محمد بن المؤيد البغدادي ، وروضة العقول للملطيوي ، وراحة الصدور للراوندي . وترجمة تاريخ اليميني للجرفادقاني ، ومرزباننامه للوراويني . ولباب الألباب للعوفي ، والمعجم في معايير اشعار العجم لشمس الدين الرازي ، وبدائع الأزمان ، والمضاف الى بدائع الأزمان لحميد الدين الكرماني ، وتاريخ طبرستان لبهاء الدين بن اسفنديار الكاتب ، ونفثة المصدور للزيدري ، ومرصاد العباد لنجم الدين الرازي ، وتاريخ جهانگشاي لعلاء الدين الجويني ، وطبقات ناصري للجوزجاني ، ومكتوبات ، ومجالس سبعة ، وفيه ما فيه للمولوي ، والأدب الوجيز للخواجة الطوسي ، وتاريخ نامه هراة للهروي ... الخ
(٩) تراجم المتنبي وسعدي ص ٣٣ ـ ٣٧

أمّا (گلستان) فلا نعرف كتاباً فارسياً بلغ ما بلغه هذا الكتاب من الانتشار والاشتهار وبُعد الصيت ، فإنه يوجد في كل بيت ، ويقرأه كل من أظلته سماء ايران .

وشعره هنالك محفوظ ؛ ترويه الألسن ، ويتداوله الناس أجمعون ، ويتمثل به الأدباء والعامة في كل أمر .

هذا ـ وديوانه مرآة تبيّن أثر الثقافة العربية ، التي تلقاها سعدي في العراق ، ولا سيما معاني المتنبي ، الذي حفظ سعدي ديوانه ، وكان كثير النظر فيه معجباً به . وقد قال فيه :

كنت أطالع جزءاً من ديوان المتنبي
سفينة بحر المعاني الحافل بالدر النفيس
فاحتقرت شعري
وليس للسهى نور تجاه الشمس[1]

وما زال تراث سعدي الإنساني حيّاً يعنى به رجال الفكر في الشرق والغرب ، سواء منهم القدماء والجُدُد .

وهو الثاني من أعلام الأدب العالمي الذين أحيى الاتحاد السوفيتي ذكراهم ؛ فقد أقامت موسكو مهرجانه في صيف سنة (١٩٥٨) واحتفت به .

وغزله المحتشم انموذج عال لأدب الحب والصبابة ورقة الشوق . والعناية الزائدة والرغبة الشديدة ـ الآن ـ منصبة إلى كتابيه (گلستان) و (بوستان) .

يحتوي (گلستان) على ثمانية أبواب :

(١) المتنبي وسعدي ص ١٦

الأول — في سير الملوك .

الثاني — في أخلاق الصوفية والفقراء

الثالث — في فضيلة القناعة .

الرابع — في فوائد الصمت .

الخامس — في العشق .

السادس — في الضعف والشيخوخة .

السابع — في تأثير التربية .

الثامن — في آداب الصحبة .

ويشتمل بوستان على ١٥٩ حكاية في عشرة أبواب :

الأول — في العدل والتدبير والرأي .

الثاني — في الإحسان .

الثالث — في العشق والسكر .

الرابع — في التواضع .

الخامس — في الرضا .

السادس — في القناعة .

السابع — في عالم التربية .

الثامن — في الشكر على العافية .

التاسع — في التوبة وطريق الصواب .

العاشر — في المناجاة .

وترك سعدي أيضاً ـ ديواناً صغيراً بالعربية ؛ قوامه ٢٥ قصيدة وغزلاً ومقطعة ، في ٣٧٤ بيتاً ، عدا عمّا في ديوان شعره الفارسي ، من الشعر العربي ،

في مطالع القصائد ، ومقطعات الغزل ، وأثنائها على سبيل التلميح [1] .

ويحتوي ديوان غزله الفارسي على ٦٣٧ غزلاً ، وترجيع بند طويل في ٢٥١ بيتاً و ٣١ مقطعة ، و ١٤٧ رباعية .

وفي ديوان المواعظ ٥٥ قصيدة و ٧ مراثي و ٥٩ غزلاً ، ومثلثات ملمعة و ٢٢٧ مقطعة ، و ٥٦ رباعية ، ومثنوي في ٤٦ بيتاً ، و ٧٩ بيتاً مفرداً . وقد طبعت جميعاً في ديوان كبير يسمى (كليات سعدي) في طهران سنة ١٣١٦ — ١٣٢٠ الشمسية .

ومن رقيق شعره العربي :

يا نديمي قم بليل واسقني واسق الندامى

خلني أسهر ليلي ودع الناس نياما

اسقنيها وهدير الرّ — عد قد أبكى الغماما

وشفاه الزهر تفتـــرّ من الضحك ابتساما

في زمان سجع الطيـــر على الغصن رخاما

(١) تراجع : گلستان ص ١٣ و ٢٩ و ٥٦ و ٦٩ و ٧١ و ٧٦ و ٨١ و ٩٣ و ٩٦ و ٩٧ و ٩٩ و ١٠٣ و ١٠٦ و ١١١ و ١١٥ و ١٢٠ و ١٣٥ و ١٣٦ و ١٣٧ و ١٣٩ و ١٥٠ و ١٧٥ .

وبوستان ص ٤ و ٥ و ٦ و ٨ و ٤٧ و ٩١ و ١٠٧ و ١٨٣ و ٢٠٣ و ٢٤٢ .

وغزليات ص ٥ و ٢٩ و ٤٧ و ٩١ و ١٥٧ و ١٥٨ و ١٨٩ و ١٩١ و ١٩٤ و ١٩٥ و ٢٥٣ و ٢٦٣ و ٢٨٨ و ٢٨٩ و ٢٩٠ و ٣٢٧ و ٣٢٨ و ٣٢٩ و ٣٣١ و ٣٣٢ و ٣٣٣ و ٣٦٠ و ٣٦١ و ٣٦٩ و ٣٧٣ و ٣٧٤ .

ومواعظ ص ١ و ٢ و ٣٨ و ٤١ و ٤٢ و ٤٣ و ٤٥ و ٥٢ و ٦١ و ٦٢ و ٨١ و ٩٢ — ١١٢ و ١٥٠ — ١٥١ و ١٥٣ — ١٥٤ و ١٨٩ .

وبهداه اقتدى حافظ في ديوانه ص ١١ و ١٧٠ و ٢٠٤ و ٢٠٥ و ٢٠٦ و ٢١١ و ٢١٢ و ٢٩٥ و ٣٠٤ و ٣٠٥ و ٣١٨ و ٣٢٢ و ٣٢٣ و ٣٢٤ و ٣٢٥ و ٣٢٦ و ٣٢٩ و ٣٣٠ و ٣٣١ و ٣٣٣ و ٣٤٤ و ٣٦١

وأوان كشف الور د عن الوجه اللثاما

قل لمن عير أهل الـ ـحب بالحب ولاما

ما عرفت الحب هيها ت ولا ذقت السقاما [١]

ومن معانيه الجميلة بالفارسية ، قوله :

اسأل عمَّا تجهل

فإن ذل السؤال

دليل طريقك إلى عزّ العلم

وهو أول من جهر بأخوة البشر ، والمعاني الإنسانية من شعراء الشرق ، في كتاب گلستان ؛ فقال :

« بنو آدم بعضهم أعضاء بعض ،

وهم في الخلقة سواء .

فإذا تألم عضو ؛

تألمت جميع الأعضاء » [٢] [٣]

ويعد سعدي رسول الأدب العربي إلى الأدب الفارسي ؛ فقد ترجم كثيراً من نتائج الفكر العربي . اقتبس ١٠٣ آية [٤] و ٩٧ حديثاً [٥] ، ونقل

(١) مواعظ ص ١٠٨

(٢) گلستان ص ٢٥

(٣) مقتبس من الحديث الذي رواه نعمان بن بشير ، قال : « سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : إنما المؤمنون كجسد رجل واحد ، إذا اشتكى عضو من أعضائه ، اشتكى جسده أجمع ، وإذا اشتكى مؤمن اشتكى المؤمنون — تراجع عوارف المعارف ج ١ ص ٢٢٤ — ٢٢٥

(٤) المتنبي وسعدي ص ٨٠ — ١٠٢

(٥) المتنبي وسعدي ص ١٠٣ — ١٣١

٨٦ مثلاً [١] ، و ١٤ قصة [٢] . وأخذ ١٠٠ معنى من المتنبي [٣] ، في ٣٠٠ موطن تقريباً [٤] ، واستمد من دواوين ١١٥ من الشعراء العرب [٥] . وجاء بكل أولئك في كلامه ، وعمل عمل السحر في سلاسة اللفظ ، ونقاء العبارة ، وجمال العرض ؛ حتى لتقضي أن تلك المعاني له ، ومن اختراعه [٦] .

هذا ـ وأمّا مواطن ذكر الشام في (گلستان) ، فها هي ذه ، أثبتها نقلاً من كتاب (ترجمة الجلستان) الذي ترجمه الخواجا جبرائيل بن يوسف ؛ الشهير بالمخلّع إلى العربية ، وطبع بمصر سنة ١٣٤٠هـ/ ١٩٢١ .

وسأشير إلى مظانها في الأصل الفارسي ، اتكالاً على طبعة محمد علي فروغي ، التي تقدم ذكرها .

- ١ -

(حكاية) اعتكف في سنة مّا ، على رأس تربة يحيي النبي ـ عليه السلام ـ بجامع دمشق الشام . فاتفق أن ملكاً من ملوك العرب ، كان موصوفاً بالشقاق ، والقول بعدم انصافه كلمة اتفاق . فجاء للزيارة وصلى ، ودعا وطلب حاجة من المولى

ذو العبد والمثري عبيد رحابه

وأخو الغنى أوفى احتياجاً وافرا

(١) المتنبي وسعدي ص ١٣٢ ـــ ١٥٩

(٢) المتنبي وسعدي ص ١٦٠ ـــ ١٦٩

(٣) المتنبي وسعدي ص ٢٢٥ ـــ ٢٧٩

(٤) المتنبي وسعدي صفحة / يط

(٥) المتنبي وسعدي ص ١٧٠ ـــ ٢٢٣

(٦) المتنبي وسعدي ص ٦٣

وبعد ذلك التفت بوجهه إلي ، ودنا مقبلاً عليّ ، وقال من هذا المقام ،
الذي هو همة الدرويش الكرام ، وصدق معاملتهم مع الملك العلام .
وجه الخاطر بمرافقتي ، فانني متفكر من العدو الصعب ، في مضايقتي ؛
فقلت له : ارحم ضعيف الرعية ، حتى لا ترى مشقة من الأعداء القوية

جور القوي على الضعيف بيأسه
خطأ وفقد مروءة وتعسف

... الخ »[1][2]

(٢)

(حكاية) اتفق لواحد من صلحاء جبل لبنان ؛ وقد كان من الكمل
الأعيان ، ومقاماته في ديار العرب مذكوره ، وكراماته كثيرة مشهوره ؛
انه دخل جامع الأمويين في دمشق الشام ، وأقبل على الوضوء باهتمام . فبينما
هو على حرف بركة الكلاسة بذلك الجامع ، إذ زلقت رجله ، فسقط في
الحوض الواسع ، وما خلص من تلك الشدائد ، إلا بعناء زائد ... »[3][4]

(٣)

(حكاية) كنت في جامع بعلبك أقرر كلمات وعظية ، إلى جماعة كالصخر

---

(١) ترجمة الجلستان ص ٤٢ - ٤٣
(٢) گلستان ص ٢٥
(٣) ترجمة الجلستان ص ٧٣
(٤) گلستان ص ٥٩

في الجودية ؛ قلوبهم ميتة ، وعقولهم مشتتة . ما أمالوا طريقها من عالم الصورة إلى جانب المعنى ، ولا استضاءوا بكل ما ألمنا ... »[١][٢]

(٤)

« سألوا واحداً من مشايخ الشام ، عن حقيقة التصوف في الاحكام ؛ فقال : قد كان أهله قبل هذا الأوان طائفة متفرقين بالمبنى ، مجتمعين في المعنى ، والقوم في هذا اليوم ، يجمعهم الظاهر ، وتشتتهم السرائر »[٣][٤]

(٥)

(حكاية) ظهر لي في بعض الأعوام ، ملل من صحبة الأصدقاء في دمشق الشام . فهمت برأسي في صحراء الوادي المقدس ، واخترت الانس بالوحش عن من تأنس . فما شعرت إلاّ وأنا في خندق طرابلس مع الافرنج ، أسيراً أسيرا في القيود ، وقد كلفوني بحمل الطين مع الاسود ، فاتفق أن جاز عليّ واحد من رؤساء حلب الشهبا ، وقد كان بيننا معرفة فيما مرّ من الدهر ونبا . فقال ما هذه الحال ، وكيف وقعت في هذه الأثقال ؟ فقلت :

وكنت عن الأنصار سرت مهاجراً ... الخ

فرق لحالي الفقير ، وخلصني من قيد الافرنج بعشرة دنانير ، وأخذني معه الى حلب ، في المسار ، وكان له بنت فعقد لي نكاحها بصداق مائة دينار... »[٥][٦]

---

(١) ترجمة الجلستاق ص ٧٤
(٢) گلستان ص ٦٠
(٣) ترجمة الجلستان ص ٨٢
(٤) گلستان ص ٦٩ - ٧٠
(٥) ترجمة الجلستان ص ٧٤
(٦) گلستان ص ٦٠

(٦)

(حكاية) ان أحد المتعبدين في الشام ، أقام يؤدي العبادة دهراً طويلاً ، في غابة من الآكام ... » (١)(٢)

(٧)

(حكاية) سائل مغربي كان ينادي بحلب في سوق البزازين : يا أرباب النعمة لو كنتم منصفين ، وكنا مقتنعين لرُفع رسم السؤال من الدنيا ، ولا ذكر اسمه في الأحيا » (٣)(٤)

(٨)

(حكاية) نظرت تاجراً عنده وقر مائة وخمسين جملاً في المتاجر ، وأربعون عبداً وخادماً .. وكان من جزيرة كيش .. أخذ الكبريت الفارسي الى الصين ، لأني سمعت أنه هنالك ثمين ، ومن هناك أخذ القماش الهندي ، وأحضره الى الروم . وأخذ الأقمشة الرومية الى الهند ، للربح المعلوم . وأتى بالفولاذ الهندي الى حلب ، فأخذ الزجاجات الحلبية الى اليمن ، ولو مع التعب ، وأحضر الأقمشة اليمانية لأرض فارس الزهيه ... » (٥)(٦)

---

(١) ترجمة الجلستان ص ٨٧ ـ ٩٠
(٢) گلستان ص ٧٥ ـ ٧٧
(٣) ترجمة الجلستان ص ٩٧ ـ ٩٨
(٤) گلستان ص ٨٨
(٥) ترجمة الجلستان ص ١٠٨ ـ ١٠٩
(٦) گلستان ص ١٠٠

(٩)

(حكاية) كنت في مباحثة مع طائفة من العلماء ، في جامع دمشق الشام ؛ إذ دخل من الباب شاب ، وقال بعد السلام : هل فيكم من يعلم اللسان الفارسي . فأشاروا إلي فقلت خيراً ؟ كفيت ضراً . فقال ان شيخاً في سن المائة والخمسين ، في حالة النزع والأنين ، يتكلم باللسان الفارسي ونحن منه لسنا بفاهمين . فمن كرمك ، جد بنقل قدمك ، لتجد ثواباً بتفهيمنا القضية ، إذ لربما يوصيه بوصية . فلما انتهيت الى وسادته ، سمعته يقول في لوعته :

توهمت أن العمر طبق إرادتي
فياحسرتي إذ حان قطع طريقي
مددت لألوان الخوان به يدي
فنات سريعاً واغتصصت بريقي

فترجمت ذلك بالعربي للدمشقيين ، فتعجبوا من تأسفه على الحياة الدنيا بعد المائة والخمسين . » (١)(٢)

(١٠)

وقعت بأرض الشام جمرة فتنة
فتفرقت من خوفها السكان
فسرى بأبناء المعارف عقلهم
لوزارة يزهو بها السلطان

(١) ترجمة الجلستان ص ١٤٩ – ١٥٠
(٢) كلستان ص ١٤٦ – ١٤٧

ويجهل أبنـاء الوزير تكفقوا
أهل القرى وعلام حرمان (١)(٢)

(١١)

« . . . وبعد ذلك مرت أعوام ، سافرت فيها ورجعت من دمشق الشام » (٣)(٤)

* * *

ثبت المراجع :

بوستان / كليات سعدي

تاريخ الشعر العثماني (٥)

تاريخ گزيده ـ حمد الله مستوفى قزوينى — ليدن ١٣٢٨

ترجمة الجلستان ـ جبرائيل بن يوسف المخلّع — مصر ١٣٤٠

تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب / كتاب اللام والميم — ابن الفوطي — لاهور ١٩٤٠

الحوادث الجامعة ـ ابن الفوطي (؟) — بغداد ١٣٥١

(١) ترجمة الجلستان ص ١٥٥
(٢) گلستان ص ١٥٥ - ١٥٦
(٣) ترجمة الجلستان ص ١٦١
(٤) گلستان ص ١٦١
(٥) E. J. W. GIBB; A History of Ottoman Poetry. London 1900.

ديوان حافظ طهران ١٣٣٠ ش
سعدي نامه ـ محمد بن عبد الوهاب القزويني طهران ١٣١٦ ش
شد الازار في حط الأوزار عن زوار المزار ـ معين الدين
أبو القاسم جنيد شيرازي طهران ١٣٢٨ ش
عوارف المعارف ٤ ـ السهروردي (هامش إحياء علوم الدين) مصر ١٣٠٦
غزليات / كليات سعدي
فرنودسار / فرهنگ نفيسى ـ علي أكبر نفيسى طهران ١٣١٨ ـ ١٩ ش
فرهنگ نظام ـ سيد محمد علي داعي الإسلام حيدر آباد الدكن ١٣٥١
فضولي البغدادي ـ الدكتور حسين علي محفوظ بغداد ١٣٧٨
كليات سعدي ـ محمد علي فروغى طهران ١٣٢٠ ش
گلستان / كليات سعدي
مباحث عراقية ـ يعقوب سركيس بغداد ١٣٧٤
المتنبي وسعدي ـ الدكتور حسين علي محفوظ طهران ١٣٧٧
مقدمة قريب ـ ميرزا عبد العظيم خان گرگانى (قريب) طهران ١٣١٠ ش
منتخبات أدبيات فارسي ـ بديع الزمان خراسانى / ج ٢
مواعظ / كليات سعدي طهران ١٣١٤ ش

الدكتور حسين علي محفوظ

اتجاه الشعر العربي الحديث

إن نهضة الأدب العربي الحديث بما يتميز به من اتجاهات تختلف تماماً عما كانت عليه الأعمالُ الأدبية في القرون الطويلة الماضية ، وتعتبر ظاهرة مدهشة ولكنها تساير الوعي الوطني والعقلي للشعوب الإسلامية بوجهٍ عام . فبعد أن خلق الإسلامُ علماً وأدباً وفناً خلال القرون الوسطى أنقذ ثقافة القدماء من النسيان وزادها ونقلها الى الشعوب الأوربية التي تنبعث وشيكاً من عالم الهمجية وبهذا قدّم الإسلامُ ولغته العربية خدمةً جليلةً للإنسانية . ولا يعرفُ التاريخ نظيراً للانطلاق النجاتي والمستوى الرفيع الذي بلغه المسلمون في العلم والأدب والفن . ولكن الظروف الجغرافية والاجتماعية والسياسية والفكرية . وقفت هذا التطور الفذّ فانحصرت اللغة العربية طوال قرون على مجرد التعليقات والشروح . ولا أريد أن أتحدث عن أسباب تدهور الشعوب الإسلامية لأني سبق أن وضعت كتاباً في هذا الموضوع نشرته في لاهور باللغة الانكليزية عام ١٩٥٣ .

فعندما أضاعت الشعوب الإسلامية استقلالها السياسي قنعت بموقفها؛ الى أن أيقظتها حملة نابليون من سباتها العميق . وفي خلال بضع عشرات من السنين قامت اللغة العربية ملكة اللغات السامية والتي كانت قد أوشكت أن تموت فبعثت من جديدٍ بكل أمجاد ماضيها ، مزينةً بكل ما حققته المدنية الحديثة واستطاعت أن تواجه أعداءها القدماء بكل فخار .

وقد أتيحت لي الفرصة أن أكون على اتصال وثيق بحركة التجديد والنهضة

التي شملت الشرق الإسلامي . فني فجر شبابي التحقتُ بكلية الحقوق في استانبول قبل ٥٥ عاماً وقذفتُ بنفسي وقتئذٍ في معارك النضال الاجتماعي للدولة العثمانية . وعاصرتُ البيئة الخانقة لحكم السلطان عبد الحميد وشاهدتُ الفرح الغامر بعد خلعه عن عرشه . ثم شاهدت الآلام التي كانت تعانيها الشعوبُ خلال الحرب العالمية الأولى ثم مولد الجمهورية التركية الجديدة وهي الجمهورية الوليدة التي قطعت جميع ارتباطها القديم بالعالم العربي وبقية المسلمين عندما أعلنت أنها دولة لادينية .

لقد شهد القرن العشرون تغيرات بعيدة المدى في الحياة السياسية للشعوب جعلتها تختلف اختلافاً بيناً عما كانت عليه طوال القرون . فقد تحوّلت ألمانية والنمسة وروسية وتركية الى جمهوريات ، وحتى الصين البعيدة قد ألقت عن كاهلها عرش ابن السماء . . . . كل هذه الأحداث كان لها أثرها العميق في أدب الأتراك .

إن الأدب هو التعبير عن أفكار الشعب ومشاعره وهو يصور الحياة الاجتماعية والاقتصادية للشعب ، وهو يتأثر تأثراً عميقاً بالاتجاهات السياسية للعصر ، ويؤثر بدوره في اتجاه السياسة . وصورة أدبٍ ما ، مجردة عن بيئتها الاجتماعية والسياسية هي صورة باهتة مضطربة .

وقد كان الأساس الاجتماعي والسياسي للأدب العربي الحديث حتى نهاية الحرب العالمية الأولى يرجع الى بيئة الدولة العثمانية التي كانت مكونة من متعدد القوميات والديانات والعناصر والمستويات الثقافية ، والتي كان كل عنصر فيها يحقد على العناصر الأخرى ، وقد كان المسيحيون من رعايا السلطان من الصرب والبلغاريين واليونانيين والأرمن والمارونيين يتطلعون على الدوام ، الى حماية حكومات أجنبية . وكانت حكومة تركية تلجأ بين الحين والحين الى اتخاذ اجراءات عنيفة ضد الخارجين عليها من القوميات الثورية .

ولو كانت الدولة العثمانيـة ، التي يحكمها أمير مسلم ، قد طبقت الشريعة الإسلامية التي تفرض عليها أن تمنح الحقوق المدنية الكاملة لغير المسلمين من رعاياها ـ كما كانت الحال في دولة العباسيين وفي الأندلس ـ لكانت أول دولةٍ تطبق مبدأ اللاعنصرية في التاريخ الحديث . وكان في الامكان أن تطبق هذا المبدأ دول أخرى بالمثل .

ولكن الروح الغربية الداعية الى التعصب العرقي ، طغت على إمكانية تطبيق مبدأ اللاعنصرية وجعلت كل قومية تتعصب لعرقها وتعادي القوميات الأخرى .

نرى من تتبع التواريخ أن الاعتبارات النظرية والأفكار الاجتماعيـة ، مهما أوتيت من منطقٍ فلم تكن لها القوة الحاسمة التي تستطيع أن تغير المشاعر والأفكار السائدة في ذلك العصر ، وهي التي كانت تدفع تلك الشعوب دون هوادةٍ للعمل على تحقيق أحلامها مهما كانت وعورة الطريق الذي تسلكه . . . !

وقد حاول الحكم الاستبدادي للسلطان عبد الحميد ، بكل جبروته وأساليبه الارهابية أن يقف في وجه التيار الفكري لتلك الحقبة من الزمن ومن ثمّ سعى ذلك الحكم إلى إقامة امبراطورية لا عنصرية مؤسسة على المبادئ السياسية للاسلام ، حتى انها قد وجهت دائرتها الدينية الى المستعمرات الهولندية والبريطانية والفرنسية التي تفوّق المسلمون فيها عدداً على العناصر الأخرى . ودون أن تتفق مع حكومة عبد الحميد في أساليبها البغيضة التي اتبعتها لتحقيق أهدافها ، نستطيع أن نقول انها كانت تبذل جهداً نهائياً ـ لا يُستهان به ـ في وجه مصاعب مروعة ، في سبيل إقامة دار الاسلام المثالية في العصر الحديث .

وقد كان المنتسبون الى حزب : تركيا الفتاة ، وكذلك أنصار الفكر الوطني في مصر ينبعون من الطبقة المتوسطة القليلة العدد ، وهي الطبقة التي كانت ترغب في تنفيذ مطالبها الثقافية والاقتصادية عن طريق اكتسابها للحرية .

لم تكن في الدولة العثمانية أية صناعة آلية ، ولم تستطع هذه العناصر التقدمية ذات الأفكار التحررية أن تكتسب تأييد الجماهير الزراعية الواسعة من الفلاحين أو جماهير الفقراء . ولهذا انحصرت الاتجاهات الثورية في مثقفي المدن ، وكانت نتيجة الضغط الذي جاء من أعلى ظهور رد فعل ثقافي وهو الذي خلق أدباً وطنياً . وقد خلقت مجلة « ثروت فنون » التركية كثيراً من الأدباء الذين تطوّروا بالرواية التركية حتى أصبحت تناقش المشاكل الاجتماعية بلغةٍ سهلةٍ يفهمها القارئ المتوسط الثقافة .

وعلى أي حال فانّ الحكم الاستبدادي للسلطان عبد الحميد لم يقتصر على إلهام الشعراء والكتاب الأتراك للتعبير عن إحساساتهم الوطنية فحسب ، بل امتد هذا الإلهام أيضاً الى أتباع السلطان من الناطقين بالضاد الباقين على ولائهم للخليفة ، والذين لم يستطيعوا أن يحبسوا دموعهم لمرأى الحالة الذليلة التي أصبحت عليها البلاد . وكانت مصر تتمتع بحرية نسبية لأنها لم تكن تحت حكم السلطان بطريقة مباشرة ، ولهذا وجد فيها عدد من الكتاب العرب المضطهدين ملجأ على ضفاف النيل . وقد كان استبداد عبد الحميد هو الذي أوجد ذلك الطراز الجديد من الشعر العربي الذي يختلف تماماً عن القصائد التقليدية القديمة .

وكان من بين الضحايا العديدة لحكم السلطان عبد الحميد ولي الدين يكن المولود في استانبول والذي كان يفتخر بجنسيته المصرية ، فقد سار ضد الطغيان قائلا :

يبكي بنوك ويضحك الزمن ماذا أصابك أيها الوطنُ
ما أوشكت أن تنتهي محن إلا وجاءت بعدها محنُ
أما الرسومُ فإنها دُرِست أما الرجال فإنهم دُفِنوا
العصر ، راجت سوق باطله فالحق فيه ماله ثمن
يا قوم هبوا من مضاجعكم طال المدى حتّام ذا الوسن

وقد كان الشعور بالاضطهاد الذي أثار ولي الدين يكن في استانبول هو نفس الشعور الذي عبَّر عنه جميل الزهاوي في العراق في قوله :

نحن في غفلةٍ نيام وعنّا نائبات الزمان غيرُ نيام
نحن في دولة تداركها الله تبيح المحظورَ للحكام
وعدها بالاصلاح جمٌّ ولكن لا يجوز الاصلاح حد الكلام
نحن قوم على إرادة شخصٍ واحدٍ ان نعيش كالأنعام

وقد اقتطع طمع الحكومات الغربية ولايةً بعد أخرى من جسم الدولة العلية ، اليونان ، ورومانية ، وبلغارية وكريت وقبرص ، ولم تُبدِ أي ولاية منها رغبةً ما في العودة الى الحكم العثماني ، حيث ينتظرها فيضٌ من الاضطهاد والتقتيل .

وما أكثر الحزن الذي ألهم الأبيات الآتية :

رعى الله شعباً أهملته رُعاتُهُ وملكاً كبيراً ركنه متزعزعُ
تُقتطع منه كلَّ يومٍ مدينةٌ وما الكفُّ إلاّ إصبعٌ ثم اصبعُ

وقد نُفي ولي الدين يكن الى مدينة سيواس بالأناضول ، حيث بقي ينظر بقلبٍ كسيرٍ الى المصير المرّ لمواطنيه . وكان اليأس يغلب عليه أحياناً في أشعاره التي منها قوله :

يقول أحبتي صبراً وهل في النار يُصطبر
ونحن أملنا وطنٌ نراه اليومَ يُحتضرُ
فمن يجزع فمعذور ولكن قلَّ من عذروا
فيا أفق التهب حزناً وجد بالدمع يامطرُ

ولكن الآمال المحطمة تحققت آخر الأمر ، فقد سار الجيش التركي تحت قيادة نيازي وأنور نحو العاصمة في عام ١٩٠٨ وأرغم عبد الحميد على إعلان الدستور .

وهنا عانق الأتراك والعرب والأكراد والشراكسة ، المسلمون منهم والمسيحيون ، بعضهم بعضاً ، وظهر أن شعباً متحداً جديداً قد نشأ من الأشلاء الممزقة التي كانت من قبل ، وبلغ الفرح أطراف أمريكا البعيدة حيث هاجر الكثيرون من العرب الفقراء .

وأقيمت الأعياد والأفراح في شتى أنحاء الدولة وظهر الشعراء كما تظهر الزهور البرية ، ففي سورية ولبنان ظهر عبد الله البستاني ومحيي الدين الخياط وشكيب أرسلان ، وإلياس فياض ، وشبلي ملاّط . وفي مصر التي اهتمت بالانقلاب الجديد بطريقة غير مباشرة ظهر أسعد رستم وسعيد شقير وغيرهما . وفي العراق ظهر الزهاوي ، والرصافي والدجيلي والعبادي والمنداوي ، الذين مجدوا قدوم الحرية . وقد وصف الزهاوي شعور بغداد في ذلك الوقت قائلاً :

وقفتُ والعينُ تبكي من مسرّتها … أمام شعبٍ من الأفراح عجّاجِ
امام بحرٍ من الأفكار مضطربٌ … امام جيش من الأصوات دحراج
إنّ الشعوب إذا هاجت عواطفُها … كالبحر يضرب أمواجاً بأمواج

أما مصرُ التي كانت بعيدةً عن الاضطراب الذي مارسته الحكومة العثمانية ، فكانت لا تزال مرتبطةً بتقاليد الخلافة . فنرى أحمد شوقي الشاعر الشهير في قصيدته التي كتبها بمناسبة اعلان الدستور يمدح حكم السلطان عبد الحميد قائلاً :

أسدى الينا أميرُ المؤمنين يداً … جلّت كما جل في الأملاك مُسديها
بيضاء ما شابها للأبرياء دمٌ … ولا تكدر بالآيام صافيها
وليس مستغلاً فضل ولا كرم … من صاحب السكة الكبرى ومنشيها

ولكن الشاعر لا ينسى مُطلقاً شعوره الوطني الغريزي فيقول :

يا شعب عثمان من ترك ومن عرب … حيّاك مَن يبعث الموتى ويُحييها
صبرت للحق حين النفس جازعةٌ … والله بالصبر عند الحق موصيها
نلتَ الذي لم ينله بالقضا أحدٌ … فاهتف لأنورها واحمد نيازيها

وقد عبّر الشاعر الكبير حافظ ابراهيم عن حسن نية السلطان عبد الحميد فامتدح كرم أخلاقه :

أثنى الحجيجُ عليك والحرَمان ... وأجلّ عيد جلوسك الثقلان
أرضيت ربك إذ جعلت طريقه ... أمناً وفزت بنعمة الرضوان
وجمعتَ بالدستور حولك أمةً ... شتى المذاهبِ جمة الاضغان

أما سعيد شقير فيقارن بين سعادة الحاضر وآلام الماضي في أبياته الآتية :

اليومَ نمرحُ أحراراً بفضلكم ... نغدو ونُمسي ولا همّ ولا نَصَبُ
قد أطلق الحرّ من سجن أهين به ... وعاد للوطن المحبوب مغتربُ
فلا جواسيس تخشى من وشايتهم ... ولا جرائد تأتينا فترتعب
ننام في الليل لا الأحلام تقتلنا ... وننهض الصبحَ لاخوف ولا رعب
كم بين حالٍ أتتنا كلها طربٌ ... وبين حال عدّتنا كلها رهب

ولكن هيهات ، فلم يبق الفرح طويلاً . إذ عاد عبد الحميد فقبض على السلطة من جديدٍ وألغى الدستور ، واستأصل حزب تركيا الفتاة من البلاد . ولكن محمود شوكت باشا الذي ينحدر من أسرة الخليفة عمر ، قاد الجيش مرة أخرى الى استانبول وبعد قتالٍ عنيفٍ هزم القوات الموالية للسلطان وخلع عبد الحميد من عرشه .

وقد صادف خلعه ارتياح جميع العالم الإسلامي الذي شهد سلسلةً من الأشعار حول هذا الأمر ، وقد صبه فارس الخوري في قصيدة له فقال :

شادوا لك العزةَ القعساء من قِدَم ... فجئت تهدم ما شادوا وما رمموا
كانت لهم دولةٌ بالسيفِ ناهضةٌ ... هدّمتَ مارفعوا بعثرتَ ما نظموا

وأعلن معروف الرُصافي الشاعر العراقي في افتخار :

انما نحن أمةٌ تدرأ الضيْمَ ... ولا تستكينُ يوماً لوالِ
أمة سادت الأنامَ وطابت ... عنصراً من أواخر وأوال

فاذا ما علا المشؤوم نهضنا فقذفناه سافلاً من عال
نحن من شعلة الجحيم خُلقنا لأولي الجور ، لا من الصلصال

وتقرأ علامات التهديد في الأبيات الآتية :

يا ملوك الأنام هلاّ اعتبرتم بملوكٍ تجور في الأفعال
فاتركوا الناس مطلقين وإلاّ عشتم موثقين بالأوحال

لقد فتح الشعراء السوريون والعراقيون قلوبهم وتركوا مشاعرهم تسيل في انطلاق . ولكن مصر للأسباب التي سبق ذكرها ـ استقبلت سقوط عبد الحميد بمشاعر متضاربة . وقد ظهر لبعض الكتاب أن الاحتلال الأجنبي أكثر ضرراً من حكم السلطان عبد الحميد لأنه كان على أيّ حالٍ أمير المؤمنين .

وقد طلع القرن العشرون على الشعوب الشرقية وهي مصابة بمركّب النقص . وقد ذُقتُ بنفسي مرارة هذا الشعور الذي كان يعانيه إخوتي في الإسلام . وقد كان انتصار اليابانيين في منشورية على الروس عام ١٩٠٥ أول تشجيع أحيا شعورَ جميع الشرقيين . وتواترت الأنباء وقتئذ بأن اليابانَ ستعقد مؤتمراً إسلامياً في طوكيو مما ألهب شعور الشعوب الشرقية .

وقد أدخلت الامتيازات الأجنبية التي فُرضت على المسلمين ، والمدارس التبشيرية المسيحية في روع الشرقيين المستقلين ، الفكرة الزائفة من أن كل أوربي هو ضرب من السوبرمان ، أي الإنسان الممتاز .

* * *

وقد أيقظ سليم البستاني الوعي في قلوب مواطنيه السوريين كما كتب الزهاوي في العراق الأبيات الآتية لتعوّض مركّب النقص :

كفى الغربَ فخراً أنه متقدم وأنّ له مالاً به يتنعمُ
وأنّ له في البر جيشاً عرَمرَماً يماثله في البحر جيش عرمرم
ترقّى فلما اشتدّ ساعده عدا وبات يغيظ الشرق والشرق يكظم
يطيل على إجحافه بحقوقه سكوتاً كأن الشرق ليس له فم
فيا أيها الغربُ المدلّ بنفسه رويدك ما هذا الغرورُ المذمَّمُ
أتزعمُ أن الشرق يلبثُ صاغراً أمامك مغصوباً وأنت المكرّمُ
وتبقى عليه هكذا متسيطراً تمصّ دم الأموال منه وتهضمُ!

وشمل الوعي الوطني جميع المسلمين الذين عاشوا تحت الحكم العثماني حتى المسيحيين في لبنان قد شعروا أيضاً بشعور الجنسية العثمانية بعد أعلان الدستور. وقد دعى خليل زينيه المسيحي الى عقد اجتماع بالاسكندرية قال فيه:

فلتسعدوا أيها العثمانيون لأنكم اكتسبتم الدستور. فقد جاء أخيراً اليوم الذي يستطيع فيه جميع الأتباع أن يتحدوا في عناق أخوي. فبواسطة الدستور أصبحنا عثمانيين ونحن نفتخر بوصفنا عثمانيين. اننا عثمانيون قبل كل شيء الى آخر عمرنا. وشعارنا الحرية والوطنية وفخرنا راية الهلال وملجأنا الدولة العلية.

وتغلغل هذا التحمس طوال سنتين في كل شعوب الدولة من أتراك وشراكسة وأكراد وعرب، مسيحيين ومسلمين. كما لو كانوا قد اتحدوا ضد الاتجاهات الاستغلالية للغرب وسعوا الى خلق دولةٍ عثمانية متحدةٍ مستقلةٍ. وقد خلّد الأدب العربي المعاصر هذا الشعور في كثير من آثار الشعر والنثر. ولكن الفرح العظيم سرعان ما تبعته هموم ثقيلة، فان الغرب الطامع لم يقابل هذه الأشعار بأشعار مثلها ولكنه أطبق بقبضته على أجزاء جديدة من جسم الرجل المريض، فضمت النمسة أول الأمر ولاية بوسنه، فيئس الرأي

العام العثماني وقاطع البضائع النمسوية ، وينتحب شبلي الملاّط اللبناني بمرارة في هذه الأبيات :

ألا من يبلغ النمسا كلاماً نسجّله ونورثه البنينا
بأن عهودها كانت سراباً وكان ودادُها بلفاً مبينا
فلا تجدُ السنون الى التصافي سبيلاً ما تعاقبت السنونا
أو النمسا تكفّر عن ذنوب جنتها فارتدت عاراً وهونا
أتحسبُ جارةُ الدانوب أنّا نُذِلُّ لمثلها أبداً جبينا

واستولت بعد ذلك ايطالية على طرابلس الغرب واليونان على كريت ، وانطلق أمين ناصر الدين اللبناني في سخط يقول :

أظن بنو اليونان أن سيوفنا تثلّمن أم أخنى علينا التأخر
ألم يذكروا بالأمس ما كان بيننا على حين خضنا الموت والموت يزخرُ

لقد هزم الجيش العثماني تحت قيادة أدهم باشا في عام ١٨٩٧ الجيش اليوناني هزيمةً منكرة وكان ذلك تحت الحكم غير الشعبي للسلطان عبد الحميد ، فما كان أحرى الدولة بأن تكونَ أقوى وهي متمتعة بحريتها الوطنية .

وخلتم توالي الظلم اورث شعبنا خمولاً وأصبحنا على الظلم نصبرُ
قهرناكم والملك قد كان ذاوياً فكيف وروض الملك فينان أخضر

أما الرُصافي العراقي فانه يصم ايطالية بالعار عندما اجتاحت طرابلس الغرب ونضمّ قصيدته اسلامية وعثمانية معاً :

ألا انهض وشمر أيها الشرقُ للحرب وقبّل غرار السيف واسلُ هوى الكتب
ولا تغترر إن قيل عصر تمدن فان الذي قد قال من ذا كذب الكذب
ألست تراهم بين مصر وتونس أباحوا حمى الإسلام بالقتل والنهب
وما يؤخذ الطليان بالذنب وحدهم ولكن جميع الغرب يؤخذ بالذنب

أما شعراء العراق الآخرون ، مثل رضا الشبيبي وحبيب العبيدي وخيري المنداوي وعزيز الجواهري ، فقد أيدوا السلطان الجديد وحفزوه على دره العدوان . وفي حلقة الأدب العربي باستانبول ألقى حبيب العبيدي قصيدته ذات الخمسمائة مقطع التي تضمنت تاريخ الإسلام كله والتي تستثير الشعور الوطني الإسلامي ، وربما كانت بعضُ سطورها كافيةً كأنموذج :

كيف ترضى ياشرقُ أن يمشي الغر ب أماماً وأنت تمشي وراءْ
أفلم يأن أن تجدّد عهداً شهدَ الصبحُ فضلَه والمساءْ
انسامُ الهوانَ دون المنايا انما الموت والهوان سواءْ

وذكر حافظ ابراهيم في مصر الهجومَ الغادر على طرابلس الغرب في قصيدة طويلة .

والآن تسمحوا لي أن أذكرَ بعضَ الشؤون الاجتماعية ، وقد قرّبت التقاليد التاريخية وكذا الدين الإسلامي بين أعضاء الطبقة المتوسطة . أما الطبقة العاملة وأصحاب الحرف والفلاحين فلم يكونوا قد تيقظوا الى الوعي الاجتماعي فتبعوا كالعميان الاتجاهات الفكرية للمثقفين . كان هناك حلم حول قيام التعاون الوطني تحت حكم آل عثمان الذي تقوده الشريعة . ولكن هذا الحلم تمزّق شر ممزق تحت وطأة النظرية التورانية ، وهي النظرية التي كانت تعمل لضمان الدور القيادي للجنس التركي وحده ، لا الأتراك العثمانيون فحسب بل وكل الشعوب التي تتحدث باللغة التركية التتارية سواء في سيبريا أم في غيرها .

كانت النظرية التورانية نظريةً وطنيةً عرقية تعمل على الإضرار في دولة مكونة من عروق مختلفة وكان رنين التورانية يحكي نذير الموت للدولة العثمانية الدستورية .

وعندما اشتعلت نيران الحرب العالمية الأولى كان أعضاء حزب تركية الفتاة يحاولون أن يربطوا بين قوتين متعارضتين في سبيل المحافظة على الكيان الكلي .

فقد أعلنت الحكومة الجهاد الذي كان فريضةً واجبةً على كل مسلم ، وكانت تعمل في ضمان مؤازرة مسلمي الهند وفي أن يهب المسلمون في افريقيا ضد الفرنسيين ، ولكنها حاولت في نفس الوقت أن تضمن للطبقة الحاكمة التركية القيادة المطلقة .

اتجاه أتباع الباب العالي من غير الأتراك كان مقسّماً : كان الفريق المتحدث باللغة العربية يؤمن بانتصار الحلفاء ، إذ لم تكن ألمانية قد ظهرت على مسرح السياسة العثمانية إلا حديثاً . أما الفريق الآخر فكان يتألف من تلك العناصر التي كانت تظاهر حزب تركية الفتاة لأسبابٍ شخصية .

ولم تستطع أحكام الإعدام التي أوقعها جمال باشا على الوطنيين السوريين أن تُطفئ اللهيب الذي امتدّ مع الوقت الى الجزيرة العربية أيضاً . وقد سقط عدد كبير جداً من الشهداء الذين ضحوا بحياتهم في سبيل الحرية ، وقد قامت القومية العربية قويةً وكأنها قد طُعّمت بدماء أولئك الشهداء الشرفاء . وقد ندب خير الدين الزركلي الشهداء في أبيات تمسّ أوتار القلب فقال :

نعى نادب العُرب شبّانَها فجدّد بالنعي أحزانها
بكى كل ذي عزّةٍ تربَهُ فهاج تزاراً وعدنانها
فمن للمدامع أن لا تفيـــض وتُرسل كالسيل هتّانها
فجائعُ هنَّ حديثُ القلو بِ وهيهات تستطيع سلوانها

إلاّ أن نهاية الحرب أتت على حزب تركية الفتاة ، ورفرف العلم العربي الجديد على تلك البقاع التي كانت تقام فيها المشانق قبل سنتين ، وقد حيّا الأدب العربي التغير الجديد بحماسةٍ بالغةٍ . وعبّر مصطفى الغلاييني عن آمال المستقبل السعيد بهذه الأبيات :

راية العُرب راية المدنيه راية المجد راية الحريه
أنتِ مهوى آمالنا الوطنيه ومنارٌ يهوى السبيل السويه
دُمتِ فينا مدى الزمان عليّه

بكِ نحمي الحمى المفدّى ونجني ثمراتٍ تُحيي القلوب وتُغني
ونُرجّى الحياةَ في روضِ أمنٍ وارف ظله خصيبٌ أغنّ
في حمى دولة العُلى العربيه

ولكن هذا الحُلم المقدّس تبعثر بقسوة تحت وطأة الأطماع الأنانية ، فقد روّع النجاح حكومات الحلفاء وتغلبت الروح الاستعمارية فتنكر الحلفاء لوعودهم التي بذلوها أثناء شدّتهم ، واقتسموا تلك المساحات الشاسعة فيما بينهم كغنائم حربٍ على مذبح مصالحهم ، فصارت سورية وفلسطين تحت الانتداب ، أما الأردن ومصر والعراق فبقيت تحت الحماية البريطانية .

وكانت خيبة آمال الرأي العام العربي غايةً في المرارة ، فقد أثبتت الأيام أن المبادئ الأربعة عشر للرئيس الأمريكي ولسون لم تكن إلا خداعا . فقد أطبق أخطبوط الرأسمالية الطامعة على ذوي النيات الحسنة وداسهم بالأقدام .

وقد احتجّ خير الدين الزركلي والغلاييني في سورية وحتى شعراء المهجر من وراء البحار مثل جورج صوايا والياس فرحات في البرازيل ضد النصب الأجنبي . وهاجم الغلاييني في جرأة خداع المستعمرين وتحتهم في السطور التالية عام ١٩٣٠ ، قال :

هبوا فأمتكم أضحت على خطرٍ جارت عليها الأعادي جور منتقمِ
حتى تسيل ربوع الشام مفعمةً دماً يسيل الردى في سيله العرمِ

وذمة العُربِ والأيام شاهدةٌ لنفسرمنْ الوغى في السهل والظلم
حتى يخلوا بلاد العرب أجمعها من ساحل الروم حتى ساحل العجم

لقد كان الشعراء في كل مكان أبواقاً للثورة العامة . وقد أبقى الأدب العربي الوعيَ القومي حياً ، ثم قاد القضية أخيراً في طريق النصر . والآن ، ونحن في دولةٍ حرّةٍ لا نزال في حاجة الى الكفاح ، فلسنا نستطيع أن نلقيَ سلاحنا وهو القلم إذ علينا أن ندافع عن حرية الشعب ضد الاستغلال ، وأن نحرّر الفقراء من همومهم وأن نرفعَ الجماهير الى مستوى الحياة السعيدة .

عبد الكريم جرمانوس



نظرة في

معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

للدكتور ا . ل . كليرفيل

نقله الى العربية الأساتذة مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط
ومحمد صلاح الدين الكواكبي
(لجنة المصطلحات الطبية في كلية الطب من جامعة دمشق)

– ٦ –

رقم المصطلح			رقم المصطلح
٣٤٧٤	فَخِذٌ مسطّحة ، التهاب المَفصِل المُشوّه الفَتِيّ ، التهاب العظم والغضروف المُشوّه الطِفليّ ، التهاب مُشاشة عَظم الفخذ العليا ، خلع ولاديّ مقمّص ، داء پِرت لِيغ كالفَه والدِنْسترُوم	Coxa plana, arthrite déformante, juvénile, os-téochondrite déformante infantile, épiphysite fé-morale supérieure, luxa-tion congénitale larvée Caput planum, maladie de Perthes de Legg - Calvé, de Walden - Ström	3474

وأرجح أن يقال في ترجمة اللفظات : حرقفة [1] مسطحة ، التهاب المفصل المشوه ، الشبابي ، التهاب العظم والغضروف المشوه الطفلي ، التهاب مُشاشة الفخذ العلوية ، الخلع الولادي المُستتر ، الرأس المسطح (وقد أهملت اللجنة ترجمته) داء پرتهس (هكذا يلفظ في الألمانية لأن صاحب الاسم ألماني) ، ليغ كالفه ، والدنشتروم (ألماني) .

(١) يراجع الشرح في الكلمة السابقة (الصفحة ٩٦ من الجزء الأول من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة) .

٣٤٧٥ التهاب المفصل الحرقفي الفخذي ، التهاب المفصل الشيخوخي — 3475 Coxarthrie, Arthrite sénile

وأرجح أن يقال العلة الحرقفية ، أو علة المفصل الحرقفي الفخذي ، التهاب المفصل الشيخي . وذلك لأن اللجنة قد ترجمت بـ (Coxite) التهـاب المفصل الحرقفي الفخذي أيضاً (اللفظة ٣٤٧٧) وأرى للتمييز بينهما أن يقال عن الأولى العلة باعتبارها علة تنكسية تحدث بسائق التقدم بالسن .

٣٤٧٦ فَخذ فَحجاء — 3476 Coxa valga

٣٤٧٧ فَخذ رَوحاء ، فخذ مقرّبة الخ — 3477 Coxa vara

ان اللجنة قد ترجمت Coxa بوَرِك (٣٤٧٢) ثم بحرقفة (٣٤٧٤) وهنا بفخذ ، وجاءت لفظة فخذ ترجمة لِ Cuisse (اللفظة ٣٦٢٦) . فأرى أن تترك حرقفة لِ Coxa ؛ Ischion لِوَرِك وفخذ لـ Cuisse منعاً للالتباس المذكور .

٣٤٧٩ قَشَعٌ مدنّر — 3479 Crachats nummulaires

ويقصد منه القشع التي تكون قطعه مستديرة . وقد درجت على ترجمته بالقَشَع الدرهمي [1] وهو الشائع ، والدرهم أعم من الدينار وجاء في الترجمة الانكليزية (Coin shaped) بينما لفظة مدنّر تفيد معنى آخر .

٣٤٨٦ معَص ، تشنج — 3486 Crampe, spasme

٣٤٨٧ مَعَص الكَتَبة — 3487 Crampe des écrivaines

٣٤٨٨ مَعَص المَعِدة ، انجرار المعدة ، تضوّر — 3488 Crampe de l'estomac

---

(١) في اللسان ، ورجل مُدنّرٌ كثير الدنانير ، ودينار مدنّر مضروب ، وفرس مدنّر فيه تدنيرٌ سوادٌ يخالطه شُهبة ، وبِرْذَوْنٌ مدنّر اللون أشهب على مَتْنه ومَجْزه سوادٌ مستدير يخالطه شُهبة .

(لجنة المجلة) للترجمة : قشع مُقرّص . انظر اللسان (قرص) .

3489 Crampe de la jambe — ٣٤٨٩ مَعْص الساق

3490 Crampes utérines — ٣٤٩٠ مَعْص رحمي

والصحيح مَعَص بالتحريك (١) .

3493 Crâne natiforme — ٣٤٩٣ جمجمة كالْيَين

وأرجح جمجمة أليية الشكل . والقصد من هذا المصطلح التغير الطارئ على شكل الجمجمة باحتوائها انخفاضاً في منتصف مؤخرتها فيجعل منظرها شبيهاً بمنظر الأَلْية (٢) .

3495 Cranioclaste — ٣٤٩٥ مِشْداخ

وتعني اللفظة الفرنجية نوعاً ثقيلاً من ملقط الجنين يستعمل لتفتيت الجمجمة . لذا أرجح أن يقال في ترجمتها مُفَتِّتت الجمجمة أو مِشداخ الجمجمة إذا شئت لأن الشدخ هو الكسر إطلاقاً .

3534 Crétin — ٣٥٣٤ قَمِيء ، قَدَم

3535 Crétinisme — ٣٥٣٥ قَماءة ، قَدامة

وتطلق اللفظة الأولى على حالة شخص ، مصاب بما تعني اللفظة الثانية من تأخر أو توقف في النمو بدناً وفكراً ، ومَردُّ هذه الحالة الى الحياة الجنينية أو الطفولة الأولى بقصور أصاب الدَرَق . ويمتاز في الشكل النموذجي بكبر اللسان وثخن ماتحت الجلد وجفاف الجلد وعظم البطن ، مع تأخر بيّن في الملكات العقلية وقَزَم . تكثر في البقاع التي تسود فيها السلعة القرْنية (Goitre endémique) وقد تبدو فيما ندر بشكل افرادي (Blackiston's) .

---

(١) في اللسان مَعِصَ مَعَصاً فهو مَعِص ، وتَمَعَّص ، ومَعِصت قدمه مَعَصاً التوت من كثرة المشي وقيل : المَعَص وجع يصيبها كالخفا والفدع .

(٢) في اللسان : والأَلْية بالفتح العجيزة للناس وغيرهم .

واللفظة مشتقة من (Christianus) في اللاتينية وكان يقصد منها الحط من المسيحيين في إبان اضطهادهم في ذلك العهد . ومثل هذه الحالة المرضية لم تعرف في بلاد العرب قاطبة . لذلك أرجح تعريب اللفظتين بقولنا كَرَتين وكَرَتينية . ولكنني قمِيٌّ وقماءة والقَدَم وقدامة معان أخرى [1] .

2545 Cri hydrencéphalique ٢٥٤٥ صُراخ خَلَنْجي

وأرجح صيحة استسقاء الرأس ، وهي توافق اللفظة الفرنجية ، إذ لا يشترط فيمن يبدئ هذا العرض أن يكون ذا اختلاج .

3607 Cryptes amygdaliennes, fossettes amygdaliennes lacunes amygdaliennes ٣٦٠٧ سِهاء اللوزة ، حُفَيرات اللوزة نُقَيرات اللوزة

وأرجح أن يقال في ترجمة هذه الألفاظ الكهوف أو المغاور اللوزية ، حفيرات اللوزة ، فَجَوات اللوزة .

3608 Cryptes de la tunique muqueuse de l'estomac ٣٦٠٨ سِهاء طبقة المعدة المخاطية

وأرجح مغاور قميص المعدة المخاطي .

حرف D

3744 Dartre ٣٧٤٤ قُوَباء

وقد عَرَّفها معجم بلاكستون [2] بأنها اندفاع من الاندفاعات الجلدية

(١) قَمَأ الرَّجُلُ وغيره ، وقَمُؤَ قَمَاءَةً وقَمْأً وقماءةً : ذَلَّ وصَغُرَ وصار قَمِيئاً . ورجل قَمِيءٌ : ذليل على فعيل ، والجمع قِماء ، وقُمَاءُ الأخيرة جمع عزيز ، والأنثى قَمِيئة .

(٢) للفظة (Tetter) في معجم بلاكستون (Blakiston's New Gould Medical Dictionary)

المختلفة ولا سيما القبولة (Herpes) والأكزيما وداء الصدف (Psoriasis) مما يدل على أن اللفظة لا يعنى بها علة جلدية معينة . والقوباء يجدر أن تبقى ترجمة للفظة (Impetigo) وقد استعملتها اللجنة كذلك في المصطلح ذي الرقم (٧١٠٨) .

وعليه أرى الأفضل أن تكون ترجمة اللفظة طَفَح (لغة مولدة ان لم أقل عامية) أو تَنَحُّض[1] .

3749	Débile	واهن ، مُعتل	٣٧٤٩
3750	Débilitant, ante	مُوهِن	٣٧٥٠
3751	Débilitation	ايهان	٣٧٥١
3725	Débilité	وَهْن	٣٧٥٢

ودرجت على ترجمة هذه اللفظات تباعاً ضعيف ، مُضعِف ، إضعاف ، وضَعْف ، تاركاً الوَهْن ترجمة للفظة (Asthénie) .

3778	Déchets	أنقاض ، حُثالات	٣٧٧٨

وأرجح نُفايات أو نُفاوات[2] .

3825	Décubitus latéral	استلقاء جانبي	٣٨٢٥

وأرجح اضطجاع[3]

(١) في اللسان : تَنَحَّض الجلدُ تنوضاً خرج عليه داء كآثار القُوباء ثم تنتشر طرائق . وفي التهذيب تَنَحَّض الحمار تنوضاً اذا خرج به داء فآثار القوباء ثم تنتشر طرائق بعضها من بعض .

(٢) في اللسان : ونفاية الشيء بقيته وأردؤه وكذلك نُفاوته .
النقض : اسم البناء المنقوض إذا هُدم والنِقْض ما نَقَضْت والجمع أنقاض .
وحُثالة الطعام : ما يُخرج منه من زُؤان ونحوه مما لا خير فيه فيرمى به ، والحُثالة والحُثال الرديء من كل شيء .

(٣) الصفحة ٨٦ من الجزء الأول من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

3919 Délire fébrile — هذيان حُمّي ٣٩١٩

وأرجح هذيان حُمَوي .

3944 Démarche en fauchant démarche hélicopode — زَيَغان ، مشية حلزونية ٣٩٤٣

ويعني باللفظة الفرنجية اضطراب المشية البادي في المفلوج فالجاً تشنجياً ، بأن يمشي راسماً برجله قوساً جانبية ، وقد درجتُ على ترجمتها بالمشية المختلجة أو التخلجية [1] ، وكذلك الكَسَح [2] . أما الزَّيَغان فهو الميل [3] ولا أراها تفيد المعنى المطلوب .

لذا أرجح أن يقال في ترجمة اللفظة المشية التخلجية والمختلجة أو الكسح والمشية الحلزونية .

3949 Démarche tabéto--cérébelleuse ou cérébello-spasmodique — مشية سُهامية مُخيخية أو مُخيخية ٣٩٤٩

والأفضل مشية تابسية [4] مخيخية أو مخيخية تشنجية .

3950 Démarche tabéto-spasmodique — مشية سُهامية تشنجية ٣٩٥٠

أقول مشية تابسية تشنجية [4] .

2953 Démence paranoïde — عَتَه خُلاعي ٣٩٥٣

وقد سبق للجنة أن استعملت كلمة خُلاع ترجمة لِ Catatonie (اللفظة ذات الرقم ٣٢٤٣) (انظر الشرح الصفحة ٨٠ من الجزء الأول من المجلد الخامس

(١) الصفحة ٦٢٤ من الجزء الرابع من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .
(٢) في اللسان : الكَسَح ثقل في إحدى الرجلَين إذا مشى جرّها جَرّاً .
(٣) في اللسان : الزَّيغ : الميل ، زاغ يزيغ زَيْغاً وزَيَغاناً وزيوغاً وزَيْغوغة وأزغته أنا إزاغةً وهو زائغ .
(٤) الصفحة ٩٨ من الجزء الأول من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

والثلاثين من هذه المجلة ، وشتان بين معنى (Catatonie) و (Paranoïde) ·

ويعنى بهذه اللفظة حالة نفسية يجتمع فيها هذيان الكبرياء والاضطهاد مع التوهم دون أن تكون الآراء الهذيانية المذكورة مرتبة ، وهذه الحالة قصيرة الأمد لا تدوم طويلاً · لذا أرجح تعريبها فأقول هذيان بارانويدي ·

٣٩٥٤ عته باسر ، قتوي ، جنون متنافر ، فصام عقلي ، فَنَد البلوغ 3954 Démence précoce, juvénile, folie discordante, hébéphrénie hébéphrénio ca- -tatonie, Schizophrénie

وأرجح أن يقال : عته باسر ، شبابيّ ، جنون متباين ، جنون المراهقة ، جنون المراهقة الجمودي ، الفصام · أما الفَنَد ، فقد جاء في اللسان : الفَنَد الخَرَف وإنكار العقل من الهَرَم أو المرض ، وقد يستعمل في غير الكبر وأصله في الكِبَر ، وقد أفند · بينما الجنون هنا متعلق بالمراهقة ·

٣٩٧٢ إزالة النُخاعين 3972 Démyélinisation

ويقصد منها التجرد من النخاعين في الألياف العصبية ، لذا أرجح أن يقال في ترجمة اللفظة فَقْد النخاعين ·

٣٩٧٤ استطالات هيولية ، تشجرات 3974 Dendrite

وأرجح الغصون ، وهي الفروع التي تصدر عن الخلية العصبية ·

٣٩٧٥ متشجر 3975 Dendritique

وأرجح غصوني ·

٣٩٨٦ مُنظف للأسنان 3986 Dentifrice

والأصح السَنون · ففي فقه اللغة : السنون ما يُستاك به · وفي اللسان السنون : ما استُكَّتَ به ، وما تَستَنّ به من دواء مؤلف لتقوية الأسنان وتطريتها ·

3988 Dentition إسنان ٣٩٨٨

وكذلك الإثغار . وأرجح الأخيرة لأن الإسنان تعني التقدم بالسن أيضاً [1]

4006 Dépersonnalisation ضياع الشخصية ٤٠٠٦

وأرجح تبدد الشخصية .

4031 Déraciner, extirper قلع، جذّر ، استأصل ٤٠٣١

وكذلك جذّ [2] .

4033 Dératisation إتلاف الجُرذان ٤٠٣٣

وأرجح إبادة الجُرذان .

4035 Dérivation (E C G) تحويل (ق . س . غ .) ٤٠٣٥

ودرجتُ على ترجمة اللفظة باتجاه ، لأنها تشير الى الجهة التي يسير منها التيار الكهربائي الصادر عن القلب من منفذ الى آخر . وأشير الى E. C. G. بـ خ ق ك أي مخطط القلب الكهربائي . وكلمة تحويل التي اخترت لها استعمالات أخرى .

4067 Dermographie, dermographisme, raie vasomotrice, urticaire factice جِلد مُستكتِب ، استكتاب الجلد خط وعائي حركي ، شرى صنعي ٤٠٦٧

وأرجح أن تكون الترجمة : الكتابة الجلدية ، خط عِرقي حركي ، شرى غير حقيقي .

---

(١) في اللسان : وأسن الرجل كَبِرَ وفي المحكم : كبِرت سنه ، يُسن إسناناً فهو مُسن وهذا أسَن من هذا أي أكبر سناً منه .
وفي اللسان أيضاً : ثغر الغلام ثَغراً سقطت أسنانه الرواضع فهو مثغور ، والثغر والثر وادغر على البدل نبت أسنانه .

(٢) في اللسان : الجَذُّ القطع الوحيُّ المستأصِلُ ، وقيل هو القطع المستأصل ثم يفيد برحاه ، جذَّهُ يجُذه جذاً فهو مجذوذ .

4079 Descendance ٤٠٧٩ تَسَبُّ ، مَحْتِد ، أصل

وأرجح الذُرية والعقب .

4104 Désoxydation ٤١٠٤ خَسْفَدَة

وأرجح خسف الأوكسيد أو تفكيك الأوكسيد .

4156 Diabète azoturique ٤١٥٦ داء سكري تنترجي (مع ازدياد البولة)

تدل لفظة (Diabète) على الزَرَب [1] (مشتقة من اليونانية بمعنى السيلان) وقد عرَّبها أطباء العرب بقولهم ديابيطس ، فمن الخطأ ترجمتها بداء سكري . لذا أرجح أن تترجم اللفظة بزَرَب بالبيلة الآزوتية أو ديابيط [2] بالبيلة الآزوتية . ولا صلة لهذه العلة بالداء السكري المعروف .

4158 Daibète insipide ou hydrurique ٤١٥٨ داء سكري تَفِه أو مائي

وأرجح بيلة تَفِهة أو ديابيطس تَفِه أو ذو البيلة المائية ، وليس من الصواب أن تكون البيلة سكرية وتفهة معاً .

4162 Diabète toxique ٤١٦٢ داء سكري سُمي

أقول ديابيطس أو زَرَب سمي .

4211 Diarrhée hydrique ٤٢١١ اسهال زَرَبي

وأرجح إسهال مائي كما في ترجمة اللفظة .

4214 Diarrhée de putrifaction ٤٢١٤ اسهال تدعصي

وأرجح إسهال بالتَفَسُّخ .

(١) في اللسان زَرِبَ الماء ونحوه اذا سال .

(٢) وقد أقر مجمع اللغة هذه اللفظة .

٤٢٣٢ تحال برغينيون الكهرباوي 4232 Diélectrolyse (de Bourguignon)

ويقصد التحلل أو التشرد البادي خلال مرور التيار الكهربائي من النُسُج ، لذلك أرجح أن تترجم اللفظة بالتحلل العابر الكهربائي (بورغينيون) .

٤٢٨٤ مُمدّد ، مرقّق 4284 Dilué, ée

وأرجح مَذيق [1] .

٤٢٨٥ مفلّج ، مشطور ، مُنصّف ، نِصفي 4285 Dimidié, ée

وتدل اللفظة على النسبة الى أحد الجانبين ، لذا أرجح أن تترجم بشِقّي [2] .

٤٢٩١ خُناق غشائي 4291 Diphtérie

أرجح خانوق ودفتريا [3] .

٤٢٩٣ مصاب بخناق غشائي ، متعلق بخناق غشائي 4293 Diphtérique

أقول خانوقي أو دفتريائي .

٤٣٠١ مهووس الشراب دورياً 4301 Dipsomane périodique

٤٣٠٢ هَوَس الشراب 4302 Dipsomanie

أرجح في اللفظة الأولى وَلِع بالشراب دورياً وفي الثانية وَلَع الشراب .

٤٣٠٨ مُنفرد ، مُنعزل 4308 Discret, discrète

وأرجح ترجمة اللفظة بمتخفٍ ، خاصة ونحن نستعملها للدلالة على الشكل غير الواضح أو غير النموذجي من أحد الأمراض كقولنا الشكل المتخفي من البرداء ونقصد به الشكل الذي يشذ عن الشكل الاعتيادي الغالبة مشاهدته .

---

(١) في اللسان : مَذَق اللَّبَنَ يمذُقه مذقاً فهو مَمْذوق ومَذِيقٌ ومَذَقٌ خلطه .

(٢) في القاموس : الشِق من كل شيء نصفه ويُفتح والمالُ بيني وبينك شِقَّ الشَعَرة ويفتح يصفان سواء .

(٣) الصفحة ٤٦٩ من الجزء الثالث من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

٤٣٣٣ تفكك آحيني خلوي للمائع الدماغي الشوكي (م· د· ش) 4333 Dissociation albu- -minocytologique du L C R

وأرجح التباين الآحيني الخلوي للسائل الدماغي الشوكي (س· د· ش) لأنه يقصد من هذا المصطلح أن يزداد الآحين في السائل بينما عدد الخلايا لا يجاريه في الزيادة المذكورة وأرجح ترجمة Liquide بسائل تاركاً مائع لـ (Fluide) ·

٤٣٣٤ فُرْقان أُذيني بطيني 4334 Dissociation auriculo- - ventriculaire

ودرجت على ترجمة المصطلح بالافتراق الأُذيني البطيني ·

٤٣٥٠ داء ذوات الفُوَيْهَتَيْن ، داء ذات الفُوَيْهَتَيْن الكبدية 4350 Distomatose, disto- -miase hépatique

وأفضل تعريبه اللفظة بديستوما الكبد [1] ·

٤٣٦٦ شُرُود 4366 Divagation

وقد عرفت اللفظة بالذهول في الكلام والتفكير · فيمكن ترجمتها بالذهول أو المَرَج [2] أما الشرود فالأفضل حصرها ترجمة لكلمة (Fugue) شأن ما فعلته الجنة في ترجمة هذه اللفظة وإن قالت عنها شُراد (اللفظة ذات الرقم ٦٠٩٢) ·

٤٣٦٧ هذى ، فند ، عَطَل 4367 Divaguer, déraisonner

وأرجح مَرِج ·

٤٤٤٥ ألم تَمَرُّعي 4445 Douleur hystérique

وأرجح ألم هيستيرياني [3] ·

---

(١) وأقر مجمع اللغة معرباً اللفظة بالديستوما الكبدية ·

(٢) في القصص مَرِج الأمر فهو مَريج التبس واختلط ، وبابه طرب ، ورجل مرابج يخلط أمره ولا يحكمه ·

(٣) الصفحة ٣٠٠ من الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة ·

4480 Drastiques ٤٤٨٠ ماسطات

وأرجح مسهلات شديدة [1] .

4487 Dromomanie ٤٤٨٧ مَسُّ التشرد

وأرجح وَلَع الشرود .

4494 Duodenum ٤٤٩٤ عَفَج

والمشهور هو الإثنا عشري .

4516 Dysidrose, dyshidrose ٤٥١٦ عُسْر التعرُّق ، انحباس العَرَق

وأرجح عُسر العَرَق ، واحتباس العَرَق .

4520 Dyspepsie ٤٥٢٠ عُسْر الهَضم ، سُوء الهَضْم

4521 Dyspepsie acide, Hyperchlorhydrie ٤٥٢١ عُسْر الهَضْم الحامض ، فرط حمض الكلوريدر

والأصح التُخَمة [2] في اللفظة الأولى والتُخمة الحمضية وفرط حمض كلور الماثي في الثانية .

4527 Dyspepsie par putréfaction ٤٥٢٧ عُسر الهضم من التدعُّص

وأرجح التخمة بالتفسخ .

---

(١) في اللسان : وماسط اسم مُوَيْه ملح وكذلك كل ماء ملح يمسط البطون فهو ماسط الى أن قال : مَسَطْتُ المِعى اذا خَرَطْتَ ما فيها باصبعك ليخرج ما فيها ، وماسط ماء ملح اذا شربته الابل مسط بطونها .

(٢) في اللسان : والتُخَمة بالتحريك الذي يصيبك من الطعام اذا استوخمته ، الى أن قال ووَخِم الرجلُ بالكسر أي اتخم ، وقد تَخَمَ يتخم وتَخِمَ واتخم يتّخم واتخمه الطعام . وطعام وَخِم غير موافق وقد وَخُم وَخامة وتوخّمه واستوخمه لم يستمرئه ولا تَحمد مغبّته .

٤٥٤١ وَهَن 4541 Dystonie

وأرجح سوء المُقوية ، وأن تبقى وَهَن ترجمة لـ Asthénie .

٤٥٤٢ حَثَلٌ اغتذائي 4542 Dystrophia

٤٥٤٣ حَثَل شحمي تناسلي ، تناذر بابنسكي ـ فروليخ 4543 Dystrophie adiposo-génitale, Syndrome de Babinski - Fröhlich

وأرجح سوء التغذية في ترجمة (Dystrophie) لا حَثَل[1] .

حرف E

٤٦٠٠ تخطيط ، مخطط (مُضْغة) 4600 Ebauche (embr.)

٤٦٠١ تخطيط الجنين 4601 Ebauch fœtale

وأرجح في الأولى بقية ومَسْحة[2] وكذلك في الثانية .

٤٦٢٨ تبادل ، تطور ، اقتصاد 4628 Echange, metabolisme Economie

وأرجح أن يقال : تبادل ، تطور ، انسجام حيوي[3] .

٤٦٢٩ تبادلات القُدرة 4629 Echanges d'Energie, échanges energitiques

وأرجح تبادلات الطاقة ، التبادلات الطاقية .

---

(١) الصفحة ٦١٩ من الجزء الرابع من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في اللسان : وعليه مَسحة من جمال أي شيء منه .

(٣) في معجم لاروس : الانسجام بين الأجزاء المختلفة من الكل : الانسجام الحيواني (Economie animale) ولا أظن أن له صلة هنا بالاقتصاد .

٤٦٥٤ وَقْع الصوت الثاني — 4654 Eclat du deuxième bruit

ويعنى بهذا المصطلح شدة الدقة الثانية في إحدى بؤر القلب الاصغائية .
لذلك أرجح أن تترجم برنين الدقة الثانية[1] .

٤٧٢٥ جَهْد نفسي — 4725 Effort mental

وأرجح جَهْد فِكْري .

٤٧٧٩ (معَق) اضطراب مَعِدي — 4779 Embarras gastrique indigestion

وأرجح ارتباك المعدة ، تُخَمَة .

(للبحث صلة) الدكتور حسني سبح

---

(١) الصفحة ٣٠٥ من الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

التعريف والنقد

كتاب

(أضواء وأنوار)

تأليف الدكتور عبد الرحمن الكيالي

من أعضاء المجمع العلمي العربي

هو كتاب جليل ، وسفر نفيس ، في مباحث علم النفس ، وإقامة الدّين ، وسُنَن الاجتماع ، وفلسفة التربيـة ، وحفظ الصحّة ؛ والمؤلّف العلاّمة لم يقتصر على تاريخ نشوء هذه العلوم والفنون وارتقائها ، بل فصّل الأطوار والأدوار التي مرّت بها حتّى بلغت عصرنا الحاضر ، وفسّرها تفسيراً مستمدّاً من قواه وحقائقه ، وعلومه ومعارفه ، فكانت هذه المباحث العالية جامعة بين الآثار والأفكار ، وما مرّ عليها من قرون وأجيال ؛ ومنها بل أهمّها تاريخ الأديان ، ما كان منها وحياً سماوياً ، وما كان وضعاً إنسانيا ، وبها استبان الفرق بين عبادة الرحمن ، وعبادة بني الإنسان ، أو الأوثان ، وقد شرحها الدكتور الكيالي شرحاً وافياً ، فهي «أضواء» في أسسها وقواعدها ، وأنوار في مقاصدها وفوائدها . وليس لمثلي أن يخوض في التفصيل ، أو أن يطرق باب التحليل والتعليل ، لاعترافي بالضعف والتقصير ، فللمؤلّف الجليل من الشكر أوفره ، ومن الثناء أعطره .

محمد بهجة البيطار

شفاء السائل لتهذيب المسائل

رسالة لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون

حققها الأب اغناطيوس عبد خليفة اليسوعي ونشرها معهد الآداب الشرقية وطبعتها المطبعة الكاثوليكية في بيروت عام ١٩٥٩ وهي في (١٨٧) صفحة من قطع الوسط

إن كل دراسة عن الحضارة العربية وثقافتها تبقى مبتورة ومشوهة إن لم نستكمل نشر تراثنا العربي في جميع فنونه ومراحله ، وإشاعته على الجمهور . لم تزل هذه الثروة العلمية الضخمة التي تحتفظ بأسرارها محجوزة في خزائن دور الكتب العامة والخاصة ، محجوبة عن الأنظار لا تطالها أيدي أكثر الباحثين والمحققين - فمن ذلك هذه الرسالة النادرة التي ظهرت حديثاً للوجود بعد أن بقيت أصولها قروناً رهن محبسها .

لو أن مؤرخي ابن خلدون اطلعوا على هذه الرسالة في حينه ، لما قسا عليه بعض من رموه بالزندقه والانحلال الخلقي ، بل لأكبروا فيه إيمانه وأخلاقه .

لم يأت على ذكر هذه الرسالة أحد ممن درس سيرة ابن خلدون وآثاره من القدماء والمحدثين ، وأغفلها ابن خلدون في ثبت مؤلفاته . ولا ينفي هذا السكوت نسبتها لابن خلدون ، وجميع ما فيها يؤيد صحة ذلك ، ولا يدع مجالاً للريبة فيما ذهب اليه الأستاذ المحقق .

وقع في أيام ابن خلدون نزاع بين متصوفة الأندلس ، فيما اذا كان المتصوف المريد يحتاج الى شيخ يرشده الى الطريق أو لا يحتاج . فتناظروا في هذه المسألة واستفتوا فيها علماء المغرب ، وأجابهم ابن خلدون بهذه الرسالة ، فبحث فيها عن التصوف بحث المؤرخ المبدع ، والمحقق المنصف ، ميز بين الخبيث

منها والطيب ، وحمل على فرق الشعوذة والتضليل التي سخرت الصوفية لأهوائها الدنيوية ، وحذر من غوائلها ، وقدس الصوفية الصادقة في حسن العبادة ، وصدق الطوية ، وصفاء النية ، الخالصة من شوائب البدع ، المفضية الى طريق المعرفة والسعادة . وزيف ما ذهب اليه بعض المتصوفة والمتكلمين في علوم المكاشفة ، والقائلين بالقطب والأوتاد والابدال وبين فسادها . وسلك في كشف الغطاء في طريق الصوفية وتمييزها من بين سائر الطرق سبيل من سبقوه كالغزالي ، والمحاسبي ، وابن عطاء الله ، والقشيري ، والسهروردي ، وابن الفارض ، وابن عربي ، ومسلمة المجريطي وغيرهم .

ويرى ابن خلدون ان التصوف : «هو نور يقذفه الله في القلب المزكى بالمجاهدة ، الحازى به شطر الحق ، فاذا اطلع به على سر إلهي ، أو حكمة ربانية ، أو اتضح له مبهم من مخاطبات الشرع ، ومتشابه الكتاب والسنة ، فلا يعتد به ويقف عنده ، فان الاعتداد به حجاب قاطع ، بل يستمر على سيره الى الله ، ولا يخلقه مع ذلك بالإفشاء فسر الله أحق بالصون» . ويقرر أن هذا العلم الحاصل من المشاهدة والكشف لا يمكن أن يودع الكتب وجعله علماً مدوناً ، وأن يقتبس من التصانيف ، بل اختص به شيوخ الرسالة ومن اقتفى آثارهم ، فهم للمريد وقاية وهدايه وان لا بد للسالك من الشيخ المعلم والمربي الناصح في مداركه الوجدانية والذوقية التي لا يمكن التعبير عنها إلا لمن شاركه في وجدانها وذوقها .

وتشتمل الرسالة على مقدمة وستة فصول للمسائل التالية :

١ — الكلام في تحقيق طريق الصوفية وتميزه على الجملة بين طرق الشريعة ومدلول هذا اللقب من سلف منهم من الأمة .

٢ — الكلام في المجاهدات وأقسامها وشروطها .

٣ — الكلام فيما نقل المتأخرون اسم التصوف اليه والرد عليهم في ذلك .

٤ — الكلام في اشتراط الشيخ في المجاهدة وفي أي المجاهدات يجب ، وفي أيها يتأكد وفي أيها لا يجب ، ووجه ذلك .

٥ — الكلام في الفصل بين المتناظرين وتعيين الحق في أقوالها والصحيح من أدلتها .

٦ — القول فيما سمت اليه همم القوم من المجاهدات وما حملهم عليها من البواعث .

وقد جاءت هذه الرسالة رغم جهد المحقق دون الغاية المرجوة ، فقد أغفل ذكر من سبقه على نشرها ، وربما قد جهل وجودها . إن أول من نشر هذه الرسالة الأستاذ محمد بن تاويت الطنجي ، طبعها في القسطنطينية سنة ١٩٥٨ ، وتغلب على هذه الطبعة الصحة ودقة التحقيق ، ولو وقف عليها الأب خليفة لسهلت عليه كثيراً من العناء والجهد ، واستدرك منها الأخطاء والمفوات التي يتعرض لمثلها كل من عول على نسخة واحدة ، وحقق غايته من صحة المتن وأناقة الطبع ، ولم يكن الأستاذ المحقق أول من كبا في هذا الميدان .

عثر في المغرب الأستاذ الطنجي على نسخة ثانية من هذه الرسالة ، أعانته على إتمام نواقص النسخة التي اعتمدها الأب خليفة ، وضبط تسلسل صفحاتها المشوشة ، من ذلك :

نقص ثلاث صفحات بعد صفحة المخطوطة رقم [9b] ثم يتسلسل بعدها الصفحات رقم [75a] الى [84b] ثم يليها الصفحات رقم [10a] الى [74b] ومن بعدها تأتي الصفحات رقم [85a] الى [88a] . ويصحح ترتيب أرقام المخطوطة على النسق الثاني :

[1a] — [9b] ... [75a] — [84b] [10a] — [74b] [85a] — [88a]

ووقع في هذه الرسالة أخطاء مطبعية وأخطاء بقراءة بعض الألفاظ ، ومن أهمها :

صفحة	الخطأ	الصواب
١٠	عباد	عياد
٢٦	اذيلهم	اديانهم
٣٠	بسر وفر	بشيء وقر
•	الغبة	الجنة
•	باستيلاء الذكر	باستيلاء سلطان الذكر
•	وجود	حضور
٣٤	اقصى	اتقى
•	استهزأ	استبرأ
٣٥	وصفته	وصبة
٣٦	القرءآن	القرآن
•	[×]	نفس
٤٥	هدينا	هدانا
•	فسقون	فاسقون
٤٦	كفيشكم	كيشكم
٥٠	افعالاً	اقوالاً
٥١	فليسوفي الشارة	فيلسوفي الاشارة
•	الى آدم	الى أن ينتهي الى آدم
•	الشهادة	المشاهدة
٥٩	فآتها	فائتها
•	يشاهد	بشاهد
٦١	الخلق	الخلوة
٦٥	جدة	جدلاً

صفحة	الخطأ	الصواب
٦٩	رايد	رأيك
٧٨	لفشو	بفشو
٨١	خلق	سخر
٨٦	بصنعة	يصنع
٨٧ — ٨٨	(غير مقروء)	الأنوار وجذب عن
٨٨	(غير مقروء)	فهو لايدري ما الكتاب

وبرغم الجهد الذي بذله الأستاذ بتحقيق هذه الرسالة فقد ترك فيها فجوات قللت من قيمتها العلمية ، وبقيت طبعة الطنجي المرجع المفضل لهذه الرسالة .

جعفر الحسني

نحن والتاريخ

تأليف الدكتور قسطنطين زريق

(٢٤٢ صفحة)

دار العلم للملايين — بيروت ١٩٥٩

صدر في هذه الأيام كتاب جديد بقلم الأستاذ الدكتور (قسطنطين زريق) ، عنوانه (نحن والتاريخ) ، يتكلم فيه المؤلف عن الوعي التاريخي عند الأفراد والشعوب ويحلل فيه موقفنا ، نحن العرب ، من ماضينا ويبين أثر هذا الموقف في حاضرنا ومستقبلنا .

والدكتور (قسطنطين زريق) لا يحتاج الى تعريف . فهو من أبرز أعلام الفكر العربي في الوقت الحاضر ومن أخلص العاملين للقضية العربية . ولا شك في أن قراء العربية سيرحبون بكتابه هذا كما رحبوا بكتابيه السابقين : (الوعي القومي) و (معنى النكبة) .

تتكشف لنا أهمية كتاب (نحن والتاريخ) من مجرد استعراض عناوين فصوله التي تتضمن: ماهية التأريخ والغرض منه ؛ صناعة التأريخ وفضائلها ؛ التفكير التاريخي ؛ التعليل والحكم ؛ الثقافة التأريخية ؛ صنع التاريخ ؛ موقفنا من الماضي ؛ التاريخ العبء والتاريخ الحافز ؛ حكمنا في التاريخ وحكم التاريخ فينا ...

وإذا كان المؤلف لم يقصد تقديم دراسة كاملة لقواعد علم التأريخ أو مسائل فلسفة التاريخ ، فقد تعرض الى موضوعات جوهرية تتصل بذلك واعتمد في بحثه على آراء ناضجة لمفكرين أمثال (قروشه) و (توينبي) .

أما الغاية الأساسية من الكتاب فهي قومية . إنه يريد إثارة الوعي التاريخي في الأمة العربية حتى تقف الموقف الصحيح من ماضيها ، فتقوم بدراسة تأريخها دراسة علمية ، صحيحة ، انتقادية تربط بين أحداث الماضي وتكشف عن العوامل المؤثرة فيها وتحكم على نتائجها بموازين مضبوطة ، عادلة .

انتبه المؤلف الى أن بعض الناس سيتساءلون عن جدوى البحث التأريخي في هذا الوقت الذي تتصارع فيه الأمم والشعوب ويسيطر فيه على الجميع الخوف من المصير قائلين : أليس الأجدى أن ننسى الماضي كلياً ونتطلع الى المستقبل وحده ؟

وقد أجاب على هذا التساؤل فأوضح لماذا يجب علينا أن نهتم بالتأريخ . ذلك لأن كل مشكلة من المشكلات التي تعترض البشرية في الوقت الحاضر لها جذورها وأصولها في تراث الماضي . ولا سبيل الى معالجة المشاكل على وجه صحيح ، حاسم إلا بعد معرفة العلل والأسباب التي نجمت عنها . والأستاذ (قسطنطين زريق) يرحب بالثورة على الماضي ولكنه يلاحظ بأن ذلك لا يغنينا عن ضرورة الاشتغال بالتأريخ ؛ إذ لا بد لنا ، على الأقل ، من أن نكون مدركين حق الإدراك لهذا الماضي الذي نثور عليه . فالتأريخ يذكرنا ،

شئنا أم أبينا ، بالنكبات والمآسي التي نزلت بنا في نصف القرن الماضي وفي مقدمتها نكبة فلسطين . ومن واجبنا أن نتساءل عن أسباب هذه الأحداث التي توالت علينا وعن أصول العلل التي أضعفتنا وأوقفتنا زمناً طويلاً عن النهوض وأخضعتنا لغيرنا ونشرت في جسمنا الأدواء .

ثم ، من جهة ثانية ، لا بد لنا من أن نستلهم الماضي ونستمد منه عناصر القوة والفخر والاعتزاز . وكما فعلت الشعوب الأخرى التي سبقتنا الى النهضة في القرنين الماضيين يجب علينا ، نحن العرب أيضاً ، أن نتذكر ماضي أمتنا ونتغنى بأمجادنا ، وسير أبطالنا وفتوحاتنا وانتصاراتنا وتقاليدنا وما يشتمل عليه ميراث حضارتنا من روائع الفن والأدب ومآثر العلم . إنما يحذرنا الأستاذ (قسطنطين زريق) من الإغراق في التلفت الى الماضي ومن الانغماس فيه لأن ذلك قد يورث الضعف بدلاً من القوة ويشيع التواكل بدلاً من التوثب . وهو قد أجاد في ايضاح الأثرين المتناقضين للتأريخ ، فبين أن ثمة تأريخاً يثقل كاهل صاحبه ـ فرداً كان أم أمة ـ ويشل حيويته ويضعف همته ويعرقل سيره ، وأن ثمة تأريخاً آخر يحفز وينشط ويدفع الى الإبداع والتقدم . وفي الحقيقة إن التاريخ يصبح عبئاً ثقيلاً اذا سحرنا وقبض على نفوسنا وصرفنا عن مهام حاضرنا ومطامح مستقبلنا وحصرنا ضمن حدوده فضيق نظرتنا ومنعنا من المقارنة والمقابلة مع تواريخ الشعوب والحضارات الأخرى . والخطر كل الخطر في أن نكتفي بالماضي ونخضع لرسوباته ونرث عنه المفاسد من عصبيات ومنازعات . لأجل أن نستفيد من التأريخ يجب أن نعرف الماضي معرفة صحيحة وننتقده ونميز عناصره الإيجابية من عناصره السلبية .

والتجارب تثبت لنا أن صانع التاريخ ليس ذلك الذي يتجه الى المستقبل ويسبح في الرؤى والأحلام أو الذي يغرق كل الغرق في الحاضر ومشكلاته

أو الذي يحن الى الماضي ويرغب في أن يرجعه كما كان ، وإنما هو الذي يعيش في توتر دائم بين الحاضر والمستقبل والماضي . ولذلك فإنه أمين للماضي ، متسام عليه ، متغلب على الحاضر ومخطط للمستقبل .

وأخيراً يبدي المؤلف اهتماماً كبيراً بفكرة الحرية ويقول : إن الإنسان لا يستطيع أن يصنع التاريخ إذا لم يشعر بقدرته على الاختيار واذا لم يكن مستعداً لتنفيذ ما يختاره . « فالذي لا يرى السبل المختلفة المرتسمة أمامه ولا يحس أن عليه أن يختار بينها وأن يعتزم ويقرر وأنه قادر على هذا ومسؤول عنه في نهاية الأمر - إن الذي لا يتصف بهذه الصفات يعجز عن العمل التاريخي . » فالشعور بالحرية شرط أساسي من شروط الإقدام والإبداع والتأثير في مجرى الحياة والتاريخ .

وينتهي الأستاذ (قسطنطين زريق) الى القول بأننا « في هيئتنا القومية التي تهدف الى التحرر السياسي والوحدة والتضامن والعدل الاجتماعي والكسب الحضاري نصطدم بقوى خارجية هائلة تقف دون تقدمنا كما أن هناك في داخلنا قوى يدفعها الجهل أو التعصب أو الأنانية فتشدنا الى الوراء أو تبث فينا التفرقة والانقسام . وليس لنا من عدة في سبيل التغلب على هذه القوى إلا مبلغ ما نتحلى به جميعاً من صحة نظر وسلامة فكر وحسن تخطيط وتنفيذ ومن ايمان وصدق وعزم وبذل وتضحية .... إن ضماننا هو في جلال طموحنا الى العمل التاريخي المبدع . إنه في مدى ارتفاعنا الى مستوى التحدي الرائع الجلل والرد عليه بما هو أجل وأروع » .

وهذه الإشارات والمقتطفات تكفي لتبين لنا قيمة الكتاب وتحتم علينا مطالعته بإمعان للإفادة منه ..

الدكتور محمد كامل عياد

تاريخ (تطوان)

— المجلد الأول —

تأليف الأستاذ محمد داود (٥٣٠) صفحة

(من منشورات معهد مولاي الحسن)

تطوان ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م

تطوان (كما يسميها الفرنجة أو تطاون كما يقول أهلها ـ ويبدو أن الاسم محرف عن كلمة «تطاوين» التي تفيد العيون بلغة البربر) مدينة متوسطة من بلاد المغرب ، قريبة من شاطئ البحر الأبيض المتوسط ، تقع الى الجنوب من سبتة على مضيق جبل طارق والى الشرق من (طنجة) . وقد اتخذها الاسبان عاصمة للمنطقة التي كانوا قد احتلوها من المغرب سنة ١٩١٣ وصارت مقراً لخليفة السلطان في عهد الحماية الفرنسية — الاسبانية .

يستدل من الأخبار والآثار القديمة أن مدينة (تطوان) كانت موجودة قبل الإسلام . ونرى المؤرخين والجغرافيين العرب يشيرون اليها في القرن الثالث الهجري ويذكرون تهديمها من قبل الأدارسة في سنة (٣٣٨) هجرية ؛ ثم يصفها (البكري) في القرن الخامس كمدينة صغيرة بينما يقول عنها (الشريف الادريسي) في القرن السادس إنها حصن تسكنه قبيلة من البربر . وبعد أن بنيت (تطوان) بناء جديداً في أوائل القرن الثامن للهجرة ظلت مدينة عامرة ، محصنة الى أن خربت من قبل الاسبان في سنة ٨٠٣ هجرية (الموافقة لسنة ١٤٠٠ ميلادية) وبقيت مخربة حتى أواخر القرن التاسع .

وحوالي سنة (٨٩٠) هجرية وصل عدد من المهاجرين الغرناطيين تحت رئاسة المجاهد (أبي الحسن علي المنظري) ، أحد قادة بني الأحمر ، الى مكان (تطوان) القديمة وبدؤوا في بناء مدينة جديدة . وتتابع المهاجرون من الأندلس

ولا سيما من غرناطة واشبيلية ، وكان بينهم الكثيرون من المثقفين الذين حافظوا على طراز معيشتهم وتقاليدهم وعاداتهم . وهكذا أصبحت (تطوان) الحديثة مركزاً للحضارة الأندلسية وهي مازالت منذ خمسة قرون تلعب دوراً هاماً في تاريخ المغرب وحياته السياسية والفكرية . وقد امتاز أهلها بحبهم للعلوم والآداب والفنون وإخلاصهم للعروبة والإسلام ودفاعهم عن الحرية والاستقلال وميلهم الى التجديد والتقدم .

إن تاريخ مدينة مثل هذه من شأنه أن يكشف لنا عن صفحات هامة من أحوال المغرب وتطور حضارته كما يساعدنا على كتابة التاريخ العام لتلك البلاد . وقد قام بتأليف كتاب « تاريخ تطوان » الأستاذ الجليل السيد (محمد داود) وهو من أفاضل أبناء تلك المدينة وكبار علمائها العاملين ، بل أحد أعلام المغرب كله .

انصرف المؤلف بعد إتمام دراسته العالية في جامعة القرويين بفاس سنة ١٩٢٢ الى التدريس والكتابة في صحف الشرق والمغرب العربي وكان المراسل الخاص لجريدة الاهرام المصرية أثناء حرب الريف ضد الاحتلال الأجنبي بزعامة بطل المغرب الخالد محمد بن عبد الكريم الخطابي . والى الأستاذ (محمد داود) يرجع الفضل في تأسيس أول مدرسة عربية ـ اسلامية حرة في عهد الحماية كانت النواة الأولى للنهضة العلمية الحديثة والحركة الوطنية الاستقلالية في البلاد . كذلك اشترك المؤلف في تأسيس كتلة العمل الوطني وأنشأ مجلة (السلام) وجريدة (الأخبار) للدفاع عن العروبة والإسلام . ثم تولى مدة من الزمن مديرية المعارف في شمال المغرب وأسهم في وضع مناهج التعليم الحديثة .

كان الأستاذ (محمد داود) منذ شبابه يفكر في كتابة تاريخ بلدته . فقضى زمناً طويلاً وهو يجمع المواد اللازمة لذلك . والجزء الأول الذي بين أيدينا يشهد على أن المؤلف قد بذل جهوداً كبيرة في مراجعة مختلف الوثائق

التي استطاع العثور عليها في الزوايا والمساجد والمحاكم وبيوت الناس سواء في (تطوان) أو سائر مدن المغرب ، كما سعى الى نقل ما ورد في المراجع الأجنبية من أخبار ووثائق عن بلدته .

وفي الواقع فإن من أهم مزايا كتاب «تاريخ تطوان» اشتماله على عدد من الوثائق التاريخية التي تكشف النقاب عن علاقات المغرب بالبلاد الأوروبية وعن دسائس الدول الاستعمارية وأساليب نشر نفوذها . واذا كنا نتمتع بقراءة الأخبار الطريفة في الجزء الأول من الكتاب عن بعثة الحاج (محمد تميم) حاكم تطوان الذي أرسله ملك المغرب مولاي اسماعيل في شتاء سنة ١٠٩٣هـ ./١٦٨٢م . الى بلاط ملك فرنسا لويس الرابع عشر فلا شك في أننا ، من جهة أخرى ، نستخلص كثيراً من العبر بالاطلاع على التقارير التي كان يرسلها القسيس والجاسوس الانكليزي «جون هاريسون» الى حكومة بلاده ويدعي فيها أن حكام (تطوان) يعرضون عليه خدماتهم وان سكان المغرب عامة يبدون استعدادهم للقتال مع الانكليز ضد اسبانيا . ويشير (هاريسون) الى امكان استغلال حكام (تطوان) للاستيلاء على (جبل طارق) و (سبتة) والسيطرة بذلك على المضيق ..

كذلك يشتمل كتاب الأستاذ (محمد داود) على كثير من نصوص المعاهدات والرسائل السياسية والحجج الوقفية وصكوك البيع والشراء وغيرها . أضف الى ذلك طائفة من الصور الجميلة لبعض الأماكن والآثار التاريخية ولا بد أيضاً من التنويه بالفهارس المتعددة الدقيقة والمفصلة التي تساعد كثيراً على الاستفادة من الكتاب .

يتألف كتاب (تاريخ تطوان) من ثمانية أجزاء . ويتضمن الجزء الأول الذي ظهر على أربعة أبواب يتكلم فيها المؤلف عن (تطوان) القديمة قبل الإسلام وبعد الفتح الإسلامي ثم عن (تطوان) الحديثة فيستعرض ولاتها وقادتها

وقضاتها ومشاهير رجالها ويسرد الأخبار عن أهم الحوادث المتعلقة بها في كل من القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة . ويقول المؤلف أنه قد رتب كتابه على اعتبار كل قرن وحدة مستقلة يجمع أخباره في باب واحد تحته عدة فصول . ومع الاعتراف بأنه ليس هناك أي مبدأ متفق عليه لتحديد الأدوار التاريخية ، الا أننا نعتقد بأن التقسيم حسب القرون لا يمكن اعتباره صالحاً ويتبين من فهرست المجلدات الباقية من الكتاب أن المؤلف نفسه قد اضطر مثلاً الى أن يبحث في الحرب بين المغرب واسبانيا سنة ١٢٧٦ هـ/١٨٦٠م . كموضوع مستقل في مجلدين كاملين ، في حين أنه لم يخصص لتاريخ تطوان من عام ١٣٠١ الى عام ١٢٧٦ سوى فصل واحد .

وعلى كل حال فإن الغاية الأولى للمؤلف إنما كانت جمع كل ما يستطيع من الأخبار والوثائق والمعلومات عن بلدته وهو يتمنى أن يقوم غيره بمثل هذا العمل في سائر مدن المغرب حتى تتوفر بذلك المواد اللازمة لكتابة تاريخ المغرب كله . من هذه الوجهة يستحق كتاب « تاريخ تطوان » كل تقدير وثناء .

الدكتور محمد كامل عياد



« ما ساهم به المؤرخون العرب في المائة سنة الأخيرة في دراسة التاريخ العربي وغيره »

(٢٩٤ صفحة)

أشرفت على اخراجه : هيئة الدراسات العربية
في الجامعة الأميركية . بيروت ١٩٥٩

درجت «هيئة الدراسات العربية في الجامعة الاميركية» على أن تعقد في كل سنة مؤتمراً يشترك فيه علماء معروفون من كل البلدان العربية للبحث في موضوع معين ، ثم تنشر هذه الأبحاث في كتاب خاص لتعم الاستفادة منها . وهذه عناوين الكتب التي نشرت في السنوات الماضية : ١) موقف العرب من الحضارة الحديثة ؛ ٢) مستقبل العالم العربي ؛ ٣) المجتمع العربي ؛ ٤) الأدب العربي الحديث ؛ ٥) مهمة الجامعة في العالم العربي ؛ ٦) البحث العلمي في العالم العربي ؛ ٧) التربية السياسية في العالم العربي ؛ ٨) الضائع من الموارد البشرية في العالم العربي .

أما المؤتمر التاسع الذي عقد في أيار سنة ١٩٥٩ فقد كان موضوعه : «ما ساهم به المؤرخون العرب في المائة سنة الأخيرة في دراسة التاريخ العربي وغيره» .

وقد قسم الموضوع الى أجزاء يعالج كل واحد منها مؤرخ اختصاصي فبحث الدكتور (جورج حداد) من جامعة دمشق في «مؤلفات المؤرخين العرب في غير التاريخ العربي خلال المائة سنة الأخيرة» . ولم يقتصر الأستاذ (حداد) على استعراض الكتب فقط ، بل أضاف اليها المقالات والدراسات التي نشرت في المجلات أيضاً وعمد الى توزيعها على عشرة أبواب كما يلي :

١) تاريخ العالم والموضوعات التاريخية ؛ ٢) فلسفة التاريخ وتاريخ التأريخ ومنهج البحث التأريخي ؛ ٣) الحضارة وتاريخها ؛ ٤) تاريخ الشرق الأدنى القديم والآثار؛ ٥) تاريخ اليونان والرومان وبيزنطة والشرق المعاصر لهم؛ ٦) التاريخ الكنسي؛ ٧) تاريخ بلاد أوروبا ؛ ٨) تاريخ بلاد آسيا وافريقيا والدولة العثمانية ؛ ٩) تاريخ بلاد القارة الأميركية ؛ ١٠) تواريخ خاصة . كذلك رأي الأستاذ (حداد) من المفيد أن يميز بين فترتين خلال المائة سنة ، تمتد الأولى من سنة ١٨٥٠ حتى سنة ١٩١٨ والثانية من ١٩١٩ حتى الوقت الحاضر . وقد اشتملت قوائم الكتب المؤلفة والمترجمة التي ألحقها الأستاذ ببحثه (٥٦٠) كتاباً منها ٢١٥ في الفترة الأولى والبقية في الفترة الثانية . أضف الى ذلك قوائم المقالات .

كان هم الأستاذ (حداد) في دراسته أن يكشف عن العوامل التي دعت الى التأليف في الموضوعات التاريخية المذكورة وأن يبين القيمة العلمية للمؤلفات وأثرها في المجتمع العربي ، كما إنه تعرض الى أسباب الإقدام على التأليف في بعض الموضوعات والإحجام عن غيرها .

ثم عالج الأستاذ (محمد توفيق حسن) من الجامعة الأميركية المؤلفات في سيرة النبي محمد (ﷺ) فقال إن المؤرخين الأقدمين كانوا أصدق أخباراً وأصح أفهاماً وأسلم طريقة من الكتاب العرب الحديثين الذين اتبعوا أسلوب القصة التاريخية وهدفوا الى أغراض دينية .

وكان مقرراً أن يتكلم عن (تاريخ الدولة الأموية) الدكتور أحمد صالح العلي ، الأستاذ في جامعة بغداد ، ولكنه لم يستطع الحضور .

وبحث الدكتور (عبد العزيز الدوري) ، من أساتذة جامعة بغداد ، في المؤلفات عن الدولة العباسية حتى سنة ٣٣٤ هـ . فأشار الى أن هذه الفترة قد نالت قسطاً ملحوظاً من العناية ، لأنها فترة ازدهار الحضارة الإسلامية

وفترة «العصر الذهبي» بنظر الأجيال التالية وفي الخيال الشعبي . ولكن الأستاذ (الدوري) يأخذ على الكتب التي ظهرت حتى الآن قلة التحليل والنقد في معالجة المشاكل التاريخية وفقدان الآراء الجديدة والاقتصار على بعض النواحي السياسية والفكرية .

وتولى الدكتور (عبد المنعم ماجد) من جامعة (عين شمس) دراسة المؤلفات المتعلقة بالفترة الفاطمية من سنة ٣٥٨ حتى سنة ٥٦٧ . فتكلم عن المصادر العربية لذلك العهد والجهود التي بذلت لنشرها بطريقة علمية حديثة ثم عن الكتب الخاصة بالفترة الفاطمية في مصر مثل كتاب «كنوز الفاطميين» تأليف زكي محمد حسن وكتاب (الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية) تأليف محمد عبد الله عنان ؛ وكتابي (عبيد الله المهدي) و (المعز لدين الله الفاطمي ، مؤسس الدولة الفاطمية في مصر) تأليف حسن ابراهيم بالاشتراك مع طه شرف ؛ وكتابي (نظم الفاطميين ورسومهم في مصر) و (الحاكم بأمر الله ، الخليفة المفترى عليه) تأليف عبد المنعم ماجد ..

وقد بحث الدكتور (قسطنطين زريق) من أساتذة الجامعة الأميركية في بيروت ، في المؤلفات عن فترة الحروب الصليبية فتكلم عن نشر الأصول مثل كتاب (وفيات الأعيان) لابن خلكان و (الكامل) لابن الأثير والفتح القسي للعماد الكاتب الاصفهاني و (كتاب الروضتين في أخبار الدولتين) لأبي شامة وكتاب (الاعتبار لأسامة بن منقذ) وتاريخ ابن عساكر و (زبدة الحلب من تاريخ حلب) لابن العديم و (الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة) لابن شداد (وكلاهما بتحقيق الزميل الدكتور سامي الدهان) وأشار الى الشروط اللازم توفرها في النشر العلمي . ثم انتقل الى الحديث عن الكتب والمقالات التي وضعها المؤلفون العرب المحدثون في تاريخ الحروب الصليبية أو في بعض نواحيها وبين الأسباب التي دعت الى الاهتمام خاصة بتلك الفترة

كما ألمح الى العوائق التي مازالت تحول دون تقدم الأبحاث التاريخية في هذا الموضوع .

أما المؤلفات عن عصر المماليك فقد بحث فيهما الدكتور (نقولا زيادة) أحد أساتذة الجامعة الأميركية في بيروت ، الذي بدأ أيضاً باستعراض المصادر القديمة التي نشرت نشراً علمياً . وانتقل بعدها الى الكتب القليلة الموضوعة حديثاً سواء عن عصر المماليك عامة أو عن شخصيات بارزة في العصر المملوكي وسعى الى تحليل كل منها وبيان قيمته .

واستعرض الدكتور (عفيف الترك) من بيروت ماألفه المؤرخون العرب عن الأندلس في المائة سنة الأخيرة فذكر أولاً الرحلات التي قام بها أمثال الكاتب التونسي الورداني وأمير الشعراء أحمد شوقي والأستاذ محمد كرد علي والفنان اللبناني مصطفى فروخ ثم أشار الى كتب الأستاذ أنيس النصولي في تاريخ الأندلس وكتابي الأمير شكيب أرسلان : « خلاصة تاريخ الأندلس الى سقوط غرناطة » و « الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية » ؛ وأخيراً تكلم بإسهاب عن كتاب الأستاذ محمد عبد الله عنان : « دولة الإسلام في الأندلس » وعن كتاب الدكتور عمر فروخ : « تاريخ العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط » .

ومن ذلك نرى أن ما كتبه المؤرخون العرب المحدثون عن الأندلس ضئيل جداً لا يمكن مقارنته مطلقاً بمؤلفات المستشرقين في هذا الموضوع .

وكان بين المشتركين في المؤتمر المستشرق الألماني المشهور (هلموت ريتر) الذي عاش في استانبول مدة طويلة وعهدت اليه الحكومة التركية برياسة لجنة تصنيف المخطوطات هناك . فتكلم عن بعض المخطوطات العربية في التاريخ الموجودة في مكتبات استانبول والتي تستحق النشر .

وأقدم كتاب تاريخ توجد مخطوطة منه في مكتبة (فاتح) هو (كتاب التاريخ) لأبي زرعة عبد الرحمن بن عامر المتوفى بدمشق سنة ٢٨٣ هـ . وفي مكتبة (رئيس الكتاب مصطفى) نسخة كاملة من (أنساب الأشراف) للبلاذري ، وهو بالحقيقة كتاب مهم جداً في التاريخ والتراجم وليس في الأنساب كما يوهم عنوانه . كذلك يوجد خمس عشرة مخطوطة من تاريخ الطبري يمكن الاستفادة منها عند اعادة نشر الكتاب التي أصبحت ضرورية . ومن أهم المخطوطات التاريخية في مكتبات استانبول كتاب (مرآة الزمان) تأليف سبط ابن الجوزي . وهناك كتاب (الروضة الزاهرة في السيرة الظاهرة) وهو يبحث في سيرة الظاهر بيبرس ومؤلفه (ابن شداد) المشهور . ثم هناك في مكتبة (أياصوفيا) نسخة بخط المؤلف (أبي بكر بن عبد الله الدواداري) من كتابه (الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر « قلاوون ») . ومن المخطوطات الهامة في مكتبة (أياصوفيا) أيضاً (٢٧) مجلداً من كتاب « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار » لابن فضل الله العمري ، وهو أشبه بموسوعة جغرافية — تاريخية .

وبالاجمال فإن الأبحاث التي قدمت الى المؤتمر كانت مفيدة على الرغم من اختلاف مستواها في الإحاطة والتمحيص والحكم . وقد دلت المناقشات في المؤتمر على أن القوائم الملحقة بالأبحاث لا تشتمل على جميع المؤلفات والدراسات . وهذا طبيعي بسبب الصعوبات التي ما زالت تعترض الباحثين في التعرف الى المؤلفات العربية الحديثة . وقد أشار جميع المتكلمين في المؤتمر الى فقدان المؤسسات التي تعنى باحصاء المؤلفات وفهرستها .

لذلك فإن الكتاب الذي أخرجته هيئة الدراسات العربية في الجامعة الأميركية والذي يشتمل على ما يقارب (١٠٠٠) من المؤلفات التاريخية يسد ثغرة كبيرة ويستحق كل الشكر ...

الدكتور محمد كامل عياد

طريق الوحدة الاقتصادية
والبلاد العربية
تأليف الأستاذ يونس صالح الخربتي
طبعة بيروت ، عدد صفحاته ٢٢٨ بالقطع الوسط

لقد أخرج الأستاذ يونس صالح الخربتي كتاباً ، بعنوان : « طريق الوحدة الاقتصادية في البلاد العربية » أوضح فيه مفاهيم الوحدة الاقتصادية ، والطريق التي سارت عليها بعض البلاد الأجنبية ، وقد استعرض الاتحاد الجركي بين النروج والسويد (١٨٧٤ — ١٨٩٧) واتحاد البنلوكس الذي تم بين بلجيكا واللكسمبرج وهولندا ونفذ اعتباراً من كانون الثاني سنة ١٩٤٨

ثم حلل أغراض هذا الاتحاد الجركي ، وشروط الاتفاقات الاتحادية ، وقضية موارد الجمارك والتفضيل التجاري الجركي والضرائب غير المباشرة بين المتحدين ، وتنسيق السياسة الاقتصادية ، والاتحاد النقدي ، وقد توسع في بحث الكتلة الاسترلينية ، ونسبة تجارة بريطانيا مع أقطار كتلة الاسترليني ، وتنسيق السياسات النقدية ، والسياسات المالية ، ومشاريع التنمية الاقتصادية في الاتحادات ، الى غير ذلك من المباحث الهامة .

وبحث أيضاً حركة رؤوس الأموال وازدواج الضرائب ، ولم يستحسن ذلك الازدواج ، إذ قال عنه :

« فمن المعلوم أن ازدواج الضريبة ، له أثر غير ملائم اقتصادياً ، حيث يعمل في جميع الأحوال على تقييد انتقالات رؤوس الأموال لأغراض الاستثمار الاقليمي ، ما دام الأفراد ملزمين بدفع الضريبة في البلد الذي يمارسون أعمالهم فيه ، وملزمين بدفعها أيضاً ، الى سلطات الضريبة في البلد الذي ينتمون اليه رسمياً » (ص ١١٣) .

إن الأستاذ لم يعذر بعض الدول التي اضطرت الى تنفيذ ذلك ، عندما عجزت عن منع تصدير رؤوس الأموال ، التي يقوم به أفراد ، بدافع المنفعة الخاصة من بلادهم بطرق مشروعة أو غير مشروعة ، الى الخارج ، لاستثمار تلك الأموال هناك ، لقلة الضرائب ، أو لكثرة الأرباح ، ويتركون بلادهم بدون أموال تساعدهم على القيام ببعض المشاريع المنتجة .

لقد كان على الأستاذ أن يعذر تلك الدول في ايجادها لقاعدة الضرائب المزدوجة ، التي تحمي مصالح مجتمعها .

ثم دخل في بحث الاتحاد الاقتصادي بين البلاد العربية ، وبيّن ضرورته ، وذلك لتوسيع السوق وتنسيق الصناعة الجديدة ، واستثمار الأنهر في الزراعة والكهرباء ، وتحسين طرق المواصلات وتنقل الأفراد .

واستعرض ميثاق الجامعة العربية ، وعلق عليه بأنه لم ينسق السياسات والنظم والمشروعات الاقتصادية (ص ١٧٣) وان لجنة الشؤون الاقتصادية والمالية للجامعة لم تسهر على وضع قواعد واسعة للتعاون الاقتصادي (ص ١٩٤) .

وفي الحق ان ميثاق الجامعة ، ناقص من نواح عدة ، ومن الضروري تعديله لصالح البلاد العربية ، ليتسنى للجامعة القيام بما يجب عليها .

وبحث أيضاً عن الاتحاد الاقتصادي بين سورية ولبنان ، وكيف كان وكيف انتهى ، واني أعتقد أنه كان من الضروري أن يبقى بعد تعديله لفائدة الفريقين : القومي والسياسي والاقتصادي .

ثم انتهى الى القول : « ان حاجة البلاد العربية الى الوحدة الاقتصادية أمر واضح يسلم به الجميع ، وحقيقة يجب ألا يرقى اليها الشك » (ص ٢٠٥) .

« ويجدر أن نصارح بعضنا بعضاً بأن طريق الوحدة ليس بعيداً ، كما يبدو لأول وهلة . . . . وهذا كما نعلم شرط لازم من شروط النجاح في معترك

الحياة في عالمنا الحاضر» (ص ٢١٨) ان هذه الكلمة التوجيهية لا يختلف فيها عربي يفهم معناها وفوائدها .

ولو ان حضرة الأستاذ المؤلف توسع في بيان : الطرق اللازمة لتأمين الوحدة العربية وفوائد تلك الوحدة من الوجهة القومية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية ، بوصفنا أمة عربية واحدة : بالقرابة والدم واللغة والمصالح والمحيط الواحد والتاريخ ، وان بلادنا هي في حاجة ملحة للوحدة ، لأنها أقرب البلاد للدول الاستعمارية التي تتطلع اليها بعين الشراهة والغدر ، لكان أنهى الموضوع على الوجه الأكمل ، ولكن ذلك لا يقلل من قيمة هذا الكتاب ، الذي بذل الأستاذ جهوداً طيبة في اخراجه ، يشكر عليها .

منير الشريف

الأساس الاقتصادي للحضارة الأمريكية

تأليف الدكتور شيبارد كلاو

ترجمة أحمد حلمي حجاج

طبعة القاهرة سنة ١٩٥٥ م (ص ١٩٩)

الدكتور شبرد كلاو هو من علماء الاقتصاد في الولايات المتحدة ، واسع الثقافة والخبرة ، وكتابه هذا يحوي على اقتصاديات الولايات المتحدة ، فيما يتعلق بالصناعة والمواد الطبيعية ؛ وفنون الصناعة وعوامل النمو الصناعي ، والتوسع في الزراعة والنقل ، والتجارة ، والنقود والبنوك ، والسكان والقوة العاملة والحركة المالية ، وتنظيم الأعمال ، والثورة الاصلاحية ، وتركيز الثروة ، والدورات التجارية ودولة الرفاهية ، والماضي والحاضر والمستقبل ، وألحق بفصوله هذه جداول تتضمن أرقاماً ، يدعم فيها مواضيعه .

وقد كتب الدكتور كتابه بعاطفة وطنية أمريكية ، لذلك فقد قال في صدر كتابه :

«وفي الحق انه لم ينعم شعب قط بمثل الفيض من الوفرة المادية في معيشته ، مما نشاهده الآن في متناول الشعب الأمريكي» (ص ٧)

ولما بحث المؤلف عن الصناعة في الولايات المتحدة ، وازدهارها ، قال ان دخلها القومي الذي كان في عام ١٨٧٩ عبارة عن ١٣٫٩ ٪ من مجموع الدخل العام ، قد ارتفع في عام ١٩٥٠ الى ٣٠٫٧ ٪ (ص ١٠) على ان الدخل القومي من الزراعة قد هبط من ٣٠ ٪ في عام ١٨٧٩ الى ٧٫٢ ٪ في عام ١٩٥٠

وبين ما لدى أمريكا من المحروقات ، والمعادن ، والقوى الكهربائية ، والمعادن الكيميائية ، والغابات والآلات الصناعية ، وسلع الاستهلاك ، وقد أحسن صنعاً في ذكر ذلك ولو انه دعاية لشعبه .

وبين انتاج القطن في الولايات المتحدة ، وكيف انه ارتفع من مليوني بالة عام ١٨٦٦ الى ١٨ مليون بالة في عام ١٩٢٦ ثم هبط الى ١٢ مليون بالة بعدئذ لاشتداد المنافسة الأجنبية .

وقد أوضح أن الحكومة الأمريكية ، كانت تبيع الأراضي ، قطعاً كبيرة بداعي (أن بيع القطع الصغيرة كان عقيماً ومعقدا) وان الأراضي الزراعية في عام ١٩٤٥ كانت ملياراً و ٩٠٥ ملايين فدان تملك الحكومة منها ٥٦٠ مليون فدان والباقي يملكه الأهلون (ص ٥٧ — ٦٠) وكان عليه أن يذكر عدد المالكين ، لأن ذكرهم يظهر حماية الحكومة للأفراد ، أكثر من الجماعة .

وقد بين ما للآلات من تأثير كبير في الزراعة ، وان الزراع صاروا يؤسسون الجمعيات التعاونية ، وقد استفادوا منها (ص ٧٦) وهذا صحيح ، لأن التعاونيات الزراعية من أضر ما يكون وخاصة للشؤون الزراعية .

وبين تدخل الحكومة في الشؤون الزراعية ، وذلك بمساعدة الزراع وتسليفهم ، والعناية بمساكنهم (ص ٧٨ و ٧٩) وهذا عمل حسن ، من حكومة أسست على الرأسمالية .

وبين اهتمام الحكومة بأمر طرق المواصلات البرية والجوية والبحرية ، والبنوك ونشاطها ، واهتمام الأمريكي بالادخار ، وقد قال المؤلف عن الادخار :

« ويتعين على كل نظام اقتصادي سواء كان حراً أو شيوعياً أو اشتراكياً ، أن يشجع الادخار والتثمير لتحقيق التقدم الاقتصادي » (ص ١١٤) وهذا حق لأن كل عمل منتج يحتاج الى رأس المال ، ولا يتكون رأس المال إلا بالعمل والادخار ، ثم باستثمار المدخر .

وبين حالة تزايد السكان الذي ارتفع عددهم من ٤ ملايين عام ١٧٩ الى ١٥٠ مليون عام ١٩٥٠ ونسب أسباب تكاثر السكان السريع الى ارتفاع معدل الزيادة الطبيعية ، ثم الى الهجرة .

والحقيقة أن الزيادة نتجت عن الهجرة أولاً ، ثم تناسل المهاجرين هناك ، وكان عليه أن يذكر عدد المهاجرين الى أمريكا الذين بلغ عددهم منذ عام ١٩٢٠ الى عام ١٩٥٠ مقدار ٣٣٫٢٤٦٫٣٣٩ نسمة . (عن كتاب اقتصاديات الولايات المتحدة المطبوع عام ١٩٥٣ ص ٩٧) . وقد كان الرخاء في أمريكا السبب الأول في تلك الهجرة .

وبحث عن تنظيم حياة العمال في أمريكا وعدد أعضاء الاتحاد العام للعمال عام ١٩٤٩ .

وبحث عن سوق الأوراق المالية التي أنشئت في نيويورك عام ١٧٩٢ ، وعن الشركات الصناعية والمالية التي أحدثت في الولايات المتحدة ، وقد بلغ عددها عام (١٩٣٣) ٥٤٠٫٠٨٠ شركة مساهمة .

ويبحث عن قضايا الاحتكار في الولايات المتحدة ، وانه قد صدر قوانين بمقاومة الاحتكار في عام ١٨٩٠ وعام ١٩١٤ وفي عام ١٩٣٥ حيث حلت بعض الشركات ، وحددت الأسعار لبعض الانتاج (ص ١٦٤ — ١٦٦) وهذا يعني أن الدولة الرأسمالية ، قد أصبحت تفكر بمصير المجموع .

وقد بحث عن الدخل القومي ، والضريبة الصناعية ، وبين أن واحداً في المئة من السكان حصلوا على ٣٠٪ من مجموع الدخل القومي في عام ١٩٢٩ ، وان الضريبة التصاعدية قد فرضت أثناء الحرب الأهلية (أي في أعوام ١٨٦١ — ١٨٦٥) لأول مرة ثم أبطلت ، وفي عام ١٩١٣ عدل الدستور (للمرة السادسة عشرة) ففرضت الضريبة التصاعدية من جديد ، ويقول ان أعلى حد لهذه الضريبة هو ٦٣٪ (ص ١٧١) ولكن كتاب احصاءات الولايات المتحدة الصادر عام ١٩٥٢ يقول ان نسبة تلك الضريبة القصوى كانت في عام (١٩٤٤) ٨٨،٩٪ وفي عام (١٩٥١) ٨٦٪ بينما لم تكن في عام ١٩١٣ الا خمسة بالمئة .

ثم بحث عن تقلبات الحركات التجارية ، والأزمة الاقتصادية ١٩٢٩ — ١٩٣٣ ، وسقوط قيمة أسهم الشركات ، وازدياد قضايا الإفلاس ، بمقدار الثلث ، وارتفاع عدد العمال العاطلين عن العمل الى ١٢ مليوناً .

الحق أن تلك الأزمة ، كانت فريدة في نوعها ، في الولايات المتحدة ، وكان سببها قلة التدبير على أن الرئيس روزفلت عالجها بدقة .

ويبحث عن التأمين والضمان الاجتماعي ، ذلك الضمان الذي لم يظهر في الولايات المتحدة إلا عام ١٩٣٥ بينما ظهر أثره في القرن التاسع عشر ، وهذا الضمان قد أمن الحياة لملايين من الناس هناك .

كما أنه بحث عن ضريبة الأيلولة (الميراث) التي فرضت لأول مرة في

الولايات المتحدة عام ١٩١٦ ، وقد فرضت على الهبة أيضاً للحيلولة ، دون تهرب المتقدمين في السن من الضريبة ، عن طريق وهب ثروتهم الى من يريدونه ، وهي تصاعدية ، ولم يبين المؤلف نسبتها ، ومقادير ما يجبى منها ، لذلك أقول أن نسبة ضريبة الميراث التصاعدية التي تستوفيها الحكومة الاتحادية في الولايات المتحدة ترتفع الى ٧٧ ٪ وذلك بحسب قرابة الوارثين من المتوفى ، وفي الوقت نفسه فان ضريبة الولايات هناك من ذلك الميراث أيضاً تبلغ ٣٠ ٪ في الولايات المتحدة الامريكية .

وأما ضريبة الهبات فهي ترتفع الى ٥٧ ٪ ، وذلك كما جاء في كتاب : (المنال الأمريكي لعام ١٩٥٣ ص ٦١٢ — ٧٥١) .

هذا ملخص كتاب المؤلف ، الذي أوضح فيه أن الولايات المتحدة كانت سائرة في طريق الرأسمالية الفردية ، ثم بدأت تعدل أنظمتها ، لتماشي الطبقة المتوسطة والعاملة .

وقد ختم المؤلف كتابه بقوله :

« والانتقاد مستمر لبعض المساوئ كالفساد في مصالح الحكومة ، وانتشار العصابات ، وتفشي المخدرات بين الأحداث ، والأساليب الملتوية ، التي يلجأ اليها رجال الأعمال ، ولكن هذا الانتقاد ليس إلا مظهراً من مظاهر العمل على استئصال الشر » (ص ١٩٣) .

ثم يبحث عن المخاطر التي قد تتعرض لها الولايات المتحدة ، ثم خرج الى القول : « لأن مواردنا الطبيعية آخذه في الاضمحلال ، ولأننا غير واثقين من قدرتنا على الاستعاضة عما لدينا بما نستورده من الخارج » (ص ١٩٨) .

وهو كأمريكي محب لبلاده ، يجلب النظر الى تلك المنات في قومه ، والى تلك المخاطر الاقتصادية المقبلة ، ثم يقول ان بامكان أمريكا استبقاء

تلك الرفاهية إذا تجنبت الحروب الطاحنة ، ولكن لم يذكر كثرة ما تستورده بلاده من الخارج ، عند بحثه عن المستورد عام ١٩٥٠ بينما قد بلغ مقدار ثمانية مليارات و ٥٦ مليون دولار ، مع أنه لم يصدر في تلك السنة إلا ما قيمته عشرة مليارات و ٢٧٢ مليون دولار . (عن احصاء الحكومة الأمريكية الذي قدمته الى جامعة الأمم) .

كما أن الولايات المتحدة مديونة الى شعبها بمبالغ ضخمة ، قد بلغت في عام (١٩٥٠) ٢٥٦ مليار دولار بينما لم تكن في عام ١٩٤٠ سوى ٤٣ مليار دولار ، وذلك ميراث الحرب العامة الثانية ، ومن الصعوبة بمكان تسديد هذه الديون مع فوائدها ، التي تتزايد سنة بعد أخرى .

وصفوة القول . ان هذا الكتاب ، جدير بالقراءة ، لأن مؤلفه من علماء الاقتصاد ، وقد درس اقتصاديات بلاده ، وكتب عنها كرجل محب لقومه ، ومتفائل أكثر من متشائم بمستقبل بلاده .

منير الشريف

آراء وأنباء

قرار في موضوع

«مدى التعريب في ألفاظ تصنيف المواليد»

ألقى رئيس المجمع العلمي العربي في المؤتمر السادس والعشرين لمجمع اللغة العربية بالقاهرة بحثاً نشرناه في هذا العدد من المجلة (١٧٧ — ١٨٥) . وقد أحاله المؤتمر على لجنة الأحياء والزراعة ، فاتخذت فيه القرار التالي :

اجتمعت لجنة علوم الأحياء والزراعة (في الساعة الخامسة من مساء الأربعاء ١٤ من رجب سنة ١٣٧٩ هـ الموافق ١٣ من يناير سنة ١٩٦٠ م) بحضور السادة الأساتذة : الدكتور علي توفيق شوشة والأستاذ الأمير مصطفى الشهابي والدكتور عبد الحليم منتصر (أعضاء المجمع) ، والدكتور عبد العظيم حفني والدكتور حامد عبد الفتاح جوهر والدكتور أحمد محمد مجاهد والدكتور أحمد حماد الحسيني (خبراء اللجنة) . واعتذر عن التخلف الأستاذ ابراهيم مصطفى عضو المجمع .

ونظرت اللجنة في بحث الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي وعنوان البحث «مدى التعريب في ألفاظ تصنيف المواليد» وهو السابق إحالته من المؤتمر الى اللجنة (في جلسته السابعة بتاريخ ٤/١/٥٩) .

وبعد أن تباحث أعضاؤها ملياً في هذا الموضوع ، وفي مدى الترجمة والتعريب والنحت في ألفاظ تصنيف المواليد من نبات وحيوان وجماد ، رأت

أن القواعد المقترحة لا تخالف القواعد العامة التي وضعها المجمع وسار عليها حتى الآن ، وأن في تلك القواعد المقترحة تفصيلات يفيد منها واضعو المصطلحات العلمية في علوم الأحياء .

وبعد المداولة فيها رأت اللجنة أن تقترح على المؤتمر الموافقة على القرارات الآتية :

١ — ترجمة الألفاظ العلمية بمعانيها هو المجال الأوسع في حلقات التصنيف العليا وهي الشُّعَب [١] والطوائف [٢] والرتب [٣] .

٢ — أسماء الفصائل [٤] والقبائل النباتية [٥] تكون عربيـة أو معربة على حسب اسم النبات الذي تنسب اليه .

٣ — أجناس المواليد التي ليس لها أسماء عربية تعرب أسماؤها العلميـة إذا كانت منسوبة الى أعلام ، وتترجم بمعانيها إذا أمكنت ترجمتها في كلمة عربية واحدة سائغة . وإن لم يكن ذلك ممكنًا رُجِع تعريبها .

٤ — لا مجال للتعريب في الألفاظ العلمية الدالة على أنواع النبات لأن جميع هذه الألفاظ أو معظمها نعوت أو صفات أو منسوبات إلى أعلام ، تُترجم ترجمة في جميع اللغات الحية .

٥ — يوجد مجال للترجمة والتعريب جميعًا في الألفاظ الدالة على السلالات [٦] وعلى الأصناف (الضروب) [٧] .

٦ — لا مجال للنحت ولا للتركيب المزجي في تصنيف المواليد ولا حاجة اليها .

٧ — تجمع أسماء الشعب [١] والطوائف [٢] والرتب [٣] جمعًا مؤنثًا سالمًا (بالألف والتاء) ، وتُجمع أسماء الفصائل [٤] والقبائل [٥]

١ — Phylum (Embranchement Fr.)
٢ — Class (Classe Fr.)
٣ — order (ordre Fr.)
٤ — Family (Famille Fr.)
٥ — Tribe (Tribu Fr.)
٦ — Strain (Souche ou race Fr.)
٧ — Variety (Variété Fr.)

بالتاء المربوطة [1] .

صَوْغ « مَفْعَلَة » من أسماء الأعيان الثلاثية الأحرف مما وسطه حرف علة

كان رئيس مجمعنا ذاكر أعضاء لجنة المجلة في موضوع صوغ « مَفْعَلَة » من كلمات تُوْت وخَوْخ وتين وأشباهها مما وسطه حرف علة ، للمكان الذي تكثر فيه تلك الأعيان .

وتساءل الأعضاء هل يُكتفى بقاعدة الإعلال فيقال مَتَاتة ومَخَاخة ومَتانة ، أم يجوز التصحيح فيقال أيضاً مَتْوَتة ومَخْوَخة ومَتْيَنة ؟

ورأى رئيس المجمع أنه من الضروري طرح هذا السؤال على مجمع اللغة العربية في القاهرة لما له من قرارات مفيدة في قياسية بعض القواعد تسهيلاً لعمل واضعي المصطلحات العلمية ومحققيها .

---

(١) وافق مؤتمر مجمع اللغة العربية على قرار اللجنة دونما تعديل ، وذلك في جلسته المعقودة في الرابع عشر من كانون الثاني « يناير » سنة ١٩٦٠

ويلاحظ أن اللجنة أضافت على القواعد التي وضعها رئيس المجمع العلمي العربي (تراجع في ص ١٨٥) قاعدة سابعة تميز في الجمع حلقات التصنيف العليا وهي الشعب والطوائف والقبائل من الحلقتين اللتين تلوانها وهما حلقة الفصائل وحلقة القبائل . فيقال مثلاً في طائفة الحشرات : رتب مستقيات الأجنحة ومضمدات الأجنحة وعصبيات الأجنحة الخ . (بالألف والتاء) . أما الفصائل في تلك الرتب فتجمع بالتاء المربوطة فيقال في فصائل مستقيات الأجنحة مثلاً : الجرادية والجندبية والسرعوفية وهكذا .

وقد أحال مجمع اللغة العربية هذا الاستفسار على لجنة الأصول فاتخذت فيه القرار الآتي :

« القاعدة في صوغ مَفعَلة مما وسطه حرف علة هي الإعلال ، فيقال في مثل توت وخوخ وتين مَتَاتة ومَخَاخة ومَتَانة ؛ ولكن وردت في اللغة ألفاظ كثيرة بالتصحيح لا الإعلال ، مثل مَثْوَبة ومَشْوَرة ومَصْيَدة ومَقْوَدة ومَبْوَلة . ويرى النحاة أن الاحتفاظ بالأصل يُلجأ اليه أحياناً . ولا شك أن بقاء الكلمة من غير إعلال أبين في الدلالة على المعنى . والإعلال في هذا الباب غير مستحكم . وقد نُقل عن أبي زيد النحوي إجازة التصحيح في أفعَلَ واستفعَلَ ، كأغْيَمَ وأغْيَلَ واستحوَزَ واستقوَمَ واستجوَبَ واستصوَبَ . واذا أجيز التصحيح في الأفعال فالإجازة في الأسماء مقبولة ، لأن الأسماء في هذا الباب محمولة على الأفعال في الإعلال » .

وفي جلسة السابع عشر من كانون الأول « ديسمبر » سنة ١٩٥٩ وافق مؤتمر مجمع اللغة العربية على قرار لجنة الأصول هذا . ومنه يتضح جواز التصحيح (علاوةً على الإعلال) في صوغ « مَفْعَلة » من أسماء الأعيان الثلاثية الأحرف التي ليس لها أفعال كتوت وخوخ وتين وأشباهها .

ديوان ابن عُنين

تعليق على استدراك

- ٢ -

تابع الأستاذ الجبي استدراكاته في مقاله المدرج في الجزء الأول من المجلد الخامس والثلاثين من مجلة « المجمع العلمي » مبتدئاً بقصيدة لابن عنين ، مدح بها الملك المعظم وقد قتل أسداً بالنور . جاء فيها :

ماذا حلوا عنك عند قتلك الليث وليس العيان كالخبر

وعلّق في الحاشية على كلمة « حلوا » . . كذا

نقول : قد يكون الأصل : (حكوا) بالكاف من حكى « يحكي » كما يقتضيه ظاهر اللفظ والمعنى .

وبعد هذا البيت :

من وثبات ومن سُطى وثبات قلَّ مايجتمعن في بشر

وعلق في الحاشية على كلمة « سطى » بقوله : « سطى أخلت به المعاجم ولعله الواوي لو ثبت » . ولم أتبين المراد من هذه العبارة . و (سطا) أثبتتها المعاجم فهذا لسان العرب ، شغلت فيه (سطا) صفحة كاملة . قال : « السطو القهر بالبطش . والسطوة المرة الواحدة . وجمعها (سطوات) وقد يكون ابن عنين جمعها على (سطى) من قبيل التجوز .

وبعد هذه القصيدة ، أبيات في رجل من أصدقائه أهدى اليه صابوناً وماء ورد ، بعد نبوة كانت بينهما :

فتى أهدى اليَّ اليوم صابوناً وماء وردِ
ليغسل عرضه عما بدا منه وما يجدي
ولو بالبحر أو بالقطر أو بالغيث ان اهدي

ولا نرى محلاً هنا لقوله «ان اهدي» ولعلها «ما يهدي» فيكون المعنى :
«ان هذا الرجل لا يغسل مرضه ماء البحر ولا القطر ولا الغيث فلا يجدي ما يهدي . أي لا يجديه ما يهديه ، وبهذا يستقيم المعنى .

وفي الصفحة الـ ٤٧ — ٤٨ : انه ابل من مرض ، واحتاج الى فتائل عنبر . . فكتب الى الشيخ تاج الدين . . يطلب منه شيئاً من ذلك :

يا أيها المولى الذي عرفه يضوع كالمسك مع التاليه
مبدّل وقد البه الله (كذا) من لطائف البره حلى حاليه

ورأى الأستاذ أن البيت مكسور ، فوضع بعد كلمة «الله» (كذا) على ما أثبتناه هنا . وكان عليه أن يضع هذه الاشارة بعد (وقد) التي كانت سبب (العلة) فلو حذفت لاستقام البيت :

مبدّل أليه الله من لطائف البره حلى حاليه

والمبدّل : المغير من حال الى حال .

وفي صفحة الـ ٥٤ :

لي حبيب الخد ماشين بالمذار منه ذلك الطرس (كذا)

وضع (كذا) على جاري عادته في البيت الذي لا يراه صحيحاً وزنه .

وقد يكون هذا البيت :

ولي حبيب الخد ماشين بالـــمذار منه ذلك الطرس

وفي الصفحة الـ ٥٥ لغز في شبل :

قطعوا رأسه بنصف الثريا ولعانيه رافض الشين (كذا)

ويستقيم الوزن لو قيل «بالشين» غير أنه لم يتضح لي معنى له .

وفي الصفحة الـ ٥٦ وكأنه يصف عذار فتى :

وروضة من أديم الخد منبتها أزرى(؟)بكل حرير حيك بالذهب

وضع بعد كلمة (أزرى) علامة استفهام . والبيت صحيح الوزن ويصح معناه على روايته هذه . وجائز أن يقال « أزرت » فيعود الضمير على الروضة .

وفي الصفحة الـ ٥٨ :

كالجاثليق على عُصيّته يعدو ودار خلفه القس

وعلّق في الحاشية على هذا البيت :

« وأصلنا : (أي في نسخته) داير خلفنا كذا . قال : والنسختان فيهما سقم » .

والذي نراه أن الصواب : يعدو ودار وراءه القس .

وأصوب منه : يعدو ويعدو خلفه القس .

هذا ما تنبهنا له ، فوقفنا عنده نلفت نظر الأستاذ له .

وفي الصفحه الـ ٥٩ سطرها الثاني بيت أعيد بنصه مرة ثانية في الصفحة الـ ٦٠ ، كنا نريد أن تتنزه مجلة « المجمع » عن نشره . وهي هفوة تؤخذ على الأستاذ ، وعلى لجنة المجلة .

ومن المفيد في خدمة هذا الديوان ، أن ينشر البيتان : بيت المطبوعة ، وبيت المخطوطة ، لتجوز المقارنة بينهما لا أن يكتفي بالكلمة أو الكلمتين ، لأن المفاضلة في مثل هذه الحالة متعذرة إلا بالرجوع الى الديوان وهي مراجعة تطول .

ففي أبيات النسخة المطبوعة أبيات تفضل المخطوطة ، وفي هذه ما يفضل تلك .

من أمثال ذلك ما جاء في الصفحة الـ ١٥٣ لغزاً في الميزان . ففي المطبوعة :

لنا حاكمٌ أعمى سديدٌ قضاؤه ولو كان ذا عين لما سدَّد الحكما

وفي المخطوطة :

لنا حاكم أعمى سديد قضاؤه ولو كان ذا عينين ما سدّد الحكما

ورواية المطبوعة في هذا البيت خير من المخطوطة سبكاً ومعنى . فالميزان ذو العينين يصح حكمه ولا يصح حكمه اذا كان ذا عين واحدة . . . . . .

وبعد هذا البيت بيت آخر في اللغز نفسه . وروايته المخطوطة أفضل من المطبوعة .
والبيت على ما جاء في طبعة الديوان :

إذا خزّ منه الرأس ثم نكسته غدا ناربا فاعجب وصفتُ لك الاسما

وأشار الأستاذ المردمي رحمه الله في الحاشية الى رواية ثانية لهذا البيت وهي :

إذا جز منه الرأس ثم نكسته غدا ناربا فاعجب وصفتُ لك الاسما

والروايتان دون رواية المخطوطة وهي :

إذا حُزّ منه الرأس ثم نكسته غدا نازيا فاعجب وصفتُ لك الاسما

فالميزان اذا حُزّ رأسه أي حذفت الميم منه وعكس غدا « نازيا » .

فالمضي في هذه المقارنات والموازنات تقتضي نشر البيتين كليهما ـ على ما قلناه ـ
والرأي بعد للأستاذ الجندي وفقه الله . **عارف النكدي**



تصحيحات

في المقالين المدرجين في الجزء الأول المجلد الـ ٣٥

الصفحة الـ ١٣	قاعدة معروفة	صوابها : قواعد معروفة
« الـ ١٤	لا يستقيم لها انتساق	« اتساق
« الـ ١٦	حدد ذكر مصادرها	« فقد ذكر
« الـ ١٦	وجاه له	« جاه له
« الـ ١٧	ان يُمرّ به	« ان تمُرّ



ملاحظة

في الصفحة الـ ١٢٨ في مقال الأستاذ عبد الله كنون صدر بيت من الشعر :

« فدت فؤادي من الشباك إذ نظرت »

وعلقت لجنة المجلة على كلمة (فؤادي) حاشية قالت فيها :

« كذا . ولعل (قلبي) بدل (فؤادي) ليستقيم الوزن » .

وحاشية اللجنة من قبيل السهو . فالشعر مستقيم وزنه مع كلمة (فؤادي) ولا يستقيم مع كلمة (قلبي) .

عارف النكدي



استدراك

قرأت في المجلة (الصفحة ١٧٤ جزء كانون الثاني ١٩٦٠) احتجاج الأستاذ الجباوي لدعواه أن الفصاحة لا تزال في بعض قبائل العرب بمقالتي (الأعرابي والشعر) المنشورة في الرسالة سنة ١٩٣٩ والتي هي في كتابي (صور وخواطر) مع أنها قصة أدبية كل ما فيها من عندي ، فلا لقبيلة (السوالم) ولا للأعرابي ولا لشيء مما كان وجود .

علي الطنطاوي



خطأ مطبعي

جاء في الجزء الأول من المجلد الخامس والثلاثين في الصفحة ٨ والسطر ١٢ : ان الابدال اللغوي والصواب حذف (اللغوي) .



حول ديوان ابن عنين

قرأت في الجزء الرابع من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة ، القسم الأول من مقال مفيد للأستاذ العلامة عبد العزيز الميمني في وصف نسخة تاسعة من ديوان ابن عنين الذي نشره الأستاذ الرئيس الراحل خليل مردم بك رحمه الله سنة ١٣٦٥ عن ثمان نسخ خطية توجد في مكتبات مختلفة من بلاد العرب وأوربا .

ولما كانت المخطوطة الهندية التي وصفها الأستاذ الميمني تحتوي على ٣٤ زيادة ، ما بين مقاطيع وقصائد فاتت النسخ المطبوع عليها ، وبعض أخبار وروايات لا يخلو استدراكها من فائدة ، فقد ضمن الأستاذ مقاله هذه الزيادات والاستدراكات خدمة للديوان المذكور ، وإفادة لعموم القراء .

وأثناء قراءتي للمقال ، لاحظت بعض الهفوات في بعض الأبيات مما لم يعن الميمني بتصحيحه أو لم يتوفر عليه بهمته المعروفة في التحقيق ، فأحببت أن أنبه عليها ، واخترت أن يكون ذلك بعد نشر أقسام المقال كلها . وإذا بالجزء التالي من المجلة يحمل تعليقاً في الموضوع بقلم الأستاذ عارف النكدي عضو المجمع العلمي . فلما قرأته ، وجدته قد أشار الى ما وقع في نفسي من تلك الهفوات وصححها على الوجه الصواب فيها ، إلا بعضاً منها غفل عنه أو لم يوافق نظري في تصحيحه نظره ، فها أنا أبادر بما عنّ لي في ذلك مشاركاً الزميلين الكريمين في خدمة هذا الديوان الذي يعد من أنفس الآثار الأدبية في لغة الضاد .

في قصيدة ابن عنين الأولى التي استدركها العلامة الميمني (ص ٥٨٩) من جزء المجلة المذكور وقع هذا البيت :

فما الخِضَمّ الطامي غواربُه ولولا الغيوث المواطل الذُطُف .

وهو هكذا لا يتزن ، وقد صوبه الأستاذ النكدي بحذف الواو من (ولولا) ولكن هذا التصويب يقيم اللفظ ولا يقيم المعنى ، فالظاهر أن صوابه هكذا :

فما الخضم الطامي غواربه ولا الغيوث الهواطل النطف

أي بحذف لو . والمعنى أنه بعد أن دعا طالبي العارفات الى الاعتراف من ندى الممدوح في البيت قبله استشعر عظمة ذلك الندى فجعل البحر والمطر مما يصغر عنده فقال منكراً : (فما الخضم ؟) .

وفي القصيدة الثانية من المستدرك (ص ٥٩٠) جاء المطلع في المخطوطة الهندية هكذا :

حلومك أرسى من شمام وأرسخ ومجدك أعلى من (جبا) ل وأشمخ

وهذا يعني أن الحروف الواقعة بين المعقفين من زيادة المُستدرك ، وقد نبه في الحاشية على أن محلّها من المخطوطة مأروض . وعلق الأستاذ النكدي على هذا المطلع بقوله : «على ما في هذا البيت من ضعف تزيده هذه (الحلوم) جمعاً لحلم التي تصدرت في رأس هذا المطلع ، مع هذا : لا نظن أن ابن عنين يقول مجدك أعلى من جبال ، بفضل مجد صلاح الدين على (جبال) وهي نكرة لا يصح معها تفضيل» ثم رجح أن يكون أصل الكلمة جبلاً معروفاً مثل تعار أو قنار .

وملاحظة الأستاذ على هذا البيت في محلها ، فأما كلمة حلوم فيجوز أن بعض الناسخين أبدلها من كلمة حلم لما رأى البيت لا يتزن بحلم مفرداً ، ويكون الشاعر قال : (حلمك أرسى من شمام) بثَلْم التفعيلة الأولى على مذهب القدماء . والعروضيون وان اختلفوا في جواز الثلم فالمحدثين فان هؤلاء لم يبالوا بخلافهم وارتكبوه كلما دعتهم لذلك ضرورة . وأما كلمة جبال فاني أوافق الأستاذ على عدم مناسبتها المقام ، ولكني لا أوافقه على أن يكون اسم الجبل المقصود تعاراً

أو فتاراً أو غيرهما ، مما (لام) الكلمة فيه غير لام ، كيف وهذا هو السبب الذي جعل الأستاذ الجتي يقدر أنها (جبا) ل ؟ . .

والذي يظهر لي أن اسم هذا الجبل هو إلال المذكور في شعر النابغة :

يَزُرْنَ إلالاً سيرُهنّ تدافُع

ولا أذكر اسم جبل بهذا الوزن آخره لام إلا هذا . . وإليكم ما ورد عنه في معجم البلدان :

(ألال) بفتح الهمزة واللام وألف ولام أخرى بوزن حمام ، اسم جبل بعرفات . قال ابن دريد : جبل رمل بعرفات عليه يقوم الامام . وقيل ألال جبل عرفة نفسه . قال النابغة :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ... وهل يأثمن ذو أمة وهو طائع

بمصطحبات من لصاف وثبرة ... يزرن الالاً سيرهن التدافع

وقد روي الال بوزن بلال . قال الزبير بن بكار : «الال هو البيت الحرام والأول أصح» وأورد بعد ذلك اشتقاقه وشعراً للشريف الرضي يقول فيه :

فأقسم بالوقوف على الال ... ومن شهد الجمار ومن رماها

وهو يشهد لكونه الجبل .

وفي رحلة العلامة ابن رُشَيْد الفهري السبتي المسمّاة ملء العَيْبَة ، فيما جمع بطول الغَيْبَة ، في الوجهتين الكريمتين الى مكة وطَيْبَة ، الموجود مخطوطها الوحيد بمكتبة «الاسكوريال» في اسبانيا ، وصف دقيق لهذا الجبل ، وضبط وثيق لاسمه ، أنقل هنا بعضه . قال رحمه الله : «وهي أعني هذه الصخرات عند الجبل الذي يعتني الناس بصعوده ويسمونه جبل الرحمة وجبل الدعاء ، واسمه في لسان العرب إلال على وزن فعال بكسر الهمزة ، وذكره صاحب الصحاح في اللغة بفتح الهمزة ، وهو خلاف المحفوظ . وبالعكس ضبطه أوعلي

في البارع وقال : هو جبل بعرفات . وكذلك حكاه بالعكس صاحب المجمل والمحكم وأبو عبيد وغيره من أئمة هذا الشأن . قال أبو عبيد : إلال بكسر أوله على وزن فعال كأنه جمع ألة جبل صغير من رمل عن يمين الامام بعرفة قال النابغة :

يصطحبات من لصاف وثبرة يزرن الالاً سيرهن تدافع

وقال طفيل :

فزرن الالاً لا ينتحين غيره بكل ملب أشعث الرأس محرم

وفي البارع الأل جبل رمل بعرفات . هكذا ذكره بلفظ المفرد على وزن فعل . قال وكتب هشام بن عبد الملك الى بعض ولده : «أما بعد فاذا ورد كتابي فامض الى الال فقم بأمر الناس» فلم يدروا أي ولاية هي حتى جاء أبوبكر الهذلي فقال له : هي ولاية الموسم وأنشده بيت النابغة المذكور :

يزرن إلالاً سيرهن تدافع

وهذا الذي قاله أبو عبيد ونقله كله صحيح ، إلا قوله انه جبل رمل فليس كذلك ، وانما هو جبل مرتفع من حجر صلد ، وقد نبتت منه أجبل بعضها أكبر من بعض يسمى بعضها النبعة ، وبعضها النبيعة بالتصغير جرياً على خيالات العرب في تسمياتها كأنها نبعتا منه» هذا الذي تعلق به الغرض من كلامه ، ولتنظر بقيته في الحلقة ١٨ من سلسلة «ذكريات مشاهير رجال المغرب» التي خصصناها بترجمة ابن رشيد .

ومما يناسب ذكره هنا أن صاحب متن الكافي في علمي العروض والقوافي عند تعرضه لحركات القافية وذكره للاشباع قال : «وهو حركة الدخيل ككسرة لام سائل وضمة فاء التدافع وفتحة واو تطاولي» فكتب محشيه العلامة الدمنهوري على قوله وضمة فاء التدافع ما يلي : «أي من قول النابغة

(يزرن ألالاّ سيرهن التدافع . .) وألا أداةُ استفتاح وتنبيه ، ومقصوده الإخبار والتنبيه بأن هؤلاء النسوة حين يروزهن من الخدر ليس عندهن في السير تدافع ، كذا قال بعضهم ، لكن الذي في شرح العيني والألال بفتح الهمزة جبل بعرفات ، والالال مصدر أيضاً يقال أل الفرس ألاً كمد مداً بمعنى أسرع . فتأمل » .

وإنما نقلت كلام الدمنهوري هنا لأني رأيت بعض من ألف في العروض حديثاً نقل خطأه وأغفل صوابه ، وإنما التوفيق من الله .

ونرجع الى قصيدة ابن عنين فنقرأ فيها هذا البيت :

يلام على بذل المواهب والندى ... ويُلحى على إحسانه ويُرِيخ

ولعل يريخ هذه تحريف مطبعي عن يوبخ بالواو .

وبعده : « فيعرض إعراض الكريم بسمته . . » وعليه تعليق يقول ان الأصل بسمه . وفي ظني أن اصلاحه (بسمعه) يكون أوفق .

وفي صفحتي (٥٩٤ و ٥٩٥) أورد الأستاذ حكاية ابن عنين التي اتهم فيها بعض أشراف مكة بسرقة قماشه والشعر الذي قاله في ذلك ، وأعرف رواية أخرى لهذه الحكاية ذكرها الشريف محمد بن الصادق بن رَيْسُون في كتابه « فتح العليم الخبير في تهذيب النسب العلي بأمر الأمير » (مخطوط خاص) وأنا أنقلها عنه تتميماً للفائدة ، قال : « وفي جواهر العقدين في فضل الشرفين ، شرف العلم الجلي والنسب العلي للإمام جمال الدين عبد الله الحسني السمهودي رضي الله عنه ورحمه ما نصه : ومن العجب أن أبا المحاسن نصر الله بن عنين الشاعر توجه الى مكة المشرفة ومعه مال وقماش فخرج عليه بعض الأشراف من بني داود المقيمين بوادي الصفراء فأخذوا ما كان معه ، وجرحوه فكتب قصيدة الى الملك العزيز طغتكين بن أيوب صاحب اليمن ، وقد كان أخوه الملك الناصر أرسل اليه يطلبه ليقيم بالساحل المفتتح من أيدي الافرنج فزهده ابن عنين في الساحل ورغبه في اليمن وحرضه على الأشراف المذكورين وأول القصيدة :

أغنت[١] صفات نداك المصقع اللسنا وحزت في الجود حدّ الحسن والحسنا
وما تريد بجسم لا حياة له من خلص الزبد ما أبقى لك اللبنا
ولا تقل ساحل الافرنج أفتحه فما يساوي اذا قايسته عدنا
وإن أردت جهاداً فادن[٢] سيفك من قوم أضاعوا فروض الله والسننا
طهر بسيفك بيت الله من دنس وما أحاط به من خسة وخنا
ولا تقل انهم أولاد فاطمة لو أدركوا آل حرب حاربوا الحسنا

فلما نظم هذه القصيدة رأى في النوم مولاتنا وسيدتنا فاطمة رضي الله عنها وهي تطوف بالبيت وسلم عليها فلم تجبه ، وتضرع اليها وتذلل ، وسألها عن ذنبه الذي أوجب ذلك فأنشدته رضي الله عنها :

حاشا بني فاطمة كلهم من خسة تعرض أو من خنا
وإنما الأيام في غدرها وفعلها السوء أساءت بنا
فتب الى الله فمن يقترف إثماً بنا لا يأمنن ماجنى
أأن أسا من ولدي واحد يجعل كل الذنب عمداً لنا
فكل ما نالك منهم ، غدا تلقى به في الحشر منا مُنى

قال أبو المحاسن بن عنين فانتبهت من منامي مرعوباً جزعاً وقد أكمل الله عافيتي من الجرح والمرض فكتبت الأبيات وحفظتها ، وتبت الى الله تعالى وقطعت تلك القصيدة وقلت :

عذراً الى بنت نبي الهدى تصفح عن ذنب محب جنى
وتوبة تقبلها من أخي مقالة توقعه في العنا
والله لو قطعني واحد منهم بسيف البغي أو بالقنا
لم أر مايفعله سيئاً بل انه في الفعل قد أحسنا

(١) في الديوان : أعيت وهي أشعر .
(٢) كذا تقرأ بحذف الهمزة وفي الديوان رَوِّ .

ففي هذه الرواية زيادة بيت في القصيدة الأصلية على ما في الديوان وهو قوله : (ولا تقل ساحل الافرنج البيت) وسقوط بيت من القطعة المنسوبة للسيدة فاطمة وهو : (واكرم لأجل المصطفى الخ) واختلاف في ألفاظ بعض الأبيات كالبيت الأخير من القطعة التي اعتذر بها ابن عنين . وهو على هذه الرواية واضح المعنى صحيح التركيب لا يَرِدُ عليه شيء .

وفي (ص ٥٩٨) بيت مستدرك هو :

فالملك عين خاطبته كأنْ بها   رَمَداً فكأن لما عراها أثمدا

ويرى الأستاذ الكركي أنه غير متزن ، ويُقيمه على هذا النحو :

فالملك عين خاطبته كأنها   رمدا فكأن لما عراها أثمدا

أي رمداء مؤنث أرمد بالقصر للضرورة . ولو قرأ الأستاذ (كأنْ) بالتخفيف لما اختل وزن البيت ، ولا احتاج الى هذا الإصلاح . وكأن مخففةً تعمل عملها مشددة وشاهده عندهم قول الشاعر :

ويومٍ تُوافينا بوجه مُقسَّمٍ   كأنْ ظبيةً تعطو الى وارق السَّلَم

عبد الله كنون

تذييل

ذُكرتْ في آخر الجزء المشار اليه من المجلة أسماء كتب أهديت الى المجمع من بينها : شرح الحكم لمحمد بن عباد النفري بالراء وهو بالزاي ، وشرح أرجوزة محمد العربي بن يوسف الفاسي في الزكاة وهي الذكاة بالذال المعجمة أي الذبح ، والفتح المبين في شرح الأربعين بدون ذكر اسم المؤلف وهو ابن حجر الهيتمي وشرحه هذا مطبوع بمصر ، والدر الحسان ، وهي الدرر الحسان ، وحواش على عمدة أهل التوفيق شرح عقيدة أهل التوحيد لحسن بن مسعود البوسي وهي حواش على عمدة أهل التوفيق والتسديد لليوسي بالياء المثناة ، وعنوان النفاسة في شرح ديوان الحماسة لابن نالكور ، وهو ابن زاكور الأديب المغربي المعروف .. فوجب التنبيه على هذه الأخطاء .

كما أنه في المقال الذي نُشر لي بالجزء الأول من السنة الحالية للمجلة معنوناً بالبنبس وألفاظ أخرى وقع خطأ في أرقام التاريخ الذي نشرتُ فيه كتاب المنتخب من شعر ابن زاكور وهو سنة ١٩٤٢ فجعله الطابع سنة ١٩٣٢ ولو أن حضرته رآني رؤية عين لحكم بأني أشبُّ من السن التي جعلني فيها!

وتصحف اسم الفشتالي بالفاء الى القشتالي بالقاف ، وكثيراً ما يقع ذلك في الكتب التي تطبع في المشرق ويكون فيها اسم واحد من الفشتاليين فيظنونه منسوباً الى قشتالة الاسبانية وليس كذلك وانما نسبته الى فشتالة بالفاء قبيلة مغربية معروفة . وفيما أعلم ليس عندنا اسم شخص عربي منسوب الى قشتالة فليُعلم .

وعلقت لجنة المجلة على البيت الوارد في مقالي هذا :

قدَّتْ (١) فؤادي من الشباك إذ نظرت الخ بهذه العبارة : « كذا ولعل قلبي بدل فؤادي ليستقيم الوزن » وبقطع النظر عن كون البيت كما هو ، متزناً لا غبار عليه ، فاني حاولتُ أن أزنه على إصلاح اللجنة فلم يتزن لي .

وكذلك علقت اللجنة على اقتراحي لكلمة الزليج واحلالها في المعجم العربي محل الفسيفساء والقاشاني أو إردافها لها فقالت : « الفسيفساء غير القاشاني . وكلمة زليج تنطبق على القاشاني المشرقي وحده وهي خليقة بدخول معاجمنا العربية . »

واني بعد شكر اللجنة المحترمة على تأييدها لاقتراحي أستدرك أننا في المغرب لا نعرف اللفظين المذكورين كما قلت في مقالي ، واننا نطلق الزليج على كل منهما ، وقد جريت على هذا الاطلاق فلم أفرق في اقتراحي بين اللفظين . ومن رأى الزليج المغربي قطعاً صغيرة جداً ورأى تأليفها بحيث تُكوِّنُ رسوماً جميلة متناسبة في اللون والتنزيل لم يبعد به عن الفسيفساء ، كما أن من يرى ألواح الزليج الكبيرة الحجم المتنوعة الصور لم يبعد بها عن القاشاني فيما نفهم منه ، ولا نكره أن يتفضل أحد أعضاء المجمع الفنيين فيشرح لنا الفرق بين الفسيفساء والقاشاني المشرقيين لنزداد علماً وفائدة .

عبد الله كنون

---

(١) يعني قطعت ومزقت .

الأوزان العربيـة
في المصطلحات العلميـة

منذ ما أولعت - عن رغبة ملحّة في نفسي - بمطالعة كتب اللغة العربيـة كان القاموس المحيط للفيروزابادي هو الوحيد على منضدتي خلال الدراسة التجهيزية وما بعدها . فكنت أقلّب صفحاته وأطالع سطورها بإمعان وشوق ، لأطلع من أعماق هذا المحيط بالدرر الغوالي أفيد منها للمصطلحات العلمية . وكنت أقع على مئات من الكلمات على أوزان جعلتني أجزم بأنها خصّت بالدلالة على بعض العلل (وزن فَعَل) ، أو بعض الأمراض أو الآفات (وزن مفعول) ، أو بعض الحركات والاضطرابات (وزن فَعَلان) ، أو بعض البقايا والنفايات (وزن فُعالة) ، أو ما يدل على الذي يفعل (وزن مَفْعَلة) ، أو ما يفيد القابلية للفعل (وزن فَعُول) ؛ وأجد كلمات وسمت بحرف الميم زيادة ، للمبالغة في حالة مقصودة بعينها (وزن فُعْلُم - أو فِعْلِم - أو فَعْلَم) أقول كنت أجد كل ذلك فأدوّنه في صحيفة خاصة جعلتها لهذا الغرض ، وما لبثت كذلك حتى اجتمع لديّ الكثير من الكلمات وحصلت عندي قناعة بفائدة اتخاذها مقياساً أقيس عليه لوضع كثير من المصطلحات العربية لما جهله العرب القدماء من هذه العلل والأمراض والآفات التي تشعبت كثيراً بالاكتشافات الحديثة ، أو من البقايا والشوائب التي لم تخطر لهم في بال . ولم أتردد - بعد قناعتي هـذه - في مباشرة العمل ، فوضعت من المصطلحات ما بلغ حتى الآن بضع مئات . وها أنا ذا أذكر بعضها على صفحات مجلة مجمعنا مع شرحها الوافي . ففي نشرها فائدتان : فائدة الاقتباس للمشتغلين بالتأليف والترجمة ، وفائدة قبول القياس في وضع مصطلحات جدد لكلمات افرنجية هي كل يوم في ازدياد .

وزن فعَلَ :

استعمل العرب القدماء هذا الوزن للدلالة على العلل أو بعض الحالات غير الطبيعية التي كانوا يعرفونها ، أو ما ردُّوه مما كان يقع تحت سمعهم وبصرهم ، وها كم عدداً كبيراً من أسماء هذا الوزن عثرت عليها في المعجمات :

جَرَب : علة معروفة — حَدَب : خروج الظهر ودخول الصدر — حَقَب : عسرة البول — خَزَب : ورم وتهيج في الجلد — خَنَب : خنان في الأنف — ذرب : فساد المعدة ، فساد الجرح أو سيلان صديده — شحب : تغير اللون من هزال — عكب : غلظة في الشفة أو تداني أصابع الرجل — طب : داء يأخذ في العلباءين أي عصبي عنق الحيوان — غرب : داء يصيب الشاة — كلب : جنون الكلاب وشبه جنونها المعتري الإنسان من عضها وهو مشهور — وصب : المرض — جوث : عظم البطن في أعلاه واسترخاه أسفله — لهث : العطش — شنج : تقبض في الجلد — عرج : اصابة في الرجل وهو معروف — صلج : الصمم — فجج : تداني صدور القدمين وتباعد العقبين — فحج : اسوأ الفجج — فلج : تباعد ما بين القدمين — لحج : اسوأ الفمص — نسج ، ثقل في القلب من أكل لحم الضان — نهج : البهر وتتابع النفس — هبج : ورم ضرع الناقة — جلح : انحسار الشعر عن جانبي الرأس — رسح : قلة لحم العجز والفخذين — رصح : قرب ما بين الوركين — روح : سعة بين الرجلين دون الفحج — صقح : الصلع — فلح : شق في الشفة السفلى — قلح : صفرة الأسنان — كشح : داء في الكشح يكوى منه أو ذات الجنب — لجح : غمص في العين أو غمص — وضح : البرص — بزخ : خروج الصدر ودخول الظهر (كالقعس) — فنخ : استرخاء المفاصل ولينها — فخخ : استرخاء الرجلين — بدد : تباعد ما بين الفخذين — ثرد : تشقق في الشفتين — درد : ذهاب الأسنان وهو مشهور — رمد : هيجان العين

وهو مشهور — فند : الخرف — كمد : مرض القلب من الحزن — جرذ : كل ورم في عرقوب الدابة — بثر : خراج صغير — بخر : النتن في الفم وهو مشهور — ثعر : كثرة الثآليل — جشر : خشونة في الصدر وغلظ في الصوت — جير : القصر والقماءة — حصر[1] : ضيق الصدر — حفر : صلاق في أصول الأسنان — ختر : الخدر[2] يحصل عند شرب دواء أو سم — خدر[3] : امذلال يغشى الأعضاء — خزر : حول إحدى العينين - زور : عوج الزور أي الصدر — شتر : انقلاب الجفن من أعلى وأسفل أو انشقاقه واسترخاء أسفله ، وانشقاق الشفة السفلى — صعر : ميل في الوجه أو في أحد الشقين ، أو داء في البعير يلوي عنقه منه — صفر : داء في البطن يُصفّر الوجه — ظهر : الشكاية من الظهر — عرر : الجرب وصغر السنام أو ذهابه — عور : ذهاب حس احدى العينين — غبر : فساد الجرح وداء بباطن خف البعير — قتر : الضعف — قدر : قصر العنق — قور : العوز — مدر : ضخم البطنة — نجر : عطش الإبل والغنم — وقر : ثقل في الأذن أو ذهاب السمع كله —

---

(١) angoisse, anxiété .

(٢) الخدر ، وذكر الأستاذ الكاتب لها كلمة Anesthesie في الفرنسية . ولاروس يعرّفها بقوله « فقدان احساس تام أو ناقص » فلعلّ كلمة (الإرقاد) التي استعملها العرب أدق . و (المرقد) كما في التاج : دواء يرقد شاربه وينوّمه . ونستعمل كلمة الخدر لضعف الاحساس الذي يعرو الرّجل مع وجود الاحساس فيمن خدرت رجله ، والفرنجة وضعوا للخدر كلمة Angourdir ، ثم رأى الأستاذ وضع كلمة ختّر بدل خدر ولا بأس بتخصيص الأول بلفظة Anesthesie والثانية باللفظة الفرنسية الثانية على أنها من باب الابدال كما سيجيء . (لجنة المجلة)

(٣) أيضاً عرف الخدر بتعريف القاموس : إمذلال يغشى الأعضاء ، وهو من تفسير الجليّ بالخفيّ ، وهو في القاموس كثير ، ولو انه فسر الامذلال بالخدر لكان أجلى وأولى ؛ وقيل لفظة خدر صرت لفظة (ختر) وفسرها بأنها الخدر ، فهما لفظة واحدة من باب الإبدال بين التاء والدال لتقارب مخرجيهما .
(لجنة المجلة)

رجز : داء يصيب الإبل في اعجازها — ضرز : تقلص الفكين بحيث لا يستطاع أن يفرّج بين الحنكين — علز : قلق وهلع يصيب المريض — خرس : انعقاد اللسان عن الكلام — خنس : تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة — شوس : النظر بمؤخر العين — طفس : قذر الإنسان إذ لم يتعهد نفسه — فطس : تطامن قصبة الأنف وانتشارها أو انفراش الأنف في الوجه — قعس : خروج الصدر ودخول الظهر — قوس : الانحناء في الظهر — نجس : ضد الطهر — هوس : طرف من الجنون — برش : نكت صغار في شعر الفرس تخالف لونه — خفش : ضعف البصر خلقة أو أن يبصر في الليل دون النهار وفي يوم غيم دون صحو — ربش : بياض يبدو في أظفار الأحداث — طرش : أهون الصمم — عمش : ضعف البصر خلقة مع سيلان الدمع في أكثر الأوقات — غطش : العمش — غفش : غمص في العين — غمش : سوء بصر عارض — مدش : ظلمة العين من جوع أو حر — مشش : شيء يشخص في وظيف الدابة حتى يشتد دون اشتداد العظم — نمش : نقط بيض وسود أو بقع تقع في الجلد تخالف لونه — وبش : الرقط من الجرب يتفشى في جلد البعير — برص : بياض يظهر في ظاهر البدن لفساد مزاج — حصص : قلة شعر الرأس — خوص : غؤور العين — رمص : وسخ أبيض يجتمع في الموق — شوص [1] : مثل الشوس في العين ، وهو أيضاً الوجع — غمص : ما سال من الرمص — غنص : ضيق الصدر — قفص : حرارة في الحلق وحموضة في المعدة — لحص : تغضن كثير في أعلى الجفن — خمص : غلظ الأجفان أو ورم في الجفن الأعلى — معص : التواء في عصب الرجل كأنه يقصر عصبه فيتعوّج ، أو وجع في العصب من كثرة المشي — مغص : وجع في البطن —

(١) وردت لفظة (شوص) وفسرت بالشوس وهما لفظة واحدة من الابدال بين السين والصاد كالسراط والصراط . (لجنة المجلة)

وقص : قصر العنق — حرص : الحصف في البدن — حيض : اضطراب العرق أشد من النبض — حرض : الفساد في البدن والعقل — مرض : اظلام الطبيعة واضطرابها بعد صفائها واعتدالها — مضض : وجع المصيبة — هرض : الحصف على البدن من الحر — حبط : آثار الجرح أو السياط بالبدن بعد البرء ، ووجع بطن البعير ينتفخ منه — سقط : ما لا خير فيه — شمط : بياض الرأس يخالطه سواد — قسط : يبس في العنق ، واعوجاج في العظام — قطط : قصر الشعر وجعده — لبط : الزكام — بثع : ظهور الدم في الشفتين خاصة — بشع : كراهة ريح الفم من عدم الاستياك — بقع : في الطير والكلاب كالبلق في الدواب — تلع : طول العنق — جدع : انقطاع الأنف — خرع : لين المفاصل والرخاوة — خفع : استرخاء المفاصل — رسع : فساد في الأجفان — رمع : اصفرار وتغير في وجه المرأة من داء يصيبها — زلع : شقاق في ظاهر القدم وباطنه وفي ظاهر الكف أو تفطر الجلد — زمع : الزيادة في الأصابع — صلع : البرص وتشقق القدم — صتع : التواء رأس الظليم — صلع : انحسار شعر مقدم الرأس لنقصان مادة الشعر في تلك البقعة وقصورها عنها — ضلع : الاعوجاج خلقة — فدع : اعوجاج الرسغ من اليد أو الرجل حتى ينقلب الكف أو القدم الى انسيها ، أو هو عوج في المفاصل كأنها قد زالت عن مواضعها وأكثر ما يكون في الأرساغ — قلع : ما على جلد الأجرب كالقشر — كلع : شقاق ووسخ يكون في القدم — كوع : اقبال الرسغين على المنكبين — لطع : بياض في وسط الشفة وأكثر ما يكون ذلك في السودان ، وتحات الأسنان الا اسناخها — وجع : المرض — رسغ : استرخاء قوائم البعير وغيره — وتغ : الهلاك والوجع — حصف : الجرب اليابس — حنف : اعوجاج في الرجل ، أو أن تقبل احدى ابهامي رجليه على الأخرى ، أو ميل في صدر القدم — خرف : فساد العقل — دنف : المرض الملازم — ذأف : سرعة

الموت — ذلف : صغر الأنف واستواء أرنبته ، أو غلظ واستواء في طرفه — سقف : طول في انحناء (كالنعام مثلاً) — سهف : شدة العطش — عجف : ذهاب السمن — غضف : استرخاء في الأذن — غطف : طول الاشفار وكثرة شعر الحاجب — قشف : قذر الجلد — قصف : انكسار الثنية من النصف — قضف : النحافة — قطف : الأثر والخدش — كتف : ظلع يأخذ من وجع الكتف — كلف : شيء يعلو الوجه كالسمسم وحمرة تعلو الوجه — وكف : الميل والعيب — هقف : قلة شهوة الطعام — هيف : ضمر البطن ودقة الخاصرة — ارق : السهر بالليل — بهق : بياض رقيق يعتري ظاهر البشرة لسوء مزاج العضو — حرق : أثر الحرق — خرق : الحمق — خلق : البالي — خوق : الجرب — سرق : ضعف المفاصل — شدق : سعة الشدق — شرق : الغصص بالريق — شمق : مرح الجنون — صنق : شدة ذفر الابط — عرق : رشح جلد الحيوان — قلق : الانزعاج — مطق : داء يصيب النخل — بعك : الكزازة في الجسم والغلظ — دعك : الحمق والرعونة — فكك : انفساخ القدم وانكسار الفك — الل : البلل[1] — نعل : دخول سن تحت أخرى في اختلاف النبت — حثل : سوء الرضاع والحال — حول : اقبال الحدقة على الأنف ، أو تكون العين كأنها تنظر الى الحجاج — خبل : فساد الأعضاء والفالج — خال : منفرج ما بين الثنيتين — دخل : ما داخلك من فساد في عقل أو جسم — دغل : دخل في الأمر مفسد — سدل : الميل — شال : اليبس في اليد أو ذهابها — صحل : خشونة في الصدر وانشقاق الصوت — صهل : الصحل — غلل : داء في الغنم — قزل : أسوأ العرج — نقل : داء في خف البعير — وجل : الخوف — يلل : قصر الأسنان العليا وانعطافها

(١) مرت لفظة (ألل) وفسرت بلفظة (يلل) وهما شيء واحد من باب الإبدال والتعاقب بين الهمزة الأصلية والياء . (لجنة المجلة)

الى داخل الفم كالأكل ـ ألم : الوجع ـ بشم : التخمة ـ بكم : الخرس أو مع عي وبله ـ يلم : ورم الشفة ـ دقم : ذهاب مقدم الأسنان ـ دلم : كالهدل في الشفة ـ سرم : وجع في السرم وهو طرف المعى المستقيم ـ شرم : انشقاق ما بين أرنبة الأنف ـ صمم : انسداد الأذن وثقل السمع ـ ضجم : عوج في الفم والشدق ـ عدم : الفقدان ـ عسم : يبس في مفصل الرسغ تعوج منه اليد والقدم ـ علم : شق في الشفة العليا ـ قزم : صغر الجسم ـ قصم : انكسار الثنية من النصف ـ قعم : ميل وارتفاع في الاليتين ـ لبم : اختلاف الكتف ـ لسم : السكوت عياً لا عقلاً ـ لمم : الجنون ـ نخم : الاعياء ـ نهم : افراط الشهوة في الطعام ـ وحم : شدة شهوة الحبلى للأكل ـ وخم : داء كالباسور في الناقة ـ وذم : ثآليل في رحم الناقة تمنعها من الولد ـ ورم : نتوء وانتفاخ ـ هرم : أقصى الكبر ـ بطن : داء البطن ـ ثفن : داء في الثفنة (الركبة من البعير) ـ حبن : داء في البطن يعظم منه ويرم ـ حجن : الاعوجاج ـ حفن : أن ينقلب قدماه كأنه يجثو بهما اذا مشى ـ خفن : استرخاء البطن ـ خمن : النتن ـ درن : الوسخ وتلطخه ـ دنن : انحناء في الظهر ودنو وتطامن في الصدر والعنق ـ شجن : الهم والحزن ـ شزن : شدة الاعياء من الحفا ـ غرن : السرطان والضعف ـ كتن : الوسخ والدرن ـ وهن : الضعف ـ بله : الحمق والغفلة ـ تله : التلف والوله ـ دله : ذهاب الفؤاد من هم ونحوه ـ سبه [1] : ذهاب العقل من الهرم ـ سفه : خفة الحلم أو نقيضه ـ عمه : التردد في الضلال ـ قره : في الجسد كالقلح في الأسنان ـ قله : القره ـ قمه : قلة شهوة الطعام ـ كمه : العمى يولد به الإنسان ـ مقه : بياض في زرقة مذموم ـ وله : ذهاب العقل حزناً ـ جوى : شدة الوجد والسل ـ ضوى : دقة العظم وقلة الجسم خلقةً أو الهزال ـ عمى : ذهاب البصر كله ، وذهاب بصر القلب .

(١) débilité mentale

وبعد لا أظن أن أحداً سبقني الى ذكر مثل هذا العدد الكبير من الأمثلة على المصادر التي جاءت على وزن فَعَل ودلت على الأدواء وما شاكلها . وهي وحدها كافية لقبول قياسية هذا الوزن .

المصطلحات :

برج	albugo de la cornée	غل	fourmillement
خثر	anesthésie	نزف	hemorragie
نقه	asthénie psychique	سنق	hypertrophie staturale
جعن	athrépsie	عيل	hypertrophie
بخص (انسمام)	botulisme	ضمث	menorragie
رقص	chorée	فغم	miasme
صدخ	crique	أبب	nostalgie
شفع	diplopie	نعب	surménage corporel
صحل	dissonnance	قدع	surménage des yeux
عنج	douleur lombaire	قهم	inappétance
فيل	éléphantiasis	طفس	gâtisme
ثلج	engelure		

البرج — تخصيصاً لذلك المرض الذي يصيب قرنية العين .

الخثر — تخصيصاً للخدر الذي يحصل عند شرب دواء أو سم ومنها (مخثرات) وزان (مفعلة) لما يوافق anesthésiques للأدوية التي يحدث عنها خثر كالأثير والكلوروفرم والمورفين .

النقه — من (نقهت تنقه أعيت وكلّت) يرادفها بالفرنسية psychasthénie وكان الزملاء الأطباء أطلقوا عليها (وهن نفساني) تعريباً . وكلمة خير من كلمتين كما لا يخفى على المشتغلين بالتأليف والترجمة ، لسهولة الوصف والإضافة بالكلمة

الواحدة ، فيقال مثلاً : نفهي psychasthénique بدلاً من (متعلق بوهن نفساني) بكلمات ثلاث .

الجحن — من (جحن الصبي جحناً ساء غذاؤه وأجحنه غيره) وكذا (السغل) ، (ضده : سَرْهَدَة ، من سرهدت الصبي أحسنت غذاءه ، وكذا العَلْهَدة : من علهدته) .

البخص والبخصية — من (البخص) وهو لحم يخالطه بياض من فساد فيه . تخصيصاً للانسمام الذي يحصل من أكل هـذه اللحوم أو المحفوظات ، بدلاً من (انسمام باللحم المتفسخ) .

الرقص — من الرقص بسكون القاف . لذلك الداء المعروف بحركات اختلاجية متواترة ؛ بدلاً من (داء الرقص) لأنْ (فَعَل) كما رأيت دال على علة أو داء أو مرض ، أو سوء حال أو رداءة .

الصدع — من (الصدع) بسكون الدال ، وهو الشق في شيء صلب ؛ للشق الذي يشاهد على سطح سبيكة ونحوها حين تبردها .

الشفع — من قولهم (عين شافعة تنظر نظرين . وشفعت لي الأشباح أرى الشخص شخصين) ، أليست كلمة شفع هذه خيراً من (رؤية مضاعفة) ؟

الصحل — تخصيصاً لانشقاق في الصوت غير مستقيم .

العنج — من (أعنج اشتكى من صلبه) وهو وجع الصلب .

الفيل[1] — من (الفيل) ذلك الحيوان المعروف (كما قيل كلب بفتح اللام

---

(١) الحقيقة أن الداء هو للانسان يصاب به فيضخم طرفاه السفليان ضخامة يشبهان معها ساقي الفيل . وأنا على يقين من أن العربي القديم لو وجد في العهد الذي وضعَ فيه الافرنج كلمة (éléphantiasis) للداء الذي يصاب به الإنسان وشاهد الداء بعينه لما تردد — بسليقته الطايعة — في قول (فَيَل) كما قال (كَلَب) . فما رأي الزملاء القائلين بعدم التعريب ؟ هل يستسيغون لفظ (ألنتيازيس) وهي كلمة عالمية شائعة في جميع اللغات شيوع (الأوروبيا) ؟! ولا يخفى أن جميع المصطلحات الطبية العلمية الافرنجية شائعة دائرة على ألسنة الأطباء . فهل —

لداء الكلب بسكون اللام) للداء المعروف في الطب . ولا يزال الزملاء يسمونه (داء الفيل) وهو خطأ إذ ليس للفيل داء يصاب به مثلا للكلب لتصح التسمية بـ (داء الفيل) .

الثلج — من (الثلج بسكون اللام) لذلك الالتهاب الذي يحدث بسبب البرد . والعامة تسميه التثليج من الثلج كناية عن البرد .

النمل — من (نَمِلت يده خدرت) للحالة التي يُشعر معها بوخز كأن نملاً تدب على الجلد .

النزف — من (نُزف فلان دمه كعني اذا سال حتى يُفرط) تخصيصاً للعلة والداء . وأما النزف بسكون الزاي فمصدر . واشتقاق (نَزَفان) وزن فعلان الدال على الحركة والاضطراب أولى لأن hémorragie هو في الحقيقة (سيلان الدم) ففيه معنى الحركة والاضطراب .

السمق — من (سمق سموقاً علا وطال) ، لفرط الطول . والعامة تقول (ساموق) للطويل جداً .

— في هذا الشيوع ما يبرر قبولها كما هي واستعمالها تكلماً وكتابةً في المؤلفات ؟ لماذا يؤخذ على الزملاء المصريين إذن استعمالهم المصطلحات الافرنجية كما هي مكتوبةً بالحروف العربية ، مثال : اوديما (للتزب) — دفتريا (للخناق) — نومونيا (لذات الرئة) — رخيطس (للخرع) — أنيميا (لفقر الدم) — روماتيزم (للرثية) — بكتريميا (لتجرثم الدم) — أكلمبسيا (للارتجاج) — جوتر (للسلعة) — اسقربوط (للحفر) — سجتاري (للودي) — تنكرز (للتنخر) — متابوليسم (للتطور أو الاستقلاب) — الخ . الخ . وكلها شائع شيوع (الازوتيميا) على لسان الزملاء الأطباء ؟!

وهل يقول الأدباء والشعراء بلزوم استعمال الكلمات (بونجور — بونسوار — باي باي — اوكه — مدام — موسيو — الخ . .) لشيوعها فقط على ألسنة المتشدقين ، بدلا من (أسعد الله صباحك ، أو مساءك — أستودعك الله — طيب ، أجل — السيدة — السيد . . الخ) ؟! فالمصطلحات الطبية هي من هذا القبيل لا أقل ولا أكثر .

العبل — من (عبل ككرم ونصر وفرح ، أي ضخُم ، وأعبل غلُظ ، والعبل الضخم من كل شيء) . فالعبَل إذن يوافق المعنى المطلوب من الكلمة الافرنجيـة .

ملاحظة : اطلع على هذا المصطلح الزميل المفضال الدكتور الأستاذ مرشد خاطر فرأى تخصيصه لما يوافق الكلمة الافرنجية (acromégalie) ، فوضعت عندئذ كلمة (ضخَم) لما يقابل (hypertrophie) فاستحسنها كذلك .

الطمث — من (طمثت كنصر وسمع حاضت) تخصيصاً للعلة والداء . أما الطمث بسكون الميم فهو المصدر ، والمس ، والدنس .

الفغم — من (أفغم مكانه ملأه بريحه) لتلك التصعدات التي تنطلق من أجسام الموجودين في بهو أو غرفة مغلقين فتملأهما وينشأ عنها تسمم . وكذا (المذح) ، اشتقاقاً من قولهم : (ما أمذح ريحه أي ما أنتنها) . وكذا (القشب) ، اشتقاقاً من قولهم (قشبني ريحه أي آذاني) .

الأبّ — الحنين والاشتياق الى الوطن . وقد كان بعض الزملاء يسمونه (داء الوطن) .

النصب — من (نصبه الهم أتعبه ونصب كفرح أعيا) ، تخصيصاً للإعياء الجسدي .

القدع — من (قدعت عينه كفرح ضعفت من طول النظر الى الشيء) وهو للمعنى المطلوب من الكلمة الافرنجية . وكذا (الكهم) اشتقاقاً من (أكهم بصره ، كلّ ورقّ) وهو يلائم المعنى المطلوب أيضاً .

القهم — من (قهم كفرح قل شهوته للطعام ، وأقهم عن الطعام لم يشته) .

الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي

فهرس الجزء الثاني من المجلد الخامس والثلاثين


